

مجموعتنا السنوية والمسئلة

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية
قدس سره

المجلد الأول

رسائل وفتاوى في

التفسير والحديث والأصول والعقائد والآداب والأحكام والصوفية

مخرج أحاديثه وعلق حواشيه

الشيخ محمد رشيد رضا

لجنة التراث العربي

الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل

وأقسام الناس في التقوى والصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام ، العالم العامل ، الجبر الكامل ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام ، تقي الدين بن تيمية أيده الله وزاده من فضله العظيم . عن الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل ، وما أقسام التقوى والصبر الذي عليه الناس ؟ فأجاب رحمه الله : —

الحمد لله . أما بعد فإن أمر نبيه بالهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل ، فالهجر الجميل هجر بلا أذى ، والصفح الجميل صفح بلا عتاب ، والصبر الجميل ، صبر بلا شكوى ، قال يعقوب عليه الصلاة والسلام (إنما أشكو بني وحزني الى الله) مع قوله (فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون) فالشكوى الى الله لا تنامي الصبر الجميل ، و يروى عن موسى عليه الصلاة والسلام انه كان يقول : اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، و عليك التكاليف . ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، اللهم الى من تكلمني ؟ أإلى ميد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أوري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبلي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت الفضاة له ، وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي سخطك ، أو يحيل علي غضبك ، لك التقى حتى ترضى » ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر (إنما أشكو بني وحزني الى الله) ويكي حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف . بخلاف الشكوى الى المخلوق . قرى على الامام احمد في مرض موته ان طلبوا كره أنين المريض وقال : انه شكوى . فما أن حتى مات . وذلك ان

المشكي طالب بلسان الحال، إما إزالة ما يضره أو حصول ما ينفعه، والعبء مأمور أن يسأل ربه دون خلقه، كما قال تعالى (فإذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله » ولا بد للانسان من شيئين طاعته بفعل المأمور، وترك المحظور، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور، فالاول هو التقوى والثاني هو الصبر، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تنهوا بطاعة من دونكم لا يألونكم خبالا) الى قوله (وانصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يصون محيط) وقال تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال تعالى (لتبؤن في أموالكم وأنتسكم وتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقد قال يوسف (أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتقو يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) ولهذا كان الشيخ عبد القادر ونحوه من المشايخ المستقيمين يوصون في عامة كلامهم بهذين الاصلين — المارعة الى فعل المأمور، والتقاعد عن فعل المحظور، والصبر والرضا بالامر المقدور، وذلك ان هذا الموضوع غلط فيه كثير من العامة بل ومن السالكين، فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية، دون الدينية، فيرى ان الله خالق كل شيء وربه ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه، وبين ما يبغضه ويبغضه وإن قدره وقضاه، ولا يميز بين توحيد الألوهية، وبين توحيد الربوبية، فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات — سعيدها وشقيها — مشهد الجمع الذي (١) يشترك فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والنبي الصادق، والمنتهي الكاذب، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعدائه، والملائكة المقربون والمردة الشياطين. فان هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية، وهو ان الله زبهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره. ولا يشهد الفرق الذي فرقه الله بين أوليائه وأعدائه، وبين المؤمنين والكافرين، والابرار والفجار، وأهل الجنة والنار.

وهو توحيد الالهية، وهو عبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله، وفعل ما يحبه وبرضاه، وهو ما أمر الله به ورسوله أمر بإيجاب أو أمر استحباب، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وموالاته أو إتيائه، ومعاداة أعدائه، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان . فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون مع أهل الحقيقة لدينية والا فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى ، فإن المشركين يقرون بالحقيقة الكونية اذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء كما قال تعالى (واثن سألتم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولن لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولن : الله ^(١) قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله قل فأنى تسحرون ؟) ولهذا قال سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال بعض السلف تسألهم من خلق السموات والارض ؟ فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره

من أقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين فهو أكفر من اليهود والنصارى ^(٢) فإن أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاؤا بالامر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا)

« ١ » هذه قراءة ابي عمرو ويعقوب في الآية وما بعدها وقرأ الباقر (لله)

وهي المشهورة عندنا

(٢) الاصطلاح الشرعي ان الكفر اذا اطلق انصرف الى ما يقابل الاسلام وبيضاده فالمراد هنا أن من المسلمين جنسية اودعاء من يكفر بمسائل أكثر مما يكفر به اهل الكتاب . واذا اطلق الكفر في عرف هذا العصر فالمراد به الالحاد والتعطيل المطلق ولا يدخل فيه اهل الكتاب كما هو ظاهر

وأما الذي يشهد الحقيقة الكونية، وتوحيد الربوبية الشامل للخلقة، وبقر أن
 العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويسلك هذه الحقيقة، فلا يفرق بين المؤمنين والمؤمنين
 الذين أطاعوا أمر الله الذي بعث به رسله، وبين من عصى الله ورسوله من الكفار
 والفجار، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى. لكن من الناس من قد لمحوا الفرق
 في بعض الأمور دون بعض، بحيث يفرق بين المؤمن والكافر، ولا يفرق بين البر
 والفاجر، أو يفرق بين بعض الأبرار، وبين بعض الفجار، ولا يفرق بين آخرين
 أتباعاً لظنه وما يهواه. فيكون ناقص الإيمان بحسب ماسوى بين الأبرار والفجار،
 ويكون معه من الإيمان بدين الله تعالى الفارق بحسب ما فرق به بين أوليائه وأعدائه
 ومن أقر بالأمر والنهي الدينين دون القضاء والقدر وكان من القدرة كلمة منزلة
 وغيرهم الذين هم مجوس هذه الأمة، فهؤلاء يشبهون المجوس، وأولئك يشبهون
 المشركين الذين هم شر من المجوس. ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضاً، فهومن
 أتباع إبليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه
 فهذا التقسيم من القول والاعتقاد. وكذلك هم في الأحوال والأفعال.
 فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور، ويترك المحذور، ويصبر
 على ما يصيبه من المقدور، فهو عند الأمر والدين والشريمة ويستعين بالله على
 ذلك. كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين). وإذا أذنب استغفر وتاب،
 لا يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات، ولا يرى المخلوق حجة على رب الكائنات،
 بل يؤمن بالقدر ولا يمنح به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار
 أن يقول العبد « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على
 عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي
 وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » فيقر بنعمة الله عليه في
 الحسنات، ويعلم أنه هو هداه ويسره ليسرى، ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب
 منها، كما قال بعضهم: أظنك بفضلك، والمنة لك، وعصيتك بعلمك، والحجة لك،

فأسألك بوجوب حبسك علي وانقطاع حجتي ، الا ما غفرت لي . وفي الحديث الصحيح الالهي « يا عبادي انما هي اعمالكم ، أحصيا لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضوع .

وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة ، حسب الاستطاعة ، لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر ، وآخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك لكنهم لا يلتزمون أمر الله ورسوله واتباع شريعته . وهلازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين . فهو لا يستعينون الله ولا يعبدونه ، والدين من قلمهم يريدون أن يعبدوه ولا يستعينوه ، والمؤمن يعبد ويستعينه

والقسم الرابع شر الاقسام وهو من لا يعبد ولا يستعينه ، فلا هو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني . واتقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل وقوع المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك ، وما يكون بعده من صبر ورضاء ونحو ذلك . فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني ، والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني ، أربعة أقسام (أحدها) أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة (والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر ، مثل الذين يمثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن اذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بدموي يخيمه عظم جزعه ، وظهر له

(والثالث) قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم ، كالصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من النصب وأخذ الحرام ، والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها . وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها اكثر الناس ، وكذلك أهل الحجة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون

في مثل ما هوونه من المحرمات على أنواع من الاذى والآلام. وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض أو فسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق، ومن طلاب الاموال بالنبي والعدوان، والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك، يصبرون على أنواع من المكروهات واسكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وطلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر

(وأما القسم الرابع) فهو شر الاقسام: لا يتقون اذا قدروا، ولا يصبرون اذا اجتلوا، بل هم كما قال الله تعالى (ان الانسان خلق هلو عاه اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) هؤلاء تجدهم من أعظم الناس وأجبرهم اذا قدروا، ومن أذل الناس وأجزعهم اذا قهروا. ان قهرتهم ذلوا لك وناققوك، وحابوك واسترحوك، ودخلوا فيما يدفعون به عن انفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل، وان قهروك كانوا من أعظم الناس وأقسام قلوبا، وأقلم رحمة واحسانا وعفوا، كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الايمان أبعد مثل التار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في كثير من أمورهم^(١) وان كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلماهم وزهادهم وتجاهلهم وصناعهم، فالاعتبار بالحقائق « فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم، وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التار وأعمالهم كان شبيها لهم من هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام أو ما يظهره منه بمنزلة ما معهم من الاسلام وما يظهرونه منه، بل يوجد في غير التار المقاتلين من المظهرين للاسلام من هو أعظم ردة وأولى بالاخلاق الجاهلية، وأبعد عن الاخلاق الاسلامية، من التار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في خطبته « خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الامور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة ». واذا كان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد، فكل من كان الى ذلك أقرب وهو به أشبه،

(١) النار: قد ظهرت هذه الحقيقة في حرب البقاع والحرب الكبرى فكانت الفتوة فيما فظية لبعدها لها عن الايمان وهداية المسيح عليه السلام

كان الى الكمال أقرب وهو به أحق. ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه بأضعف، كان عن الكمال أبعد وبالباطل أحق. والكمال هو من كان لله أطوع، وعلى ما يصيبه أصبر، فكما كان أتبع لما يأمر الله به ورسوله وأعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه، وصبراً على ما قدره وقضاه، كان اكمل وأفضل. وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعاً في غير موضع من كتابه وبين أنه ينتصر العبد على عدوه^(٢) من الكفار المحاربين والمعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة قال الله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال الله تعالى (لتبؤن في أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون هاتم اولاء محبوبهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله. واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلو اعضاء عليكم الانامل من الغيظ. قل موتوا بغيظكم. ان الله عليم بذات الصدور* ان تمسكتم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط) وقال اخوة يوسف له (انك لانت يوسف؟ قال انا يوسف وهذا اخي قدم من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموماً

«٢» المعنى الذي يقتضيه المقام — أنه ينصر العبد الصابر على عدوه اغ وقوله بعده المحارب بين المعاهدين غير ظاهر فان المعاهد غير المحارب ولعله المعاندين — أو — « والمعاهدين » بالعطف بمعنى أنه ينصر الصابر بن على المحاربين بالحرب وعلى المعاهدين بالحجة والبرهان. ولا شك في كون الصبر من أسباب النصر فاذا تساوت جميع قوى الخصمين أو تقاربت وكان أحدهما صبوراً والآخر جزوعاً فان التور يكون للصبور قطعاً بل كثيراً ما يغلب الصبور غيره ممن لديه من القوى الاخرى ما يفوقه به

وخصوصا فقال تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) وفي اتباع ما وحي اليه التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لامره وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) وقال تعالى (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آتاء الليل) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) فذهمه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر وقرن بين الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) . وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة أيضا رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كاهل القوة والقسوة ومنهم من يرحم ولا يصبر كاهل الضعف واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كاهل القسوة والهلوع . والمحمود هو الذي يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في المتولي يذنبني أن يكون قويا من غير عنف، لينامن غير ضعف، فبصبره يقوى وبلينه يرحم، وبالصبر ينصر العبد فان النصر مع الصبر، وبالرحمة يرحمه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «انما يرحم الله من عباده الرحماء» وقال « من لا يرحم لا يرحم » وقال « لا تنزع الرحمة الا من شقي » « الراحون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من السماء » والله أعلم انتهى



﴿ الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله ﴾

بالاعمال ، وبالذوات والاشخاص

بسم الله الرحمن الرحيم

وسئل أيضاً رحمه الله تعالى هل يجوز للانسان أن يتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في طلب حاجة أم لا ؟

﴿ فأجاب ﴾

الحمد لله — أجمع المسدلون على ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسأله الناس ذلك وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لاهل الكبار من أمته ويشفع أيضاً لعموم الخلق وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان شفاعة انما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات . ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً وأجمع أهل العلم على ان الصحابة كانوا يستشفعون به في حياته ، ويتوسلون بحضرته ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : اللهم انما كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — فيسقون وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ربما ذكرت قول الشاعر وانا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل فلا تستسقاء هو من جنس الاستشفاع به وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة ويطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته فينا . وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما أجذب الناس في الشام استسقى بهزيد بن الاسود الجرشي رضي الله تعالى عنه وقال : اللهم انما نستشفع وتوسل اليك بخيارنا ، يا يزيد ارفع يديك ، فرفع (يديه) ودعا

ودعا الناس حتى سقوا ، ولهذا قال العلماء يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح وإذا كانوا بهذه المثابة وهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن ، وفي سنن أبي داود وغيره ان رجلا قال انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسيح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال «وبحك أندري ما الله؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك» فأنكر عليه قوله: انا نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله - لان الشفيع يسأل المشفوع اليه أن يقضي حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضي حوائج خلقه وان كان بعض الشعراء ذكر استشفاعه بالله في مثل قوله

شفيعي اليك الله لارب غيره وليس الى ردي الشفيع سبيل

فهذا كلام منكر لم يتكلم به عالم. وكذلك بعض الانحاديّة ذكر انه استشفع بالله الى رسوله وكلاهما خطأ وضلال . بل هو سبحانه المشول المدعو الذي يسأله من في السموات والارض) والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به الى الله أي يطلب منه أن يسأل ربه الشفاعة في الخلق أن يقضي الله بينهم . وفي أن يدخلهم الجنة، ويشفع في أهل الكبائر من أمته ويشفع في بعض من يستحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ولا نزاع بين جماهير الامة انه يجوز أن يشفع لاهل الطاعة المستحقين للثواب ، وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لاهل الكبائر لان الكبائر عندم لا تغفرو ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها

ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار من أهل الايمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من ايمان أو متقال ذرّة والاشفاعة به وبغيره هو طلب الدعاء منه وليس معناه الاقسام به على الله والسؤال بذاته بحضوره. كما في منيه أو بعد موته فلاقسام به على الله والحشر

بذاته لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين^(١) بل عمر بن الخطاب ومعاوية ومن كان يحضرهما من الصحابة والتابعين لما أجدبوا استسقوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد بن الاسود رضي الله عنهما ولم ينقل عنهم انهم في هذه الحالة استشفعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قبره ولا غيره فلم يقسموا بالخلق على الله عز وجل ولا سألوه بمخلوق نبي ولا غيره بل عدلوا الى خيارهم كالعباس وكيزيد بن الاسود، وكانوا يصلون عليه في دعائهم، روي عن عمر رضي الله عنه انه قال : انا توسل اليك م نبينا. فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تعذر عليهم أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه

وقد كان من الممكن أن يأتوا الى قبره فيتوسلوا به ويقولوا^(٢) في دعائهم في الصحراء : نسألك ونقسم عليك بأبيائك أو بنيك أو بجاههم وبحو ذلك . ولا نقل عنهم^(٣) انهم تشفعوا عند قبره ولا في دعائهم في الصحراء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثنا. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبورا أنبيائهم مساجد » رواه الامام مالك في الموطأ وغيره وفي سنن أبي داود أنه قال « لا تتخذوا قبوري عيداً » وقال « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قال ذلك في مرض موته يحذر ما فعلوا : وقال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

وقد روى الترمذي حديثا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه علم رجل رجلا عبارته في كتابه التوسل والوسيلة الذي اختصرت منه هذه الفتوى هكذا (قاما التوسل بذاته في حضوره أو في مغيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته او بغيره من انبياء او السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهورا عند الصحابة والتابعين

(٢) كذا في النسخة التي طبعنا عنها وامل الاصل : أو يقولوا الخ — أو —
وأن يقولوا فتأمل (٣) هكذا ذكر النفي هنا (بلا) معطوفا وهو يقتضي المقابل وامل الاصل : ولكن لم ينقل عنهم انهم توسلوا بذاته ولا نقل عنهم الخ وهذا الواقع الذي صرح به في عدة مواضع من كتبه ورسائله

أن يدعو فيقول « اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوسل بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشغفه في »
 وروى النسائي نحو هذا الدعاء . وفي الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيفه
 رضي الله عنه أن رجلا ضرب البصر أنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أَدع الله أن
 يعافيني ، فقال « ان شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعاه ،
 فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه
 بنبيك نبي الرحمة يا رسول الله اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم
 فشغفه في . قال الترمذي حديث حسن صحيح ^(١) ورواه النسائي عن عثمان بن
 حنيف ان أعمى قال يا رسول الله : أَدع الله لي أن يكشف لي عن بصري . قال « فانطلق
 فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أتوجه بك الى ربي أن يكشف عن بصري ،
 اللهم فشغفه في » قال فدعا وقد كشف الله عن بصره فهذا الحديث فيه التوسل الى
 الله به في الدعاء . ومن الناس من يقول : هذا يقتضي جواز التوسل بذاته مطلقا وحيثا
 ومنهم من يقول : هذه قضية عين وليس فيها الا التوسل بدعائه وشفاعته لا
 التوسل بذاته ، كما ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به اذا أجدبوا ثم إنهم
 بعد موته انما توسلوا بغيره من الاحياء بدلا عنه فلو كان التوسل به حيا وميتا
 مشروعا لم يملوا عنه وهو أفضل الخلق واكرمهم على ربه ، الى غيره ممن ليس
 مثله ، فعدوهم عن هذا الى هذا مع أنهم السابقون الاولون وهم أعلم منا بالله ورسوله
 وبحقوق الله ورسوله وما يشرع من الدعاء وما ينفع ، وما لا يشرع ولا ينفع ، وما يكون
 أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومخخصة يطلبون تفرج الكربات ، وتيسير العسير ،
 وانزال الغيث ، بكل طريق ، دليل على أن المشروع ما سلكوه دون ما تركوه ، ولهذا

(١) هو حديث غريب كما صرح الترمذي انفرد به ابو جعفر قال هو غير
 الخطمي ، وظاهر صنيع تهذيب التهذيب تبعاً لاصله انه مجهول فانه وضع له عددا
 خاصا ولم يزد على ما قاله فيه الترمذي أنه غير الخطمي والا فهو عيسى بن رازي
 التيمي ولكن هذا ضعيف حتى قال ابن حبان انفرد عن المشاهير بلنا كير او محمد
 بن ابراهيم المؤذن وليس بالقوي الذي يعد حديثه صحيحاً

ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء ما فعلوه دون ما تركوه. وذلك أن التوسل به حياهو
الطلب لدعائه وشفاعته، وهو من جنس مسأله أن يدعو، فارال المسلمون يسألونه
أن يدعو لهم في حياته، وأما بعد موته فلم يكن الصحابة يطلبون. نه ذلك لا عند قبره
ولا عند غيره كما يفعله كثير من الناس عند قبور الصالحين (١) وان كان قد روي
في ذلك حكايات مكذوبة عن بعض المتأخرين، بل طالب الدعاء مشروع لكل
مؤمن من كل مؤمن، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قل لعمر بن الخطاب لما
استأذنه في العمرة « لا تنسنا يا أخي من دعائك » حتى إنه أمر عمر أن يطلب من
أويس القرني أن يستغفر له، مع أن عمر رضي الله عنه أفضل من أويس بكثير
وقد أمر أمته أن يسألوا الله له الوسيلة وان يصلوا عليه

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من رجل يدعو لآخره
في ظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لآخره بدعوة قل الموكل
به آيين ولك مثل ذلك »^(٢) فالطالب الدعاء من غيره نوعان أحدهما أن يكون سؤاله
على وجه الحاجة اليه فهذا بمنزلة أن يسأل الناس قضاء حوائجهم. والثاني أنه يطلب منه
الدعاء لينتفع الداعي بدعائه له وينتفع هو فيمنع الله هذا وهذا بذلك للدعاء كمن
يطلب من المخلوق ما يقدر المخلوق عليه، والمخلوق قادر على دعاء الله ومسأله، فطلب
الدعاء منه جائز كمن يطلب من الاعانة بما يقدر (عليه) فاما ما لا يقدر الله الا الله فلا يجوز
أن يطلب الا من الله، لا من الملائكة ولا من الانبياء ولا من غيرهم، لا يجوز
أن يقول أمير الله: اغفر لي، واسقنا القيث، ونحو ذلك. ولهذا روى العابداني في معجمه

(١) يزعم بعض الناس في زماننا أنه لا فرق في طلب الدعاء والشفاعة منه
« ص » بين حالي الحياة والمات لأنه حي في قبره. وكانهم يدعون أنهم أعلم من
الصحابة وسائر أئمة السلف بذلك فالصحة رضي الله عنهم فرقا بين الحالين وان
شئت قلت بين الحياتين، والامور التميدية لا تشرع بالعقل ولا بالقياس
(٢) الحديث في صحيح مسلم معني ما ذكر من حديث أبي الدرداء بثلاثة
الفاظ ليس هـا منها فهو مذكور بالمتن ورواه أبو داود ايضا

أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال الصديق رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فجوأ إليه فقال «نه لا يستغاث في أمهات استغاث بالله» وهذا في الاستغاة مثل ذلك فاما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب ولهذا قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وفي دعاء موسى عليه الصلاة والسلام: وبك المستغاث.

وقال أبو يزيد البسطامي استغاة المناوق بالخلق كاستغاة المسجون بالمسجون وقد قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) الآية فيين أن من اتخذ النبيين أو الملائكة أو غيرهم أرباباً فهو كافر. وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض — الى قوله — ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى عن صاحب ياسين (وما لي لا أعبد لذي فطري وإليه ترجعون) «أأخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا يتقذرون) الآية وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون).

فالشفاعة نوعان أحدهما شفاعة التي أثبتها المشركون ومن ضلهاهم من

جهال هذه الامة وضلالهم وهي شرك

والثانية أن يشفع الشفيع بأن المشفع الله التي أثبتها الله ^(٢٢) لعباده الصالحين

(١) بل هما آياتان والشاهد في الثانية أظهر وهي قوله تعالى (ولا يأمرم أن

يخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، أيا أمرم بالكفر بعد اذ اتم مسلمون)

(٢٥) لعل اصل العبارة: والثانية أن يشفع الشفيع باذن للمشفع (بكسر الفاء)

وهو الله تعالى، وهي الشفاعة التي أثبتها الله الخ

ولهذا كان سيد الشفعاء اذا طلب منه الخلق الشفاعة يوم القيامة يأتي ويسجد تحت العرش قال «فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لأحسنها الآن فيقال: أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع» فاذا أذن الله في الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع فيه. قال أصحاب هذا القول فلا يجوز أن يشرع ذلك في مغيبهو بعد موته، وهو معنى الاقسام به على الله والسؤال بذاته، فان الصحابة رضي الله عنهم قد فرقوا بين الامرين. فان في حياته صلى الله عليه وسلم ليس في ذلك محذور ولا مفسدة، فان أحداً من الانبياء لم يُعبَد في حياته بمحضوره فانه ينهى أن يشرك به ولو كان شركاً أصغراً كما ان من سجد له نهاه عن السجود له، وكما قال «لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد» وأمثال ذلك

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والاشراك به كما أشرك بالمسيح والعزير وغيرها ولهذا كانت الصلاة في حياته مشروعة عند قبره منيها عنها. والصلاة خلفه في المسجد مشروعة ان لم يكن المصلي ملاقاته والصلاة الى قبره منيها عنها^(١) فمعنا أصلان عظيمان (أحدهما) انه لا يعبد الا الله (والثاني) أن لا يعبد الا بما شرع لا بعبادة مبتدعة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فلا ينبغي لأحد أن يخرج عما مضت به السنة، وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الامة، وما

(١) هذه العبارة كلها قد حرفها الناسخ ولم نجد لها أصلاً في كتاب التوسل والوسيلة نصحتها عليه والذي يعلم من القرائن بمعونة الاحاديث الواردة في النهي عن الصلاة في القبور واليها والنهي عن اتخاذ قبره وثناً يعبد واتخاذ عيدا — ان الصلاة خلفه (ص) أو بالقرب منه في حياته لم يكن يخشى أن يقصد بها تعظيمه بها فيكون اشراكاً لأنها غير خالصة لله تعالى، وأما الصلاة الى قبره وتعظيمه بعد وفاته فيخشى منه ذلك ولذلك نهى عنه

علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تقل على الله ما لا تعلمه

وقد اتفق العلماء على انه لا ينعقد اليمين بغير الله ولو حلف بالكعبة أو بالملائكة أو بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لم تنعقد يمينه ولا يشرع له ذلك بل ينهى عنه إمامي تحریم وإمامي تنزيه فإن للعلماء في ذلك قواين والصحيح أنه ينهي تحریم ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وفي الترمذي عنه أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ولم يقل أحد من العلماء انه ينعقد اليمين بأحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فان عن احمد في انعقاد اليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتين لكن الذي عليه الجمهور كالك والشافعي وأبي حنيفة انه لا ينعقد اليمين به كاحدى الروايتين عن أحمد وهذا هو الصحيح، ولا يستعاذ أيضاً بالمخلوقات بل انما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته ولهذا احتج على ان كلام الله غير مخلوق بقوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » فقد استعاذ بها والمخلوق لا يستعاذ به. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا بأس بالرقى ما لم يكن شركا » كالتى فيها استعانة بالجن كما قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) وهذا مثل العزائم والاقسام التي يقسم بها على الجن وقد نهى عن كل قسم وعزيمة لا يعرف معناها بحيث أن يكون فيهما ما لا يجوز من سؤال غيره .

فسائل الله بغير الله اما أن يكون مقسما عليه واما أن يكون طالبا بذلك السبب كما توسل الثلاثة في القار بأعمالهم، وكما يتوسل بدعاء الانبياء والصالحين. فان كان إقساما على الله بغيره فهذا لا يجوز. وان كان طالبا من الله بذلك السبب كالطلب منه بدعاء الصالحين والاعمال الصالحة فهذا يصح لان دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به، وكذلك الاعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا. فاذا توسلنا بذلك كنا متوسلين اليه بوسيلة تبقى عنده. واما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال

الصالحة^(١) ولا ريب ان لم عند الله من المنازل أمراً يعود نفعه عليهم ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم، ومحبتنا لهم، وبدعائهم لنا، فاذا توسلنا الى الله بامانتنا بنبية ومحبتة ومولاته واتباع سنته ونحو ذلك فهذا من أعظم الوسائل، وأما نفس ذاته مع عدم الايمان به، و(عدم) طاعته وعدم دعائه لنا، فلا يجوز. فالتوسل اذا لم يتوسل لابمان المتوسل به ولا بما منه ولا بما من الله فبأي شيء يتوسل؟^(٢) والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة فاما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك (الغير) مثل أن يقال لابي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه: اشفع لنا عند فلان (واما) أن يسأل . كما يقال بحياة ولدك فلان و تبرئة أباك فلان و بحرمة شيخك فلان ونحو ذلك. وقد علم ان الاقسام على الله بغير الله لا يجوز بل لا يجوز أن يقسم بمخلوق على الله أصلاً. وأما حديث الاعمى فانه طلب من النبي أن يدعو له كما طلب الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء منه صلى الله عليه وسلم وقوله «أتوجه اليك بنبيك محمد» أي بدعائه وشفاعته لي . ولهذا في تمام الحديث: فشفعه في . فالذي في الحديث متفق على جوازه وليس هو مما نحن فيه. وقد قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) فعلى قراءة الجمهور^(٣) اما يتساءلون بالله وحده لا بالرحم، وتساؤلهم بالله متضمن إقسام بعضهم على بعض بالله وتعاهدهم بالله . واما على قراءة الخفض فقد قالت طائفة من الصنف : هو قولك أسألك بالله وبالرحم. فعنى قولك أسألك بالرحم ليس اقساماً بالرحم فان

(١) سقط من هذا الموضوع جواب اما من نسختنا مع شيء من شرطها والمعنى ظاهر ومثله في كتبه الاخرى وامل الاصل : وأما اذا لم يتوسل بدعائهم ولا بالاعمال الصالحة التي فعلها اقتداء بهم بل توسلنا اليه وسألناه بذواتهم أو جاههم عنده - كنا متوسلين اليه باسر أجنبي ليس سبباً لاجابة سؤالنا الخ
 (٢) أي اذا لم يتوسل بما هو من المتوسل به كدعائه له - ولا بما هو منه هو كعمله الصالح و ايمانه - ولا بما هو من الله تعالى كسؤاله بفضله ورحمته وما أوجبه على نفسه - فبأي شيء يتوسل؟ والوسيلة - وهي القرينة الى الله - محصورة في هذه الثلاث التي هي أسباب اجابة السؤال والعطاء دون ذوات الانبياء والصالحين وصفاتهم وجاههم اذ هي ليست من اعمالنا ولا من اعمالهم لنا (٣) هي نصب الارحام

القسم بها لا يشرع لكن بسبب الرحم أي ان الرحم توجب لاصحابها بعضهم على بعض حقوقا كسؤال (أصحاب الغار) الثلاثة لله عز وجل بإعمالهم الصالحة ومن هذا — الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك. أن تنقذي من النار وأن تدخلني الجنة » فهذا الحديث (عن عطية العوفي وفيه ضعف^(١)) فان كان هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم فهو من هذا الباب لوجهين أحدهما أن فيه السؤال لله بحق السائلين عليه، وبحق الماشين في طاعته، وبحق السائلين أن يجيبهم، وحق الماشين أن يشيهم، وهذا حق أحقه على نفسه سبحانه وتفضل به، وليس للمخلوق أن يوجب على الخالق شيئا. ومنه قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن) . وفي الصحيح من حديث معاذ « حق الله على عباده أن يعبده ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه ان فعلوا ذلك أن لا يعذبهم » فحق السائلين والعبدين له هو الاثابة والاجابة فذلك سؤال له في أفعاله^(٢) كاستمادة وقوله « أعوذ برضائك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك » فلا استعانة بالمعافاة التي هي فعله كالسؤال باثابته التي هي فعله. وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله يقول يا عبدي انما هي اربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقي، فاتي هي لي تبديني لا تشرك بي شيئا، والتي هي لك اجزيك به أحوج ما تكون اليه ، والتي بيني وبينك منك الدعاء وعلي الاجابة ، والتي بينك وبين خلقي فانت الى الناس ما تحب أن يأتوه اليك » وتقسيمه في الحديث الى قوله واحدة لي وواحدة لك هو مثل تقسيمه في حديث الفاتحة بحيث يقول الله

(١) بل قال في مجمع الزوائد ان اسناده مسلسل بالضعفاء — لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده (٢) الظاهر : بأفعاله

تعالى « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » والعبد يعود عليه نفع النصفين والله تعالى يحب النصفين لكن هو سبحانه يجب أن يعبد. وما يعطيه العبد من الاعانة والهداية هو وسيلة الى ذلك فالما يجب لكونه طريقا الى عبادته، والعبد يطلب ما يحتاج اليه أولا وهو محتاج الى الاعانة على العبادة والهداية الى الصراط المستقيم وبذلك يصل الى العبادة الى غير ذلك مما يطول الكلام فيما يتعلق بذلك وایس هذا موضعه وان كنا نخرجنا عن المراد

الوجه الثاني الدعاء له والعمل له سبب لحصول مقصود العبد فهو كالتوسل بدعاء الرسول والصالحين من امته . وقد تقدم أن الدعاء اما أن يكون اقساما به أو تسببا به، فان قوله: بحق الصالحين إن كان اقساما عليه فلا يقسم على الله الا بصفاته. وان كان تسببا فهو تسبب لما جعله سبحانه سببا وهو دعاؤه وعبادته. فهذا كله يشبه بعضه بعضا وليس في شيء من ذلك دعاء له بمخلوق ولا عمل صالح منا. فاذا قال القائل أسألك بحق الانبياء والملائكة والصالحين فان كان يقسم بذلك فلا يجوز أن يقول وحق الملائكة وحق الانبياء وحق الصالحين ولا يقول لغيره أقسمت عليك بحق هؤلاء فاذا لم يجز أن يحلف به ولا يقسم، فكيف يقسم على الخالق به؟ وان كان لا يقسم به فليس في ذوات هؤلاء سبب يوجب حصول مقصوده لكن لا بد من سبب منه كالإيمان بالانبياء والملائكة، أو منهم كدعائهم لنا — لكن كثير من الناس تعودوا ذلك كما تعودوا الحلف بهم حتى يقول أحدهم: وحقك على الله وحق هذه الشبهة على الله. وفي الخلية لابن نعيم أن داود عليه السلام قال: يارب بحق آبائي عليك ابراهيم واسحاق ويعقوب، فأوحى الله اليه « يا داود أي حق لا بآئك علي؟ » وهذا وان لم يكن من الادلة الشرعية فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه. واما الغائب والميت فلا يطلب منه شيء.

وتحقيق هذا الامر أن التوسل به والتوجه اليه وبه لفظ فيه اجمال واشتراك بمحسب الاصطلاح، فعنه في لغة الصحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكونون

متوسلين ومتوجهين بدعائه وشفاعته . ودعاؤه وشفاعته من أعظم الوسائل عند الله وأما في لغة كثير من الناس أن يسأل بذلك ويقسم عليه بذلك والله تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات بل لا يقسم بها بحال فلا يقال أقسمت عليك يا رب بملائكتك ونحو ذلك بل إنما يقسم بالله وأسمائه وصفاته . فيقال « أسألك بأن لك الحمد . لا إله إلا أنت يا الله المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك » الحديث كما جاءت به السنة وأما أن يسأل الله ويقسم عليه بمخلوقاته فهذا لأصل له في دين الإسلام . وقوله : اللهم اني أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك وجدك الأعلى وكلما تك التامة — مع أن في جواز الدعاء به قولين للعلماء فجوزه أبو يوسف وغيره ومنع منه أبو حنيفة وأمثال ذلك — فينبغي للمخلق أن يدعو بالأدعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه فإنه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا ، وهو أجمع وأنفع ، وأسلم وأقرب الى الاجابة

وأما ما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا كانت لكم الى الله حاجة فاسألوا الله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم » فهذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث والمشروع الصلاة عليه في كل دعاء . ولهذا ذكر الدعاء في الاستسقاء وغيره ذكروا الأمر بالصلاة عليه ، ولم يذكروا فيما يشرع للمسلمين في هذا الحال التوسل به كما لم يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستغاثة به في حال من الاحوال ، وان كان بينهما فرق فدعاء غير الله كفر بخلاف قول القائل اني أسألك بجاه فلان الصالح فان هذا لم يباغتنا عن أحد من السلف انه كان يدعو به

ورأيت في فتاوى الفقيه الشيخ أبي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز ذلك في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم ثم رأيت عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من

العلماء انهم قالوا : لا يجوز الاقسام على الله بأحد من الانبياء . ورأيت في كلام الامام احمد انه في النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا قد يخرج على احدي الروايتين عنه في جواز الحلف به .

وأما الصلاة عليه فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وفي الصحيح عنه انه قال « من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرين » وفي المسند أن رجلا قال : يا رسول الله أجعل عليك ثلث صلواتي قال « يكفيك الله ثلث أمرك » فقال : « أجعل عليك نصف صلواتي » قال « إذا يكفيك الله ثلثي أمرك » فقال أجعل صلواتي كلها عليك فقال « إذا يكفيك الله ما أمرك من أمور دينك وآخرتك »

وقد ذكر العلماء وأئمة الدين الادعية المشروعة وأعرضوا عن الادعية المتدعة فينبغي اتباع ذلك

والمراتب في هذا الباب ثلاثة (أحدها) أن الدعاء لغير الله سواء كان المدعو حيا أو ميتا وسواء كان من الانبياء عليهم السلام وغيرهم فيقال يا سيدي فلان اغثني ، وأنا مستجير بك ونحو ذلك فهذا هو الشرك بالله . والمستغث بالخوقات قد يقضي الشيطان حاجته أو بعضها . وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به وإنما هو شيطان أضله وأغوا ما أشرك بالله كما يتكلم الشيطان في الاصنام وفي المصروع وغير ذلك . ومثل هذا واقع كثيرا في زماننا وغيره وأعرف من ذلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم فظنوا أن ذلك من بركة لاستغاثت (بي) أو بغيري وإنما هو شيطان أضله وأغوا وهذا هو أصل عبادة الاصنام واتخاذ الشركاء مع الله تعالى في الصدر الاول من القرون الماضية كما ثبت ذلك فهذا شرك بالله نعوذ بالله من ذلك

(الثاني) أن يقال للميت أو الغائب من الانبياء والصالحين : ادع الله لي وادع لنا

ربك ونحو ذلك فهذا مما لا يستريب عالم أنه غير جائز. وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الامة وأئمتها. وان كان السلام على أهل القبور جائزاً ومخاطبتهم جائزة كما كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول قائلهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا ان شاء الله بكم لاحقون» وقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من رجل مسلم سلم على الا رد الله علي روي حتى أرد عليه السلام» لكن ليس من المشروع أن يطلب من الاموات شيئاً. وفي الامام مالك^(١) أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنها كان يقول: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبا، ثم ينصرف. وكذلك أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، نقل عنهم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لا يدعون وهم مستقبلوا القبر الشريف. وان كان قد وقع في ذلك بعض الطوائف من الفقهاء والمتصوفة ومن العامة من لا اعتبار بهم فانه لم يذهب الى ذلك امام متبع في قوله ولا من له في الامة لسان صدق. بل قد تنازع العلماء في السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ويستدبر القبر. وقال مالك والشافعي بل يستقبل القبر وعند الدعاء يستقبل القبلة ويستدبر القبر، ويجعل القبر عن يساره أو يمينه وهو الصحيح أذ لا يجزور في ذلك (الثالث) أن يقول: أسألك بجاه فلان عندك أو بحرمة ونحو ذلك. فهو الذي تقدم عن أبي محمد انه أقر بان لا يجوز في غير النبي صلى الله عليه وسلم. واقبي أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما انه لا يجوز في حق أحد من الانبياء فكيف بغيرهم. وان كان بعض المشايخ المبتدعين يحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «اذا أعيتكم الامور فاعلموا بأهل القبور» او قال «فاستغيثوا بأهل القبور»

(١) كذا بالأصل ولعلها وفي (موطأ الامام مالك الخ)

فهذا الحديث كذب مقترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع العارفين
 بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة
 وقد قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) الآية
 وهذا مما يعلم بالاضطرار في دين الاسلام أنه غير مشروع . وقد نهى النبي صلى
 الله عليه وسلم عما هو أقرب من ذلك من اتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك ولعن
 على ذلك من فعله تحذيراً من الفتنة باليهود فان ذلك هو أصل عبادة الاصنام أيضاً
 فان ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين في قوم نوح عليه الصلاة
 والسلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم اتخذوا الاصنام على صورهم كما ذكر ذلك
 ابن عباس وغيره من العلماء^(١) فمن فهم معنى قوله (اياك نعبد و اياك نستعين) عرف
 أنه لا يعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله وحده

وقد يستغاث بالخلق فيما يقدر عليه وكذلك الاستعانة لا تكون الا بالله
 والتوكل لا يكون الا على الله . وما النصر الا من عند الله . فالنصر المطلق وهو
 خلق ما يغلب به العدو فلا يقدر عليه الا سبحانه . وفي هذا القدر كفاية لمن
 هداه الله تعالى والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
 كثيراً انتهى

(١) الاثر في صحيح البخاري



أهل الصفة

(وأبائيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مسألة﴾ ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في أهل الصفة كم كانوا؟ وهل كانوا بمكة أو بالمدينة؟ وأين موضعهم الذي كانوا يقيمون به؟ وهل كانوا مقيمين بأجمعهم لا يخرجون الا خروج حاجة أو كان منهم من يقعد بالصفة ومنهم من يتسبب في القوت؟ وما كان تسببهم هل يعملون بأبدانهم أم يشحذون بلزنبيل؟

وما قول العلماء وفقهم الله تعالى فيمن يعتقد أن أهل الصفة قاتلوا المؤمنين مع المشركين؟ وفيمن يعتقد أن أهل الصفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن الستة الباقيين من العشرة وأفضل من جميع الصحابة؟ وهل كان فيهم أحد من العشرة؟ وهل كان أحد في ذلك العصر ينذر لأهل الصفة؟ وهل تواجدوا على دف أو شبابة أو كان لهم حاد ينشد لهم أشعارا ويتحركون عليها بالتصديفة ويتواجدون؟

وما قول العلماء في قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) هل هي عامة أم مخصوصة بأهل الصفة رضي الله عنهم؟ وهل هذا الحديث الذي يرويه كثير من العوام ويقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله لا الناس تعرفه ولا الولي يعرف أنه ولي » وهل تخفى حالة الاولياء أو طرقهم على أهل العلم أو غيرهم؟ ولماذا سمي الولي وليا؟ وما الفقراء الذين يسبقون الاغنياء الى الجنة والفقراء الذين أوصى الله عليهم في كلامه وذكرهم خاتم أنبيائه ورسله وسيد خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في سنته؟ هل هم الذين لا يملكون كفايتهم أهل الفاقة والحاجة أم

لا؟ والحديث المروي في الابدال هل هو صحيح أم مقطوع؟ وهل الابدال مخصوص بالشام أم حيث تكون شعائر الاسلام قائمة بالكتاب والسنة يكون بها الابدال بالشام وغيره من الاقاليم؟ وهل صحيح أن الولي يكون قاعدا في جماعته ويغيب جسده وما قول السادة العلماء في هذه الاسماء التي تسمى بها أقوام من المنسويين الى الدين والفضيلة ويقولون هذا غوث الاغواث وهذا قطب الاقطاب وهذا قطب العالم وهذا القطب الكبير وهذا خاتم الاولياء؟

وأياها فاقول العلماء في هؤلاء القلندرية الذين يخلقون ذقونهم ما هم؟ ومن أي الطوائف يحسبون؟ وما قولكم في اعتقادهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم شيخهم قلندر عتبا وكلمه بلسان العجم؟ وهل يحل لمسلم يؤمن بالله تعالى أن يدور في الاسواق والقرى ويقول من عنده نذر للشيخ فلان أو اقبره؟ وهل يأثم من يساعده أم لا؟ وما تقولون فيمن يقول ان الست نفيسة هي باب الحوائج الى الله تعالى وأنها خفية بمصر؟ وما تقولون فيمن يقول ان بعض المشايخ اذا قام لسماع المسكاه والتصديفة يحضره رجال الغيب وينشق السقف والحيطان وتنزل الملائكة ترقص معهم أو عليهم وفيهم من يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر معهم؟ وماذا يجب على من يعتقد هذا الاعتقاد؟ وما صفة رجال الغيب وما قول من يقول انه من خفراء التتار؟ وهل يكون للتتار خفراء أم لا؟ واذا كانوا فهل يغلب حال هؤلاء خفراء الكفار كحال خفراء أمة النبي صلى الله عليه وسلم

وهل هذه المشاهد المسماة باسم أمير المؤمنين علي وولده الحسين رضي الله عنهما صحيحة أم مكذوبة؟ وأين ثبت قبر علي بن عم رسول الله؟ والمسؤول من احسان علماء الاصول كشف هذه الاعتقادات والدعاوى والاحوال كشفا شافيا

بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

والحالة هذه أفتونا مأجورين أثابكم الله

أجاب: رضي الله عنه وأرضاه آمين.

الحمد لله رب العالمين: أما الصفة التي ينسب اليها أهل الصفة من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم فكانت في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمال المسجد بالمدينة النبوية كان يأوي اليها من فقراء المسلمين من ليس له اهل ولا مكان يأوي اليه. وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما أمر نبيه والمؤمنين أن يهاجروا الى المدينة النبوية حين آمن به من آمن من أكابر أهل المدينة من الاوس والخزرج وبايعهم بيعة العقبة عند منى وصار للمؤمنين دار عز ومنعة جعل للمؤمنون من أهل مكة وغيرهم يهاجرون الى المدينة وكان المؤمنون السابقون بها صنفين المهاجرين الذين هاجروا اليها من بلادهم والانصار الذين هم اهل المدينة وكان من لم يهاجر من الاعراب وغيرهم من المسلمين لم يحكم آخره، وآخرون كانوا ممنوعين من الهجرة لمنع اكابهم لم بالقييد والحبس، وآخرون كانوا مقيمين بين ظهراني الكفار المستظهرين عليهم وكل هذه الاصناف مذكورة في القرآن وحكمهم باق الى يوم القيامة في أشباههم ونظرائهم قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. وان استنصروكم في الدين فليكن النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فهذا في السابقين

ثم ذكر من اتبعهم الى يوم القيامة فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآية وذكر في السورة الاعراب المؤمنون وذكر المنافقين من اهل المدينة ومن حولها. وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * الا المستضعفين

من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم * وكان الله غفوراً رحيماً

فلما كان المؤمنون يهاجرون الى المدينة النبوية كان فيهم من ينزل على الانصار بأهله أو بنير أهله لان المبايعة كانت على أن يؤوهم ويواسوهم . وكان في بعض الاوقات اذا قدم المهاجر اقترع الانصار على من ينزل منهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالف بين المهاجرين والانصار وأخى بينهم، ثم صار المهاجرون يكثرون بعد ذلك شيئاً بعد شيء، فان الاسلام صار ينتشر والناس يدخلون فيه والنبي صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار تارة بنفسه وتارة بسراياه فيسلم خلق تارة ظاهراً وباطناً وتارة ظاهراً فقط ويكثر المهاجرون، الى المدينة من الاغنياء والفقراء والآلهين والعزاب . فكان من لم يتيسر له مكان يأوي اليه يأوي الى تلك الصفة التي في المسجد . ولم يكن جميع أهل الصفة مجتمعون في وقت واحد بل منهم من يتأهل أو ينتقل الى مكان آخر يتيسر له ويجيء ناس بعد ناس وكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون . فتارة يكونون عشرة أو أقل وتارة يكونون عشرين وثلاثين وأكثر وتارة يكونون ستين وسبعين

وأما جملة من آوى الى الصفة مع تفرقهم فتعد قليل كانوا نحو أربع مائة من الصحابة وقد قيل كانوا أكثر من ذلك . جمع أسماءهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ولم يعرف كل واحد منهم في كتاب تاريخ أهل الصفة (١) وكان معنياً بجمع أخبار النساك والصوفية والآثار التي يستندون اليها والكلمات المأثورة عنهم وجمع أخبار زهاد السلف وأخبار جميع من بلغه انه كان من أهل الصفة وكم بلغوا . والصوفية المستأخرون بعد القرون الثلاثة (١) . وجمع أيضاً في الابواب مثل حقائق التفسير ومثل أبواب التصوف الجارية على أبواب الفقه ومثل كلامهم في التوحيد والمعرفة والمحبة ومسألة السماع وغير ذلك من الاحوال وغير ذلك من الابواب .

(١) هذا التاريخ لابي عبد الرحمن محمد السلمي المذكور المتوفى سنة ٤١٢

وفيا جمعه فوائد كثيرة ومنافع جليلة وهو في نفسه رجل من أهل الخير والدين والصلاح والفضل . وما يرويه من الآثار فيه من الصحيح شيء كثير ويروي أحيانا آثارا ضعيفة بل موضوعة يعلم أنها كذب

وقد تكلم بعض حفاظ الحديث في سماعه وكان البيهقي اذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه وما يظن به وبأمثاله ان شاء الله تعالى تعمد الكذب (١) لكن اهدم الحفظ والانتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية فان الناسك والعباد منهم من هو متقن في الحديث مثل ثابت البناني والفضيل بن عياض وأمثالهم ومنهم من قد يقع في بعض حديثه غلط وضعف مثل مالك بن دينار وفرقد السبخي ونحوهما

وكذلك ما يؤثره أبو عبد الرحمن عن بعض المتكلمين في الطريق أو ينتصر له من الاقوال والاحوال فيه من الهدى والعلم شيء كثير . وفيه أحيانا من الخطأ أشياء وبعض ذلك يكون عن اجتهاد سائق وبعضه باطل قطعا مصدره مثل ما ذكر في حقائق التفسير قطعة كبيرة عن جعفر الصادق وغيره من الآثار الموضوعية وذكر عن بعض طائفة أنواعا من الاشارات التي بعضها أمثال حسنة واستدلالات مناسبة وبعضها من نوع الباطل واللغو. والذي جمعه الشيخ أبو عبد الرحمن في تاريخ أهل الصفة وأخبار زهاد السلف وطبقات الصوفية يستفاد منه فوائد جليلة ويجتنب ما فيه من الروايات الباطلة ويتوقف فيما فيه من الروايات الضعيفة . وهكذا كثير من أهل الروايات ومن أهل الآراء والاذواق من الفقهاء والزهاد والمتكلمة وغيرهم يؤخذ فيما يأترونه عن قلوبهم وفيما يذكرونه معتقدين له شيء كثير وأمر

(١) المنار: ذكر الحافظ في لسان الميزان السلمي هذا ووصفه بأنه شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم وأنه عني بالحديث ورجاله وقال: تكلموا فيه وليس بعمدة بل قال ابن التظان : كان يضع الاحاديث للصوفية وان الحاكم قال كان كثير السماع والحديث متقنا فيه من بيت الحديث والزهد والتصوف . (قل) وقال السراج: مثله ان شاء الله لا يعتمد الكذب ونسبه الى الوهم .

عظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله . ويوجد أحيانا عدم من جنس الآراء والاذواق الفاسدة أو المحتملة شيئا كثيرا، ومن له من الامة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جاهير أجناس الامة فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصايح السجى وغلظهم قليل بالنسبة الى صوابهم وعمانه من موارد الاجتهاد التي يعذرون بها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى الانفس

﴿ فصل وأما حال أهل الصفة ﴾ هم وغيرهم من فقراء المسلمين (الذين) لم يكونوا في الصفة أو كانوا يكونون بها بعض الاوقات - فكما وصفهم الله تعالى في كتابه حيث بين مستحقي الصدقة منهم ومستحقي الفتي . فقال (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) الى قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) وقال في أهل الفتي . (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وكان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند امكان الاكتساب الذي لا يصددهم عما هو واجب أو أحب الى الله من الكسب وأما اذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدمون ما هو أقرب الى الله ورسوله وكان أهل الصفة ضيف الاسلام يبعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون عنده فان الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون اليه من الرزق

واما المسألة فكانوا فيها كما أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم جرهما على المستغني عنها وأباح منها أن يسأل الرجل حقه مثل أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه من مال الله أو يسأل اذا كان لا بد سائلا الصالحين الموسرين اذا احتاج الى ذلك ونهى خواص أصحابه عن المسألة مطلقا حتى كان السوط يسقط من يد أحدهم

فلا يقول لاحدنا واني اياه. وهذا الباب فيه احاديث وتفصيل وكلام للعلماء لا يسعه هذا الكتاب مثل قوله (ص) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه « ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل له ولا مشرف فخذ وما لا فلا تتبعه نفسك (١) . ومثل قوله : من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ما أعطى أحد عطاء خيرا أوسع من الصبر (٢) . ومثل قوله : من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسأله خدوشا أو خوشا أو كدوشا في وجهه (٣) . وقوله : لان يأخذ احدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعه (٤) الى غير ذلك من الاحاديث

واما الجائز منها فمثل ما اخبر الله عز وجل عن موسى والخضر انهما اتيا اهل قرية استظما اهلها . ومثل قوله « لا تحمل المسألة الا لذي الم موجع او غرم مفتح او فقر مدقع . ومثل قوله لقيصة بن مخارق الهلالي « يا قبيصة لا تحمل المسألة الا لثلاثة ، رجل اصابته جائحة اجتاحت ماله فسأل حتى يجد سدادا من عيش وقواما من عيش ثم يمك ، ورجل يحمل حمالة فيسأل حتى يجد حمالة ثم يمك

(١) المنار: الحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظ البخاري في كتاب الاحكام: عن عبدالله بن عمر قال سمعت عمر يقول كان رسول الله (ص) يعطيني العطاء فأقول اعطه أفقر اليه مني ، حتى أعطاني مرة فقلت اعطه من هو افقر اليه مني فقال « خذ فتموله وتصدق به فما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذ وما لا فلا تتبعه نفسك » وله في كتاب الزكاة : اذا جاءك بدل فما جاءك ولفظ مسلم « خذ فتموله أو تصدق به وما جاءك » الخ وزاد في آخره قال سالم : فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه

(٢) هو في الصحيحين أيضا على اختلاف في الفاظه وأوله « ما يكون عندي من مال فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله الخ (٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وفيه زيادة تحدد الغنى بخمسين درهما وفي سنده حكيم بن جبير ضعيف وتكلم فيه شعبة من أجل هذا الحديث ، ومعنى الخوش والخدوش والكدوش واحد (٤) روياه ايضا واللفظ للبخاري

وما سوى ذلك من المسألة فانما هو سحت اكله صاحبه سحتا (١)
 ولم يكن في الصلابة لا اهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس والالحاف
 في المسألة بالكدية والمشاهدة لا بالزنبيل ولا غيره - صناعة وحرفة بحيث لا ينتهي
 الرزق الا بذلك . كما لم يكن في الصحابة ايضا اهل فضول من الاموال يزكون
 لا يؤدون الزكاة ولا ينفقون اموالهم في سبيل الله ولا يعطون في النواصب بل
 هذان الصنفان الظالمان المصران على الظلم الظاهر من مانعي الحقوق الواجبة
 والمعتدين حدود الله في اخذ اموال الناس كانوا معدومين في الصحابة المثني عليهم
 (فصل) من توهم أن أحدا من الصحابة أهل الصفة أو غيرهم أو التابعين
 أو تابع التابعين قاتل مع الكفار أو قاتلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أو اصحابه
 أو انهم كانوا يتحلون ذلك أو أنه يجوز ذلك فهذا ضال غاويل كافر يجب أن
 يستتاب من ذلك فان تاب والا قتل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
 الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

بل كان اهل الصفة ونحوهم كلقراء الذين قنت النبي صلى الله عليه وسلم
 يدعوا على قتلهم من أعظم الصحابة امانا وجهادا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرا
 لله ورسوله كما أخبر الله عنهم بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم
 ينتنون فضلا من الله ورضوانا وينصرون لله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقال
 (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون
 فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة
 ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلف فاستوى على سوقه يعجب
 الزراع ليغيظ بهم الكفار) وقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف

(١) لفظ الحديث في صحيح مسلم « يا قبيصة ان المسألة لا تحمل الا ل احد
 ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته
 جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من
 عيش - ورجل أصابته فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال
 سدادا من عيش - فاسواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا »

يأتي الله بقوم يجهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوات متعددة وكان القتال منه في تسع مغاز مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وحنين ، وانكسر المسلمون يوم أحد وأهزموا ثم عادوا يوم حنين ونصرهم الله ببدر وهم أذلة، وحصروا في الخندق حتى دفع الله عنهم أوائك الاعداء وفي جيم المواطن (كان) يكون المؤمنون من أهل الصفة وغيرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلوا مع الكفار قط

ونما يظن هذا ويقوله من الضلال والمناققين قسمان (قسم منافقون) وان أظهروا الاسلام وكان في بعضهم زهادة وعبادة يظنون أن الى الله طريقا غير الايمان بالرسول ومناجته وان من أولياء الله من يستغني عن متابعة الرسول كاستغناء الخضر عن اتباع موسى وفي هؤلاء من يفضل شيخه أو عالمه أو ملكه على النبي صلى الله عليه وسلم اما تفضيلا مطلقا أو في بعض صفات الكمال وهؤلاء منافقون كفار يجب قتلهم بعد قيام الحجية عليهم فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع النقلين انهم وجنهم ، رهادهم وملوكهم وموسى عليه السلام اما بعث الى قومه لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان يجب على الخضر اتباعه بل قال له اني على علم من علم الله عليه الله لا تعلمه. وأنت على علم من الله تعالى علمك الله لا أعلمه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» وقال الله تعالى (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض) وقال تعالى (وما أرسلناك الا كفة للناس بشيرا ونذيرا

(والقسم الثاني) من يشاهد ربوبية الله تعالى لعباده التي همت جميع البرايا ويظن أن دين الله الموقفة للقدر سواء كان ذلك في عبادة الاوثان واتخاذ الشركاء والشغفاء من دونه وسواء كان فيه الايمان بكتبه ورسله والاعراض عنهم والكفر

يهمهم. وهؤلاء يسوون بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الارض وبين المتقين والنجس، ويعملون المسلمين كالمجربين ويعملون الايمان والتقوى والعمل الصالح بمنزلة الكفر والفسوق والعصيان وأهل الجنة كاهل النار وأولياء الله كأعداء الله، وربما جعلوا هذا من باب الرضا بالقضاء وربما جعلوه التوحيد والحقيقة، بنوا على أنه توحيد الربوبية الذي يقربه المشركون وأنه الحقيقة السكونية. وهؤلاء يعبدون الله على حرف فان أصابهم خير اطمانوا به وان أصابهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة. وغايتهم يتوسعون في ذلك حتى يجعلوا قتال الكفار قتال الله وحتى يجعلوا أعيان الكفار والفجار والاثان من نفس الله وذاته، ويقولون ما في الوجود غيره ولا سواه، بمعنى أن المخلوق هو الخالق والصنوع هو الصانع، وقد يقولون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ويقولون (أنظم من لو يشاء الله أطعمه) الى نحو ذلك من الاقوال والافعال التي هي شر من مقالات اليهود والصارى بل ومن مقالات المشركين والمجوس وسائر الكفار من جنس مقالة فرعون والدجال ونحوهما ممن ينكر الصانع الخالق الباري، رب العالمين أو يقولون إنه هو أو إنه حل فيه

وهؤلاء كفار بأصل الاسلام، وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، فان التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا فلا نجعل له ندا في ألوهيته ولا شريكا ولا شفيعا. فأما توحيد الربوبية وهو الاقرار بأنه خالق كل شيء، فهذا قد قاله المشركون الذين قال الله فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون «الله» وهم يعبدون غيره. وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) (قل لمن الارض؟ من فيها ان كنتم تعلمون) سيقولون لله قل أفلاتنكرون؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) سيقولون لله قل أفلاتتقون؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأتى تدحرون)

قال الكفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والارض وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكاً مساوياً له في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط لا من المجرس النبوية ولا من أهل التلث ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد الانبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم فان جميع هؤلاء وان كانوا كفاراً مشركين متنوعين في الشرك فهم يقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون به في الوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شركاء أو شفعاء — أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب الكائنات دونه مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخالق

وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) وان هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فكل الرسل دعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له والى طاعتهم والايمان بالرسول هو الاصل الثاني من أصلي الاسلام فمن لم يؤمن بأن هذا (١) رسول الله الى جميع العالمين وانته يجب على جميع الخلق متابعتها وان الحلال ما أحله والمرام ما حرمه والدين ما شرعه فهو كافر مثل هؤلاء المنافقين، ونجوه من يجوز الخروج عن دينه وشرعيته وطاعته امامهم واما خصوصا ويجوز اعانة الكفار والفساد على افساد دينه وشرعته ويحتجون بما يقرونه أن اهل الصفة قالوه وانهم قالوا نحن مع الله من كان

(١) المناسب ان يقال : بان محمداً (ص)

مع الله كنا معه ير بدون بذلك الحقيقة الكونية دون الامر والحقيقة الدينية ويحتج بمثل هذا من ينصر الكفار والفجار ويخفرهم بهمة وقلبه وتوجهه من ذوي الفقر. ويعتدون مع هذا أنهم من أولياء الله وان الخروج عن الشريعة الحميدة سائغ لهم، وكل هذا ضلال وباطل وان كان لاصحابه زهد وعبادة فهم في العبادة، مثل أوليائهم في الاجناد، فان المرء على دين خليله والمرء مع أحب هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد جعل الله المؤمنين بعضهم اولياء بعض والكافرين بعضهم أولياء بعض، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين من الاسلام مع عبادتهم العظيمة الذين قال فيهم « يحقر أحدكم صلواته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقرآنه مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركنهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وفارقوا جماعة المسلمين، فكيف بمن يعتقد أن المؤمنين كانوا يقاتلون النبي صلى الله عليه وسلم

ومثل هذا ما يرويه بعض هؤلاء المقتريين ان اهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج وان الله أمره أن لا يعلم به أحدا فلما أصبح وجدهم يتحدثون به فأنكر ذلك فقال الله له أنا أمرتك أن لا تعلم به احدا لكن أنا الله أعلمتهم الى أمثال هذه الاكاذيب التي هي من اعظم الكفر وهي كذب واضح فان اهل الصفة لم يكونوا الا بالمدينة ولم يكن بمكة اهل صفة والمعراج إنما كان من مكة كما قال سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بيمينه ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) وما يشبه هذا من بعض الوجوه رواية بعضهم عن عمر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث هو وأبو بكر وكنت كالزنجي بينهما. وهذا من الافك الخلق، ثم إنهم مع هذا يجعلون عمر الذي سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام بل كان كالزنجي ويدعون أنهم هم سمعوه وعرفوه، ثم كل منهم يفسره بما يندعيه من الضلالات

الكفرية التي يزعم أنها علم الاسرار والحقائق إما الاتحاد وإما تعطيل الشرائع ونحو ذلك مثلاً ما يدعي النصيرية والاسماعيلية والقرمطية والباطنية الثنوية والحاكية وغيرهم — من الضلالات المخالفة لدين الاسلام ما ينسبونه الى علي بن أبي طالب أو جعفر الصادق أو غيرهما من أهل البيت كالبطاقة والهفت والجدول والجفر وملحمة بن عقب وغير ذلك من الاكاذيب المفتراة باتفاق جميع أهل المعرفة وكل هذا باطل، فانه لما كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم به اتصال النسب والقرابة، وللاولياء والصالحين منهم ومن غيرهم به اتصال الموالاة والمتابعة، صار كثير ممن يخالف دينه وشريعته وسنته يمويه باطله وبزخرفه بما يقتر به على أهل بيته وأهل موالاته ومتابعته وصار كثير من الناس يفلو إمامي قوم من هؤلاء أو من هؤلاء حتى يتخذهم آله أو يقدم ما يضاف اليهم على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وحتى يخالف كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السلف الطيب من أهل بيته ومن أهل الموالاة له والمتابعة وهذا كثير في أهل الضلال

(فصل) وأما تفضيل أهل الصفة على العشرة وغيرهم فخطأ وضلال بل خير هذه الامة بمد نبيها أبو بكر ثم عمر كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب موقوفاً ومرفوعاً وكما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وأئمة العلم والسنة وبعدهما عثمان وعلي وكذلك سائر أهل الشورى مثل طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وهؤلاء مع أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الامة ومع سعيد بن زيدم العشرة المشهود لهم بالجنة وقد قال الله تعالى في كتابه (لا يستوي منكم من أتق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين اتفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ففضل السابقين قبل فتح المدينة الى الجهاد بأنفسهم وأموالهم على التابعين بعدهم وقال الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان) وقد ثبت في فضل البدرين ما تميزوا به علي وغيرهم وهؤلاء الذين فضلهم

الله ورسوله فمنهم من هو من اهل الصفة، والعشرة لم يكن فيهم من هو من اهل الصفة الا سعد بن أبي وقاص فقد قيل انه اقام بالصفة مرة، واما اكابر المهاجرين والانصار مثل الخلفاء الاربعة ومثل سعد بن معاذ واسيد بن الحضير وعباد بن بشر وابي ايوب الانصاري ومعاذ بن جبل وابي بن كعب ونحوهم لم يكونوا من اهل الصفة بل عام اهل الصفة اذ كانوا من فقراء المهاجرين، والانصار كانوا في ديارهم ولم يكن احد ينذر لاهل الصفة ولا لغيرهم

﴿ فصل ﴾ واما سماع المسكئ والتصديفة وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية سواء كان بكف او بقضيب او بدف او كان مع ذلك شبابه فهذا لم يفعله احد من الصحابة لا من اهل الصفة ولا من غيرهم ولا من التابعين بل القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » لم يكن فيهم احد يجتمع على هذا السماع لا في الحجج زولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب وانما كان السماع الذين يجتمعون عليه سماع القرآن وهو الذي كان الصحابة من اهل الصفة وغيرهم يجتمعون عليه فكان اصحاب محمد اذا اجتمعوا امرؤا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اهل الصفة وفيهم قاري، يقرأ فجلس معهم، وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكل من نقل أنهم كان لهم حاد ينشد القصائد الربانية بصلاح القلوب أو أنهم لما أنشد بعض القصائد تواجدوا على ذلك أو أنهم مزقوا ثيابهم أو أن قائدا أنشدهم

قد استعت حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راتي

الا الطيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياتي

أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال « ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم » أنشدوا شعرا وتواجدوا عليه فكل هذا وأمثاله كذب مقترى وكذب مختلق باتفاق أهل الآفاق من أهل العلم وأهل الإيمان لا ينازع في ذلك

الاجاهل ضال وان كان قد ذكر في بعض الكتب شيء من ذلك فسكاه كذب
باتفاق أهل العلم والايان

(فصل) وأما قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالعداة والعشي يريدون وجهه) فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والمصر في جماعة فإلهم يدعون ربهم بالعداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا من اهل الصفة أو غيرهم. أمر الله نبيه بالصبر مع عباد الله الصالحين الذين يريدون وجهه وأن لا تعدو عيناه عنهم (تريد زينة الحياة الدنيا) وهذه الآية في الكهف وهي سورة مكية وكذلك الآية التي هي في سورة الانعام (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالعداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فاطردهم فتكون من الظالمين)

وقد روي أن هاتين الآيتين نزلتا في المؤمنين المستضعفين لما طلب المستكبرون أن يبعدهم النبي صلى الله عليه وسلم فنجاه الله تعالى عن طرد من يريد وجهه وان كان مستضعفا ثم أمره بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة وقبل وجود الصفة لكن هي متناولة لكل من كان بهذا الوصف من اهل الصفة وغيرهم والمقصود بذلك أن يكون مع المؤمنين المتقين الذين هم اولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء فلا يتقدم أحد عند الله تعالى بسلطانه وماله ، ولا بذله وفقره ، وانما يتقدم عنده بالايان والعمل الصالح ، فمنه الله سبحانه وتعالى أن يطاع (١) أهل الرئاسة والمال الذين يريدون ابعاد من كان ضعيفا أو فقيرا وأمره أن لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وأن يصبر نفسه معهم في الجماعة التي أمر فيها بالاجتماع بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطيع أمر الغافلين عن ذكر الله المتبين لاهوائهم

(١) لعل الاصل : فمنه الله سبحانه وتعالى نبيه ان يطيع الخ بتدليل ما عطف عليه من قوله : وامره الخ

﴿فصل﴾ وأما الحديث المروي «مامن جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي الله» (١) فمن الاكاذيب ليس في دواوين الاسلام وكيف والجماعة قد تكون كفارا وفساقا يموتون على ذلك

﴿فصل﴾ وأولياء الله تعالى هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسمان المقتصدون اصحاب اليمين والمقربون السابقون فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال الله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا — الى قوله — ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال (لا تتخذوا عديي وعدوكم أولياء) وقال (و هو يوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون) وقال (افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو)

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما اقترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كت سمه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يسمي »

والولي: من الولي (٢) وهو القرب، كما ان العدو من العدو، وهو البعد فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب اليه بما امر به من طاعاته وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين المقتصدون اصحاب اليمين وهم المتقربون الى الله تعالى بالواجبات والسابقون المقربون وهم المتقربون

(١) زاد بعضهم فيه : لاهم يدرون به ولا هو يدري بنفسه . قال علي القاري

في موضوعاته وهو كلام باطل

(٢) الولي بوزن فلس القرب قاله في المصباح

بالتواقل بعد الواجبات . وذكروا في سورة فاطر والواقعة والانسان والمطففين وأخبر ان الشراب الذي يروى به المقر بون بشر بهم اياه يمزج لاصحاب اليمين . والولي المطلق هو من مات على ذلك فاما ان قام به الايمان والتقوى وكان في علم الله تعالى انه يرتد عن ذلك فهل يكون في حال ايمانه وتقواه وليا لله أو يقال لم يكن وليا لله قط لعلم الله بعاقبة هدايته؟ قولان للعلماء

وكذلك عندهم الايمان الذي يعقبه الكفر هل هو ايمان صحيح ثم يبطل بمنزلة ما يمحط من الاعمال بعد كاله؟ أو هو ايمان باطل بمنزلة من أفطر قبل غروب الشمس في صيامه ومن أحدث قبل السلام في صلاته ايضا؟ فيه قولان للفقهاء المتكلمين والصوفية والنزاع في ذلك بين أهل السنة والحديث من أصحاب الامام احمد وغيرهم ،

وكذلك يوجد النزاع فيه بين أصحاب مالك والشافعي وغيرهم . لكن أكثر أصحاب ابي حنيفة لا يشترطون سلامة العاقبة، وكثير من أصحاب مالك والشافعي شرط سلامة العاقبة، وهو قول كثير من متكلمي أهل الحديث كالأشعري ومن متكلمي الشيعة وينون على هذا النزاع هل ولي الله يصير عدو الله؟ وبالعكس؟ ومن أحبه الله ورضي عنه هل ابغضه الله وسخط عليه في وقت ما؟ وبالعكس؟ ومن ابغضه الله وسخط عليه هل أحبه الله ورضي عنه في وقت ما على القولين والتحقق وهو الجمع بين القولين فان علم الله القديم الازلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير، فمن علم الله منه انه يوافي حين موته بالايمان والتقوى فقد تعلقت به محبة الله وولايته ورضاه عنه ازلا وأبدا

وكذلك من علم الله منه انه يوافي حين موته بالكفر فقد تعلق به بغض الله وعداوته وسخطه أزلا وأبدا لكن مع ذلك فان الله يبغض ما قام بالاول من كفر وفسوق قبل موته ، وقد يقال انه يبغضه ويمقتة على ذلك كما ينهيه عن ذلك وهو سبحانه وتعالى يأمر بما فعله الثاني من الايمان والتقوى ويحب ما يأمر به ويرضاه . وقد يقال انه يولييه حينئذ على ذلك .

والدليل على ذلك اتفاق الامة على ان من كان مؤمناً ثم ارتد فانه لا يحكم بان
 إيمانه الاول كان فاسداً بمنزلة من أفسد الصلاة والصيام والحج قبل الاكمال وانما
 يقال كما قال الله تعالى (ومن يكفر بالإيمان فقد محبط عمله) وقال (لمن
 أشركت ليحبطن عمله) وقال (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)
 ولو كان فاسداً في نفسه لوجب ان يحكم بفساد انكحته المتقدمة وتحريم ذبايحها
 وبطلان عباداته جميعها حتى لو كان قد حج عن غيره كان حججه باطلاً ، ولو
 صلى مدة يقوم ثم ارتد كان لهم أن يعيدوا صلاتهم خلفه ، ولو شهد أو حكم ثم
 ارتد أن تفسد شهادته وحكمه ونحو ذلك . وكذلك أيضاً الكافر اذا تاب من
 كفره ولو كان محبوباً لله ولها له في حال كفره لوجب ان يقضى بعدم احكام
 ذلك الكافر وهذه كلها خلاف ما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع

والكلام في هذه المسألة نظير الكلام في الآجال والارزاق ونحو ذلك وهي ايضا
 على قاعدة الصفات الفعلية وهي قاعدة كبيرة وعلى هذا يخرج جواب السائل .
 فمن قال ان ولي الله لا يكون الا من وافاه حين الموت بالإيمان والتقوى فالعلم
 بذلك أصعب عليه وعلى غيره . ومن قال قد يكون ولي الله من كان مؤمناً تقياً
 وان يعلم عاقبته فالعلم بذلك أسهل ومع هذا يمكن العلم بذلك للولي نفسه ولغيره
 ولكنه قليل ولا يجوز التهميم بالقطع على ذلك . فمن ثبتت ولايته لله بالنص وانه
 من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد به بالنص . واما
 من شاع له لسان صدق من الامة بحيث اتفقت الامة على الثناء عليه فهل يشهد
 له بذلك ؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة والاشبه أن يشهد له بذلك ، هذا في
 الامر العام

وأما خواص الناس فقد يعلمون عواقب اقوام بما يكشفه الله لهم . لكن
 ليس هذا مما يجب التصديق العام به فان كثيراً مما يظن به انه حصل له هذا
 الكشف يكون ظاناً في ذلك ظناً لا يعني من الحق شيئاً ، واهل المكاشفات
 والمحاطبات يصيدون تارة ويخطئون أخرى كاهل النظر والاستدلال في موارد

الاجتهاد ولهذا وجب عليهم جميعهم ان يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله وان
يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم وآراءهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله لا
يكتفوا بمجرد ذلك ، فان سيد المحدثين المخاطبين الملمهين من هذه الامة هو عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كان تقع له وقائع يردها عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصديقه التابع له الآخذ عنه الذي هو اكل من المحدث الذي يحدث
نفسه عن ربه ولهذا اوجب على جميع الخلق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
وطاعته في جميع امورهم الباطنة والظاهرة ، ولو كان احد بآتيه من الله ما لا يحتاج
الى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيا عن الرسول في بعض دينه ، وهذا
من اقوال المارقين الذين يظنون ان من الناس من يكون مع الرسول كالحضر مع موسى
ومن قال هذا فهو كافر . وقد قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا
اذا تمنى القى الشيطان في امنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
والله عليم حكيم) فقد ضمن الله للرسول ولتبي ان ينسخ ما يلقي الشيطان في
امنيه ولم يضمن ذلك للمحدث ولهذا كان في الحرف الآخر الذي كان يقرأ به
ابن عباس وغيره : وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا يحدث الا اذا تمنى
التقى الشيطان في امنيه

ويحتمل والله أعلم أن يكون هذا الحرف متلوا حيث لم يضمن نسخ مالقى
الشيطان فاما نسخ مالقى الشيطان فليس الا للانبياء والمرسلين اذ هم معصومون
فما يبلغون عن الله تعالى أن يستقر فيه شيء من القاء الشيطان ، وغيرهم لا يجب
عصمتهم من ذلك وان كان من اولياء الله المتقين ، فليس من شرط اولياء الله المتقين
أن لا يكونوا مخطئين في بعض الاشياء خطأ مغفورا لهم بل ولا من شرطهم
ترك الصغائر مطلقا ، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه
التوبة وقد قال الله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به اولى عند الله من
المتقين) * لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم
أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فقد وصفهم الله تعالى بانهم هم المتقون

والمتمون هم اولياء الله ومع هذا باجزائه ويكفر عنهم أسوء الذي عملوا (١) وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والايمان ، وانما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة واشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون انه من الاولياء ، فالرافضة تزعم أن الاثني عشر معصومون من الخطأ والذنب ، ويرون هذا من أصول دينهم ، والغالية في المشايخ قد يقولون إن الولي محفوظ والنبي معصوم ، وكثير منهم لم يقل ذلك بلسانه فخاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطيء ولا يذنب ، وقد يبلغ الغلو بالطائفتين الى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي أو أفضل منه ، وان زادوا الامر جعلوا له نوعاً من الالهية ، وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهة للضلالات النصرانية فان في النصرارى من الغلو في المسيح والرهبان والاحبار ما ذمهم الله عليه في القرآن وجعل ذلك عبرة لنا لئلا نسلك سبيلهم ولهذا قال سيدولد آدم « لا تطروني كما أطرت النصرارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

(فصل) وأما الفقراء الذين ذكروهم الله تعالى في كتابه فهم صنفان مستحقو الصدقات ومستحقو الفداء أما المستحقون للصدقات فقد ذكروهم الله في قوله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفي قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) واذ ذكر في القرآن اسم المسكين وحده أو الفقير وحده كقوله (أو اطعام عشرة مساكين) فهما شيء واحد واذا ذكرا جميعا فهما صنفان

والمقصود بها أهل الحاجة وهم الذين لا يجدون كفايتهم لا من مسألة ولا من كسب يقدرون عليه ، فمن كان كذلك من المسلمين استحق الاخذ من صدقات المسلمين المفروضة والموقوفة والمنذورة والموصى بها ، وبين الفقهاء نزاع في بعض فروع هذه المسائل معروفة عند أهل العلم

(١) كذا في الاصل وهو محرف والمعنى الذي يدل عليه السياق أنهم مع يسئرون ولكن الله يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا أي لغلبة احسانهم على سبئانهم

وخذ هؤلاء — الاغنياء الذين تحرم عليهم الصدقة ثم هم نوعان نوع نجيب عليه الزكاة وان كانت الزكاة تجب على من قد تباح له عند جمهور العلماء، ونوع لا تجب عليه، وكل منهما قد يكون له فضل عن نفقائه الواجبة وهم الذين قال الله فيهم (ويسألونك ماذا بنفقون قل المفقون) وقد لا يكون له فضل . وهؤلاء الذين رزقهم قوت وكفاف فهم اغنياء باعتبار غناهم عن الناس، وهم فقراء باعتبار انه ليس لهم فضول يتصدقون بهاء وانما يسبق الفقراء الاغنياء الى الجنة بنصف يوم لعدم فضول الاموال التي يحاسبون على مخارجها ومصارفها فن لم يكن له فضل كان من هؤلاء وان لم يكن من اهل الزكاة

ثم ار باب الفضول ان كانوا محسنين في فضول اموالهم فقد يكونون بعد دخول الجنة ارفع درجة من كثير من الفقراء الذين سبقوهم كما يقدم اغنياء الانبياء والصديقين عن السابقين وغيرهم على الفقراء الذين دونهم . ومن هنا قال الفقراء: ذهب اهل الثور بالاجور، وقيل لما ساوهم الاغنياء في العبادات البدنية وامتازوا عنهم بالعبادات المالية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فهذا هو الفقير في عرف الكتاب والسنة

وقد يكون الفقراء سابقين، وقد يكونون مقتصدين ويكونون ظالمين انفسهم كالاغنياء . وفي كلا الطائفتين المؤمن الصديق، والمنافق الزنديق
 واما المستأخرون فالفقير في عرفهم عبارة عن السالك الى الله تعالى كما هو الصوفي في عرفهم أيضا، ثم منهم من يرجع مسمى الصوفي لانه عنده الذي قطع الملائق كما هو لم يتقيد في الظاهر بغير الامور الواجبة، وهذه منازعات لفظية اصطلاحية، والتحقيق ان المراد المحمود بهذين الاسمين داخل في مسمى الصديق اوالولي والصالح ونحو ذلك من الاسماء التي جاء بها الكتاب والسنة فن حيث دخل في الاسماء النبوية يترتب عليه من الحكم ما جاءت به الرسالة
 وأما ما تميز به مما بعده حاجه فضلا وليس بفضل أو مما يوالي عليه صاحب غيره ونحو ذلك من الامور التي يترتب عليها زيادة الدرجة في الدنيا

فهي أمور مهددة في الشريعة الا اذا جعلت من المباحات من الامور المستحبات ، (١) وأما ما يقترن بذلك من الامور المكروهة في دين الله من أنواع البدع والفجور فيجب النهي عنه كما جاءت به الشريعة

﴿ فصل ﴾ وأما الاسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامه مثل العوث الذي يكون بمكة والاوزاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعة والنجباء الثلاثمائة فهذه الاسماء ليست موجودة في كتاب الله ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل الا لفظ الابدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان فيهم - يعني أهل الشام - الابدال أربعين رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً» ولا توجد هذه الاسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الامة قبولاً عاماً وانما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها اما أثراً لها عن غيره أو ذكرها . وهذا الجنس ونحوه من العلم الذي قد التبس على أكثر المتأخرين حقه بباطله ، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده . وصار كثير من الناس فيه على طرفي نقبض قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل ، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق ، وانما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل ، وهذا تحقيق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ركوب هذه الامة سنن من كان قبلها حذوا القذة بالقذة ، فان أهل الكتابين لبسوا الحق بالباطل ، وهذا هو التبديل

« ١ » كذا في نسختنا ولا يظهر له معنى جلي بغير تكلف ولعل اصله اذا جعلت المباحات مما ذكر من المستحبات بالنية الصالحة كالسياحة الاصل فيها الاباحة وقد تكون مستحبة اذا نوي بها امر مستحب شرعاً كتحصيل العلوم والفنون النافعة غير الواجبة شرعاً كما تكون واجبة وفنون البهائم التي تتوقف عليها المصالح المعاشية والحربية من فروض الكفايات

والتعريف الذي وقع في دينهم، ولهذا يعتبر (١) الدين بالتبديل تارة وبالتسوخ أخرى وهذا الدين لا ينسخ أبداً لكن يكون فيه من يدخل فيه من التعريف والتبديل والكذب والكنهان ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجية خلفاً عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين (٢)، ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون. فبالكتب المنزلة من السماء والآثار من العلوم الماثورة عن الانبياء يميز الله الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه،

وبذلك يتبين ان هذه الاسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقا في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه واطلاقه باطل، فان المؤمنين يقولون تارة ويكفرون أخرى ويقبل فيهم السابقون المقربون تارة ويكفرون أخرى وينقلون في الامكنة، ليس من شرط أولياء الله أهل الايمان والتقوى ومن يدخل منهم في السابقين القريبين لزوم مكان واحد في جميع الازمنة،

وقد بعث الله رسوله بالحق وأمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الاعداد، ومن الممتنع أن يكون منهم من كان في الكفار

ثم هاجر هو وأصحابه الى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة، ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة، وبها انعدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعثمان وعمر وعلي وإن كان (علي) قد خرج منها بعد أن بويع له فيها. ومن الممتنع انه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم

ثم ان الاسلام انتشر في مشارق الارض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين القريبين من لا يحصي عدده الارب العالمين لا يحصون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف، ولما انقرضت القرون

١ - النار : لعل الاصل : يتغير - بدل : يستمر .

٢ - هنا حديث أوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه الخ

الثلاثة الفاضلة كان ايضا في القرون الخالية من اولياء الله المتقين بل من السابقين من جعل لهم عددا محصورا لازما فهو من المتظلمين (?) عددا أو خطأ
وأما لفظ القوث والفيث فلا يستحقه الا الله تعالى فهو غياث المستغيثين
لا يجوز لاحد الاستغانة بغيره لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل. ومن زعم أن أهل
الارض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة بهم،
الى الثلاثمائة والثلاثمائة الى السبعين، والسبعين الى الاربعين والاربعين الى السبعة
والسبعة الى الاربعة والاربعة الى القوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان
المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله (واذا مسك الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه) وقال (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) فكيف يكون المؤمنون يرفعون اليه
حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب وهو القائل تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني
قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)
وقال الخليل عليه السلام داعياً لاهل مكة (ربنا اني أسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا لقيموا الصلاة فاكمل أفئدة من الناس
يهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا إنك تعلم ما نخفي وما
نعلم، وما يحتق على الله من شيء في الارض ولا في السماء، الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء) وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه لما رفعوا أصواتهم بالتلبية « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم
لا تدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميما قريبا ان الذي تدعونه أقرب الى
أحدكم من عنق راحته »

وهذا باب واسع وقد علم المسلمون كلهم انه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم
المرفوفون يرفعون الى الله حوائجهم لا ظاهرا ولا باطنا بهذه الوسائط والمجباب
فصلى الله عن تشبيهه بالخلق من الملوك وسائر ما يقرله الظالمون علوا كبيرا
وهذا من جنس دعوى الراضية أنه لا بد في كل زمان من امام موصوم
يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الايمان الا به ثم مع هذا يقولون انه كان

صيا دخل السرداب من أكثر من اربعمائة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خير .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والاعداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوم في السابق والتالي والناطق والاساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان ، واما الاولاد فقد يوجد في كلام بعضهم أنه يقول فلان من الاولاد ومعنى ذلك أن الله يثبت به من الدين والايمان في قلوب من يهديهم الله به كما يثبت الارض باوتادها وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة فكل من حصل به تثبيت العلم والايمان في جمهور الناس كان بمنزلة الاولاد العظيمة والرجال الكبيرة ، ومن كان دونه كان بحسبه وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا أكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة لقول المنجمين في اوتاد الارض

(فصل) وأما القطب فيوجد في كلامهم أيضا: فلان من الاقطاب وفلان قطب ، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين والدنيا باطنا أو ظاهرا فهو قطب ذلك الأمر ومداره سراه كان الدائر عليه أمر داره أو قرية أو مدينة أمر دينها أو دنياها باطنا أو ظاهرا ، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر لكن المدروح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدين دون مجرد صلاح الدنيا وهذا هو القطب في عرفهم ، وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا

وكذلك لفظ البدل جاء في كلام كثير منهم فلما الحديث المرفوع فلاشبه أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فان الايمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر ثم في خلافة علي قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ممرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق» فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام

ومعلوم أن الذين كانوا مع علي من الصحابة مثل عمار وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين مع معاوية وإن كان سعد بن أبي وقاص ومحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهم، فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام؟ هذا باطل قطعاً، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكل شيء قدراً

والكلام يجب أن يكون بالعلم وبالقياس فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله (ولا تتق ما ليس لك به علم) وفي قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ومن لم يتكلم بوسط وعدل خرج من قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله) ومن قوله (واذا قلتم فاعدلوا) ومن قوله (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)

والذين تكلموا باسم البديل أفردوه بمعان منها أنهم ابدال (١) ومنها أنهم كلما مات منهم رجل ابدل الله مكانه رجلاً، ومنها أنهم ابدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بالحسنات، وهذه الصفات كلها لا تخص باربعين ولا بأقل ولا أكثر، ولا تحصر باهل بقعة من الارض، وبهذا التحريز يظهر المعنى باسم النجباء. فالغرض أن هذه الاسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة واجماع السلف مثل تفسير بعضهم بان القوث هو الذي يعيث الله به اهل الارض من رزقهم ونصرهم. فان هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب وهو معدوم العين والاثر، وتشبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو اربعمائة وأربعين سنة، وكذلك من فسر الاربعين الأبدال بان الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل باسباب من اركانها وهما المسلمين المؤمنين وصلاتهم واخلاصهم ولا ينقيد ذلك لا باربعين ولا بأقل ولا أكثر كما في الحديث المعروف ان سعد بن أبي وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون حامياً القوم ايسهم له مثل ما يسهم لضمعتهم؟ فقال «يا سعد وهل تنصرون وترزقون الا بضمفانكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم» وقد يكون للنصر والرزق أسباب آخر فان الكفار ايضاً والفجار ينصرون ويرزقون. وقد

(١) كذا وقد سقط منه المضاف اليه وأتذكر أنهم قالوا ابدال الانبياء

يجذب الله الارض على المؤمنين ويخيئهم من عدوم ، لينبوا اليه ويتوبوا من ذنوبهم ، فيجمع لهم بين غفران الذنوب ، وتفرج الكروب ، وقد يبلي للكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا و يمدم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إماليا أخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر ، واما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة ، فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول لربي أكرم من * وأما اذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا)

(فصل) وليس في أولياء الله المتقين بل ولا انبياء الله ولا المسلمين من كان ضائب الجسد دائما عن أبصار الناس بل هذا من جنس قول القائل بان عليا في السحاب وان محمد بن الحنفية في جبال رضوى ، وان محمد بن الحسن في سرداب سامراء ، وان الحاكم في جبل مصر ، وان الابدال رجال الغيب في جبل لبنان . فكل هذا ونحوه من قول أهل الافك والبهتان ، نعم قد تحرق العادة في حق الشخص فيغيب تارة عن أبصار الناس اما لدفع عدو عنه وإما لغير ذلك . وأما أنه يكون هكذا طول عمره فباطل ، نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده ومافيه من أسرار الله وأمانته وأنواره ومعرفته غيبا عن الناس ، ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس ، فهذا هو الواقع . وأسرار الحق بينه وبين اوليائه وأكثر الناس لا يعلمون

(فصل) وقد بينا عن بطلان اسم الغوث مطلقا واندرج في ذلك غوث العرب والعجم ومكة والغوث السابع ، وكذلك لفظ خاتم الاولياء لفظ باطل لا أصل له ، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي ، وقد اتحل طائفة كل منهم يدعي انه خاتم الاولياء كابن هويه وابن العربي وغيرها وكل منهم يدعي انه أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الوجوه الى غير ذلك من الكفر والبهتان وكل طعما (?) في رياسة خاتم الانبياء

وقد غلطوا فان خاتم الانبياء أما كان أفضلهم للادلة الدالة على ذلك ، وليس كذلك للاولياء فان أفضل اولياء هذه الامة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وخير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وخير قرونها القرن الذي يمش فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم . وخاتم

الاولياء في الحقيقة هو آخر مؤمن تقي يكون من الناس ، وليس ذلك بخير
الاولياء ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس
وما غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما

(فصل) وأما هؤلاء القلندرية المحققين الحقى فمن أهل الضلالة والجهالة
وأكبرهم كافرون بالله ورسوله لا يرون وجوب الصلاة والصيام ولا يحرمون ما
حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، بل كثير منهم أ كفر من اليهود
والنصارى ، وهم ليسوا من أهل الملة ولا من أهل السنة ، وقد يكون فيهم من
هو مسلم لكن مبتدع ضال أو قاسق فاجر . ومن قال ان قلندر كان موجودا في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب واقترى بل قد قيل أصل هذا الصنف
أنهم كانوا قوما من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد اداء
الفرائض واجتناب المحرمات ، هكذا فسرم الشيخ أبو حفص السهروردي في
حوارته . ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات بمنزلة الملامية الذين
كانوا يخفون حسنتهم ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زبي الاغنياء
ولبس العمامة ، فهذا قريب وصاحبه ماجور على نيته ، ثم حدث قوم فدخلوا في
أمور مكروهة في الشريعة ثم زاد الامر ففعل قوم المحرمات من الفواحش
والمنكرات ، وترك الفرائض والواجبات ، وزعموا ان ذلك دخول منهم في الملاميات .
ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة .
وتجب عقوبتهم جميعهم ومنعهم من هذا الشمار الملعون كما يجب ذلك في كل معين
ببدعة أو فجور وليس ذلك مختصا بهم بل كل من كان من المنتسكة والمتفتحة
والتعبدة والمتفكرة والتمزدة والمتكلمة والمنفلسة ومن واقفهم من الملوك والاغنياء
والكتاب والحساب والاطباء وأهل الديوان والعامية خارجا عن الهدى ودين الحق
الذي بعث الله به رسوله باطنا وظاهرا مثل من يمتد ان شيخه يرزقه وينصره
أو يهديه أو يفيثه ، أو كان يعبد شيخه ويدعوه ويسجد له ، أو كان يفضله على
النبي صلى الله عليه وسلم تفضيلا مطلقا أو مقيدا في شيء من الفضل الذي يقرب
الى الله تعالى ، أو كان يرى انه هو وشيخه مستغن عن متابعة الرسول ، فكل

هؤلاء كفار ان اظهروا ، ومناققون ان ابطنوا ، وهؤلاء الاجناس وان كانوا قد
كفروا في هذه الازمان ، فقلة دعة العلم والايمان ، وفور آثار الرسالة في أكثر
البلدان ، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به
المهدي وكثير منهم لم يبلغهم ذلك . وفي أوقات الفترات وأمكنة الفترات يثاب
الرجل على ما معه من الايمان القليل ويغفر الله فيه لمن لم يقم الحجبة عليه ما لا
يفر به لمن قامت الحجبة عليه كما في الحديث المعروف « يأتي على الناس زمان لا
يعرفون فيه صلاة ولا صياما ولا حجابا ولا عمرة الا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة
ويقولون ادر كنا آباءنا وم يقولون لا إله الا الله » فقبل لحذيفة بن اليمان ما تلقى
عنه لا إله الا الله ؟ فقال تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار
وأصل ذلك ان المقالة التي هي كفر بالكتاب أو السنة أو الاجماع يقال هي
كفر قولا يطلق كادل على ذلك لدال الشرعي فان الايمان من الاحكام المتلقاة
عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بقانونهم وأهوائهم . ولا يجب ان
يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حته شروط التكفير وتنفي
موافقه ، مثل من قال ان الحمر أو الربا حلال لقرب عهده بالاسلام أو لنشوته
في بادية بعيدة ، أو سمع كلاما (١) أنكره ولم يعتقد انه من القرآن ولانته من أحاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان بعض السلف ينكر اشياء حتى يثبت عنده
ان النبي صلى الله عليه وسلم قالها وكما كان الصحابة يشكون في اشياء مثل رؤية الله
وغير ذلك حتى يسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثل الذي قال اذا
أنا مت فاسحقوني وذروني في اليم لعل لي أضل عن الله ونحو ذلك فان هؤلاء لا يكفرون
حتى تقوم عليهم الحجبة بالرسالة كما قال الله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل) وقد عفا الله هذه الامة عن الخطا والنسيان . وقد اشبعنا الكلام في
القواعد التي في هذا الجواب في أما كتبها والفتوى لا تحتمل البسط أكثر من هذا
(فصل) واما النذر للقبور أو لسكان القبور أو العاكفين على القبور
سواء كانت قبور الانبياء أو الصالحين فهو نذر حرام باطل يشبه النذر للاوثان
(١) لعله سقط من هنا وصف لهذا بأنه « من كلام الله أو رسوله (ص) »

سواء كان نذر زيت أو شمع أو غير ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم «لئن الله زوارت القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» (١) وقال «لئن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا (٢) وقال «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك» (٣) وقال «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من بعدي» (٤)

وقد اتفق ائمة الدين على انه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا أن تعلق عليها الستور، ولا ان ينذر لها الندور، ولا ان يوضع عندها الذهب والفضة. بل حكم هذه الاموال ان تصرف في مصالح المسلمين اذا لم يكن لها مستحق معين. ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كأننا من كان الميت فان ذلك من أكبر أسباب عبادة الاوثان كما قال تعالى (وقالوا لا تدرن آلهنكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يعوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) وقال طائفة من السلف هذه أسماء قوم صالحين لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم عبدوهم . ومن نذر لها نذرا لم يجز له الوفاء لما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » وعليه كفارة يمين (٥) ولما روى عنه انه قال « لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين » (٦)

ومن العلماء من لا يوجب عليه الا الاستغفار والتوبة . ومن الحسن ان يصرف مآثره في نظيره من المشروع مثل أن يصرف الدهن الى تدوير المساجد والنقطة

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ زائرات وسنده صحيح ، و « لئن الله زوارت القبور » حديث آخر صحيح أيضا (٢) رواه الشيخان وغيرها عن عائشة وفي بعض الروايات تعليل آخر لهذا اللفظ غير تحذير المسلمين عن اتخاذ القبور مساجد وهو قولها : ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشى ان يتخذ مسجدا

(٣) هذه جملة من حديث آخر لها في هذا الموضوع عند مسلم وهناك الفاظ أخرى بمعنى واحد وصرحت بأنه (ص) قال ذلك في مرضه الاخير قبل وفاته بخمسة ايام (٤) رواه مالك في الموطأ (٥) رواه احمد والبخاري وأصحاب السنن الاربعة عن عائشة (٦) رواه احمد وأصحاب السنن عنها أيضا وهو صحيح

الى صالحة فقراء المؤمنين وان كانوا من أقارب الشيخ ونحو ذلك . وهذا الحكم عام في قبر نفيسة ومن هو أكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة والزبير وغيرها بالبصرة وقبر سلمان الفارسي وغيره بالعراق والمشاهد المنسوبة الى علي رضي الله عنه والحسين وموسى وجعفر وقبر مثل معروف الكرخي واحمد بن حنبل وغيرهم رضي الله عنهم

ومن اعتقد ان بالنذور لها نفعا أو أجراً ما فهو ضال جاهل . فقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال « انه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل » (١) وفي رواية « إنما يلقي ابن آدم الى القدر » فاذا كان هذا في نذر الطاعة فكيف في نذر المعصية؟ فيعتقدون انها باب الحوائج الى الله وانها تكشف الضر وتفتح الرزق وتحفظ مصر فهذا كفر مشرك يجب قتله وكذلك من اعتقد ذلك في غيرها كائنا من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا * قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له... * الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون * وقال الله لا تتخذوا الالهين اثنين إنما هو له واحد فاي اي قارهبون * وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا ، أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر قاله تجأرون * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يرمهم بشركون * ليكفروا بما آتيناكم فتمتعوا فسوف تعلمون)
والقرآن من أوله الى آخره وجميع الكتب والرسل إنما بعثوا بأن يعبد الله

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمر الا الترمذي ومن حديث أبي هريرة الا أبا داود - وفي رواية « أنه لا يورثه » بدل لا يأتي بخير

وحده لا شريك له ، وأن لا يجمعوا مع الله إلها آخر . والاله من يأله القلب عبادة واستعانة وإجلالا وإكراما وخوفا ورجاء كما هو حال المشركين في آلهتهم ، وإن اعتقد المشرك ان ما يأله مخلوق مصنوع كما كان المشركون يقولون في تليبتهم : لييك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي « يا حصين كم تعبد » ؟ قال أعبد سبعة آلهة ، ستة في الارض وواحد في السماء . قال « فن ذا الذي تعبد لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء قال « يا حصين فاسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن » فلما أسلم قال « قل اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي »

(فصل) وأما من زعم أن الملائكة والانبياء تحضر سماع المكاء والتصديعية (١) محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر ، بل إنما تحضره الشياطين وهي تنزل عليهم وتنفع فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان قال : يارب اجعل لي بيتا قال : بيتك الحمام قال : اجعل لي قرآنا قال : قرآنك الشعر ، قل : اجعل لي مؤذنا قال : مؤذنتك المزمار » وقد قال تعالى في كتابه مخاطبا للشيطان (واستفز من استطعت منهم بصوتك) وقد فسر ذلك طائفة من السلف بصوت الفناء وهو شامل له ولغيره من الاصوات المستفزة لاصحابها عن سبيل الله . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « إنما نبيت عن صوتين أحق من فاجرين صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية ذات المكاء والتصديعية » وكيف يذو الشيطان (٢) عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين . ورأى بعض المشايخ المكاشفين ان شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ قال : هرب شيطانه وسقط ذلك الرجل وهذه الاورها أسرار وحقائق لا يشهدا الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد

(١) المكاء بالضم هو صفير الطائر والتصديعية الصوت الذي يجري مجرى الصدى وهو ما يرجع عن غيره بالانعكاس وفسر بالتصفيق قال تعالى في الجاهلية (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديعية) (٢) كذا في الاصل

الايقانية، ولكن من اتبع ماجات به الشريعة، وأعرض عن السبل المبتدعة، فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة، وان لم يعرف حقائق الامور، بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خاف الدليل الهادي فانه يصل الى مقصوده ويمجد الزاد والماء في موطنه، وان لم يعرف كيف يحصل ذلك وسببه، ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالعا عن الطريق، فاما ان يهلك، وإما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق، والدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا نذيرا، وداعيا الى الله باذنه وهاديا الى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ملك السموات والارض، وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارعاد والصرخات المنكرة ونحو ذلك ما يجردون في نفوسهم من ثوران مزاد الشيطان بحسب الصوت، إما وجد في الهوى مذموم، وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم، وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم، الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تغمري أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات المطربة قد تصير من جنس الاسكار بالاشربة المطربة فتصدم عن ذكر الله وعن الصلاة، وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه، فيصيرون مضارعين للذين يشتركون لهو الحديث ليعضلوا عن سبيل الله، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بهيمة، ولهذا قال من قال من العلماء: ان هؤلاء يجب عليهم القود أو الذية اذا عرف أنهم قتلوا بالاحوال الشيطانية الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يقتبعلون بما ينفذونه من موادم المحرمة كما يقتبعل الظلمة الماسطون ومن هذا الجنس حال خفراء الكافرين والمبتدعين والظالمين قاتلهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون للشركيين وأهل الكتاب، وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم «يحقر أحدكم صلواته مع صلاحهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة» وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون

لم ملكة ظاهرة فان سلطان الباطن معناه السلطان الظاهر ولا يكون من اولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكاوا يتقون . وما فعلوه من الاعانة على الظلم فهم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن باطنا وظاهرا ليس مستلزما لولاية الله تعالى بل قد يكون ولي الله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى ان ينصره الله ، وقد يكون عدو الله مستضعفا وقد يكون سلطانا الى ان ينتقم الله منه ، فخبراء التتار في الباطن من جنس التتار في الظاهر ، هؤلاء في العباد ، بمنزلة هؤلاء في الاجناد . وأما الغلبة فان الله قد يدل الكافرين على المؤمنين تارة كما يدل المؤمنين على الكافرين ، كما كان يكون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع عدوهم ، لكن العاقبة للمتقين . فان الله يقول (انا لنصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وبوم يقوم الاشهاد) واذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظفرا عليهم كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في اداء الواجبات باطنا وظاهرا . واما لعدوانهم بتمدي الحدود باطنا وظاهرا ، قال الله تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (اولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها قاتم انى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) وقد قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز * الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور)

(فصل) وأما هذه المشاهد المشهورة فمنها ما هو كذب قطعاً مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف الى أبي بن كعب والمشهد الذي في ظاهرها المضاف الى أويس القرني والمشهد الذي في سفح لبنان المضاف الى نوح عليه السلام والمشهد الذي بمصر المضاف الى الحسين — الى غير ذلك من المشاهد التي يطول شرحها بالشام والعراق ومصر وسائر الامصار حتى قال طائفة من العلماء منهم عبد العزيز الكنتاني كل هذه القبور المضافة الى الانبياء لا يصح فيها الاقبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اثبت غيره قبر الخليل عليه السلام ايضا ، واما مشهد علي فعلمة العلماء على انه ليس قبره بل قد قيل انه قبر المغيرة بن شعبه وذلك انه انما

ظهر بعد نحو ثلثمائة سنة من موت علي في اماره بني بويه. وذكروا ان أصل ذلك حكاية بانتمهم عن الرشيد انه أتى الى ذلك المكان وجعل يعتذر الى من فيه مما جرى بينه وبين ذرية علي. وبمثل هذه الحكاية لا يقوم شيء فالرشيد أيضا لا علم له بذلك ولعل هذه الحكاية إن صحت عنه فقد قيل لذلك كما قيل لغيره وجمهور أهل المعرفة يقولون ان عليا إنما دفن في قصر الامارة أو قريبا منه وهذا هو السنة ، فان حمل ميت من الكوفة الى مكان بعيد ليس فيه فضيلة أمر غير مشروع فلا يظن بأكل علي رضي الله عنهم أنهم فعلوا به ذلك . ولا يظن أيضا ان ذلك خفي على أهل بيته والمسلمين ثلثمائة سنة حتى أظهره قوم من الاعاجم الجهال ذوي الاهواء ، وكذلك قبر معاوية الذي بظاهر دمشق قد قيل أنه ليس قبر معاوية وان قبره بمحاطب مسجد دمشق الذي يقال انه قبرهود وأصل ذلك ان عامة هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلف لا يكاد يوقف منه على علم الا في قليل منها بعد بحث شديد وهذا لان معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الاسلام ، ولا ذلك من حكم الذكر الذي تكفل الله بحفظه حيث قال (انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون) بل قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله المبتدعون عندها مثل قوله الذي رواه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقد اتفق ائمة الاسلام على انه لا يشرع بناء هذه المشاهد التي على القبور ولا يشرع اتخاذها مساجد ، ولا تشرع الصلاة عندها ، ولا يشرع قصدتها لاجل التعبد عندها بصلاة واعتكاف أو استغاثة وابتهاج ونحو ذلك ، وكرهوا الصلاة عندها ، ثم كثير منهم قال : الصلاة باطلة لاجل النهي عنها وانما السنة اذا زار قبر مسلم ميت اما نبي أو رجل صالح أو غيرها ان يسلم عليه ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما جمع الله بين هذين حيث يقول في المناقبين « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » فكان

دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم ، وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان اذا دفن الميت من أصحابه يقوم على قبره ثم يقول « سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل »

وفي الصحيح انه كان يعلم أصحابه ان يقولوا اذا زاروا القبور « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ویرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تمحرننا أجرهم ، ولا تفتننا بعدهم ، واغفر لنا ولم »

وانما دين الله تعالى تعظيم بيوت الله وحده لا شريك له وهي المساجد التي تشرع فيها الصلوات جماعة وغير جماعة والاعتكاف وسائر العبادات البدنية والقلبية من القراءة والذكر والدعاء لله قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال تعالى (انما يصمر مساجد الله من آن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فمسي أولئك ان يكونوا من المهتدين) وقال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار • ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فهذا دين المسلمين الذين يعملون الله مخلصين له الدين

وأما اتخاذ القبور أوثانا فهو من دين المشركين ، الذي نهى عنه سيد المرسلين ، والله تعالى يصلح حال جميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا كما هو أهله

(تمت الرسالة)

(طبعت عن نسخة كتبت في بغداد بقلم محمد صالح المصطفى الوتار)

فيها شيء من الغلط والتحريف

فما الله عنا وعنه

إبطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله تعالى عنه عن كراس وجد بخط بعض الثقات قد ذكر فيها كلام جماعة من الناس فيما فيه

(قال) بعض السلف: إن الله تعالى لطف ذاته فسميها حقاً، وكشفها فسميها خلقاً، قال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل: إن الله ظهر في الأشياء حقيقة واحتجب بها مجازاً، فمن كان من أهل الحق واجمع شهداهما مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل المجاز والفرق شهداهما ستوراً وحجياً. (قال) وقال في قصيدة له:

لقد حق لي رفض الوجود واهله وقد طلقت كفاي جمعا بموجدي
ثم بعد مدة غير البيت بقوله: لقد حق لي عشق الوجود واهله
فسأله عن ذلك فقال: مقام البداية أن يرى الأكوان حجياً فيرفضها،
ثم يراها مظاهر ومجالي فيحق له المشق لها، كما قال بعضهم:

أقبل أرضاً سار فيها جالماً فكيف بدار دار فيها جالماً

(قال) وقال ابن عربي عقيب انشاد بيتي أبي نواس

رقّ الزجاج ورائت الخمر فتشاكلت قشابه الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
لبس صورة العالم فظاهره خلقه ، وباطنه حقه . وقال بعض السلف
عين ماترى ، ذات لا ترى ، وذات لا ترى ، عين ماترى ، الله فقط والكثرة
وهم . قال الشيخ قطب الدين ابن سبعين : ربُّ مالك ، وعبد هالك ،
واتم ذلك ، الله فقط والكثرة وهم

للشيخ محي الدين ابن عربي

يا صورة انس سرها منائي ما خلقت للامر ترى لولا
شئناك فأنشأناك خلقاً بشراً تشهدنا في أكل الاشياء

وطلب بعض أولاد المشايخ للحرمايى من والده الحج (١) فقال له
الشيخ طف يا بني بيت ما فارقه الله طرفه عين

(وقال) قيل عن رابعة إنها حجت فقالت هذا الصنم المعبود في
الارض وإنه ما ولج الله ولا خلا منته . وفيه للحلاج

سبحان من أظهر ناسوته سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا مستتراً ظاهراً في صورة الاكل والشارب

قال وله

عقد الخلائق في الآله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه
وله أيضاً

بيني وبينك إني تراجحي فارفع بحقك إني من البين

(قال) وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي الحلبي المقتول بهذه
البقية (٢) التي طاب الحلاج رفعها تصرف الاغيار في دمه . وكذلك قال

(١) كذا والعبارة غير ظاهرة فاعلمها محرقة (٢) لعلمها الانية

السلف : الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الآية بالمعنى فرفعت له صورة . قالوا لمحبي الدين بن العربي

والله ماهي الاحيرة ظهرت وبني حلفت وان المقسم الله

وقال فيه : المنقول عن عيسى عليه السلام أنه قال : ان الله تبارك وتعالى اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجهه كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها، واني أنا ذلك النور وادم المرآة. قال ابن الفارض في قصيدته (نظم السلوك) :

وشاهد اذا استجبت نفسك من ترى بنير مرآة في المرآة الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انكاس الاشعة
(قال) وقال ابن اسرائيل : الامر أمران . أمر بواسطة وأمر
بنير واسطة . فالامر الذي بالوسائط قبله من شاء الله وورده من شاء الله
تعالى ، والامر بنير واسطة لا يمكن خلافه ، وهو قوله تعالى (انما أمره
اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فقال له فقير ان الله تعالى قال لا آدم
بلا واسطة لا تقرب الشجرة فاقرب وأكل ، فقال صدقت وذلك أن
آدم انسان كامل . وكذلك قال شيخنا علي الحريري : آدم صني الله
تعالى كان توحيده ظاهراً وباطناً فقال فكان قوله تعالى « لا تأكل »
ظاهراً ، وكان أمره « كل » باطناً ، فأكل فكذلك قوله تعالى . وابلوس كان
توحيده ظاهراً ، فأمر بالسجود لا آدم فراه غيراً فلم يسجد فقير الله عليه
وقال (اخرج منها) الآية

(قال) وقال شخص لسيدي حسن ياسيدي اذا كان الله يقول

لنبيه (ليس لك من الامر شيء) ايش نكون نحن ؟ فقال سيدي ليس

الامر كما تظن ، قوله (ليس لك من الامر شيء) أيش غير الاثبات للنبي
صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى *
لأن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)
وفيه لأوحى الدين الكرماني

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين
غيره

لا تحسب بالصلاة والصوم تنال قريبا رذنوا من جمال وجلال
فارق ظلم الطبع تكن متحدآ بالله والا كل دعوات محال
غيره للحلاج

إذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
يشاهد حقا حين يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر
للشيخ نجم الدين بن اسرائيل

الكون يناديك أما تسمعي من ألف أشتاتي ومن فرقي
أنظر آرائي منظرًا معتبرا ما في سوى وجود من أوجدني
وله

فترات وجود هي للحق شهود أن ليس لموجود سوى الخلق وجود
والسكون وإن تكثرت عدته منه إلى علاه يسدو ويهود
وله

برئت اليك من قولتي وفعلتي ومن ذاتي براءة مستحيل
وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل . مستحيل
للخفيف التمساني

أحن اليه وهو قلبي وهل بُرّي سوايَ أخوٍ وجديحَنَ لقلبه
 ومجِبَ طرفي عنه اذ هو ناظري وما بُمدَه الا لا فراط قربه
 قال بعض السلف: التوحيد لا لسان له والالسنه كلها لسانه .
 (وفيه) لا يعرف التوحيد الا الواحد ، ولا تصح العبارة عن
 التوحيد ، وذلك أنه لا يعبر عنه الا بغير ، ومن أثبت غيراً فلا توحيد له
 (وفيه) سمعت من الشيخ محمد بن بشر النواوي أنه ورد سيدنا
 الشيخ علي الحريري الى جامع نوى قال الشيخ محمد بن محمد فقبلت الارض
 بين يديه وجلست فقال يا بني وقفتُ مدة مع المحبة فوجدتها غير المقصود
 لان المحبة لا تكون الا من غير لغير وغير ما تم ، ثم وقفت مدة مع التوحيد
 فوجدته كذلك لان التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ، لو أنصف
 الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً

(وفيه) سمعت من الشيخ نجم الدين بن اسراييل مما أسر الي أنه
 سمع من شيخنا الشيخ علي الحريري في الدمام الذي توفي فيه قال يا نجم
 رأيت لهاتي الفوقانية فوق السموات وحنكي تحت الارضين ، ونطق
 لساني بلفظة لو سمعت مني ما وصل الى الارض من دمي قطرة . فلما كان
 بعد ذلك بمدة . قال شخص في حضرة سيدي الشيخ حسن بن الحريري
 ياسيدي حسن اما خالق الله أقل عقلاً ممن ادعى أنه لاه مثل فرعون
 وعمرود وأمثالهما . فقلت أنا هذه المقالة ما يقولها الا اجمل خلق الله او
 اعرف خلق الله . فقال صدقت . وذلك انه سمعت من جدك يقول
 رايت كذا وكذا . فذكر ما رواه نجم الدين عن الشيخ
 (وفيه) قال بعض السلف : من كان عين الحجاب على نفسه فلا

حاجب ولا محجوب

(والمطلوب من السادة العلماء) ان يبينوا لنا هذه الاقوال وهل هي حق او باطل؟ وما يعرف به معناها وما يبين انها حق أو باطل وهل الواجب انكارها؟ او اقرارها؟ او التسليم لمن قالها؟ وهل لها وجه سائغ؟ وما حكم من اعتقد معناها. إمام مع المعرفة بحقيقتها، وإمام مع التأويل المجمل لمن قلها والمتكلمون ارادوا لها معنى صحيحا يوافق العقل والنقل ويمكن تأويل ما يشكل منها وحملها على ذلك المعنى؟ وهل الواجب بيان معناها وكشف منزاها، اذا كان هناك ناس يؤمنون بها، ولا يرفون حقيقتها؟ أم ينبغي السكوت عن ذلك وترك الناس يعظمونها ويؤمنون بها مع عدم العلم بمعناها؟

(فأجاب شيخ الاسلام) أبو العباس تقي الدين احمد ابن تيمية
قدس الله روحه ونور ضريحه :

الحمد لله رب العالمين . هذه الاقوال المذكورة تشتمل على اصليين باطلين مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارى مخالفتها للمعقول والمنقول (أحدهما) الخلول والاتحاد وما يقارب ذلك كالتقول بوحدة الوجود كالذين يقولون إن الوجود واحد فالوجود الواجب للمخالف هو الوجود الممكن للمخلوق، كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض صاحب القصيدة التائية (نظم السلوك) وطاهر البوصيري السيولسي الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض

والتلمساني الذي شرح مواقف النزري (١) وله شرح الاسماء الحسنی علی طريقة هؤلاء وسعيد القرطبي الذي شرح قصيدة ابن الفارض والششتري صاحب الارحال الذي هو تلميذ ابن سبعين وعبد الله البلباني وابن أبي منصور المصري صاحب (فك الازرار ، عن اعناق الاسرار) وامثالهم ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعم أن الاعيان ثابتة في الهم غنية عن الله في انفسها ، ووجود الحق هو وجودها ، والخالق ممتقر الى الاعيان في ظهور وجودها ، وهي مفتقرة اليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده ، وقوله مركب من قول من قال المعلوم شيء وقول من يقول وجود المخلوق هو وجود الخالق . ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق ، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وفيهم من يفرق بين الاطلاق والتعيين كما يقوله القونوي ونحوه فيقولون ان الواجب هو الوجود المطلق لا بشرط . وهذا لا يوجد مطلقا إلا في الاذهان فما هو كلي في الاذهان لا يكون في الاعيان إلا مميئا ، وان قيل إن المطلق جزء من المعنى لزم أن يكون وجود الخالق جزءا من وجود المخلوقات ، والجزء لا يبدع الجميع ويخلقها ، فلا يكون الخالق موجودا

ومن قال ان الباري هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق كما يقوله

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النزري الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ والتلمساني شارحه عفيف الدين سليمان بن علي الصوفي الشاعر صاحب الديوان المشهور توفي سنة ٦٩٠

ابن سينا وأتباعه فقوله أشد فساداً فإن المطلق بشرط الاطلاق لا يكون
 إلا في الأذهان لا الأعيان، فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم
 التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول

وآخرون يجمعون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة

يقولها (١) المتفلسفة أو قريب من ذلك كما يقوله ابن سبعمين وأمثاله

وهؤلاء أقوالهم فيها تناقض وفساد، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود
 أو الحلول أو الاتحاد وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد
 المطلق، بخلاف من يقول بالمعنى كالنصارى والغالية من الشيعة الذين
 يقولون بالاهية علي أو الحاكم أو الخلاج أو يونس القيني أو غير هؤلاء
 ممن ادعيت فيه الإلهية؛ فإن هؤلاء قد يقولون بالحلول المقيد الخاص،
 وأولئك يقولون بالاطلاق والتعميم، ولهذا يقولون النصارى إنما كان
 خطأهم للتخصيص، وكذلك يقولون عن المشركين عباد الأصنام إنما كان
 خطأهم لأنهم اقتصروا على عبادة بعض المظاهر دون بعض، وهم يجوزون
 الشرك وعبادة الأصنام مطلقاً على وجه الاطلاق والعموم، ولا ريب
 أن في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من اليهود والنصارى،
 وهذا المذهب كثير في كثير من المتأخرين وكان طوائف من الجهمية
 يقولونه. وكلام ابن عربي في (فصوص الحكيم) وغيره (٢) وكلام ابن سبعمين
 وصاحبه الششتري وقصيدة ابن الفارض (نظم السلوك) وقصيدة عامر
 البصري وكلام الغيف التلمساني وعبدة الله البلبالي والصدر القونوي وكثير

(١) لعل أصله التي يقولها الخ «٢» قوله وكلام ابن عربي مبتدأ خبره مع ما

عطف عليه قوله بعد: وهو مبني على هذا المذهب

من شعر اسرائيل ابن وما ينقل عن شيخه الحريري ، وكذلك يوجد نحو منه في كلام كثير من الناس غير هؤلاء هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب ، فان هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال ، ما حير كثيراً من الرجال

وأصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مبانة الله سبحانه للمخلوقات وعلوه عليها ، وطمعوا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها ، بنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمبانة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال . فالسلف والأئمة يقولون : إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه (١) كما دل على ذلك الكتاب والسنة

(١) هذه الكلمة المأثورة بالروايات الصحيحة المسندة الى أئمة السلف قد جمعت في صفات الله تعالى بين قبول نصوص الكتاب والسنة وبين التنزيه المطلق الذي اراده الجهمية والمعتزلة وبعض نظار الاشعرية بتأويل النصوص بالتحكم والتكلف المؤدي الى تعطيلها وجمليها كالنموحي لا يذكرونها في عقائدهم ويسمون من يذكرها على اطلاقها مشبهاً - فبانة الله تعالى خلقه ابلغ ما يقال في تنزيهه عن مشابهمهم في شأن ما من شؤون الربوبية والالوهية او مشابهمه لهم في شأن ما من شؤون المخلوقين ، فعلوه تعالى على خلقه واستواؤه على عرشه فوق جميع سماواته لا يقتضي مع ما ذكر من المبانة أن يكون محصوراً أو محدوداً أو متحيزاً ، إنما علوه سبحانه علو مبانة لها لا كما لو مبعضها على بعض ، فان هذا امر إضافي لا حقيقة له في نفسه ، يعترف بهذا جميع الفلاسفة وعلماء العقول في كل زمان

وإجماع سلف الأمة . وكما علم العلو والمباينة بالمعقول الصريح الموافق للمعقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه في إقرارهم به وقصدهم لياؤه سبحانه وتعالى

والقول الثاني : قول معطلة الجهمية وتقاتهم وهم الذين يقولون لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايت له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم

والقول الثالث : قول حلولية الجهمية الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية وهؤلاء القائلون بالحلول والانحداد من جنس هؤلاء فإن الحلول أغلب على عبادة الجهمية وصوفيتهم وحامتهم، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلمهم كما قيل : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء، وذلك لان العبادة تتضمن القصد والطلب والارادة والمحبة وهذا لا يتعلق بمدوم . فإن القلب يتطلب موجوداً فإذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه

وأما الكلام والعلم والنظر فيتعلق بوجود ومدوم . فإذا كان أهل الكلام والنظر يصفون الرب بصفات السلب والنفي التي لا يوصف بها الا المدوم لم يكن مجرد العلم والكلام ينافي عدم المعلوم المذكور بخلاف القصد والارادة والعبادة فانه ينافي عدم المعبود . ولهذا تجد الواحد من هؤلاء عند نظره وبحمته يميل الى النفي وعند عبادته وتصوفه يميل الى الحلول واذا قيل هذا ينافي ذلك . قال ذلك مقضى عقلي ونظري ، وهذا مقتضى

ذوقتي ومعرفتي . ومعلوم أن الذوق والوجدان لم يكن موافقا للمقل والنظر والإلزام فسادهما أو فساد أحدهما

والقول الرابع : قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان . وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كابي معاذ وأمثاله . وقد ذكر الأشعري في (المقالات) هذا عن طوائف ويوجد في كلام السالمة كابي طالب المكي وأتباعه مثل أبي الحسب ابن بركان وأمثاله ما يشير إلى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من مستأخري الصوفية . ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه كما في قول الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال : التوحيد أفراد المحدث عن القدم ، فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث . وقد أنكر عليه ذلك ابن عربي صاحب الفصوص وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد ، لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب ، بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد ، وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث إلا من يكون ليس بقديم ولا محدث . وهذا جهل فان المعرفة بأن هذا ليس ذلك والتميز بين هذا وذلك لا يقتضي أن يكون العارف المميز بين الشيثين ليس هو أحد الشيثين بل الانسان يعلم أنه ليس هو ذلك الانسان الآخر مع أنه أحدهما فكيف لا يعلم أنه غير ربه وان كان هو أحدهما؟

الاصـل الثاني

الاحتجاج بالقدر على المعاصي على المأمور (١) وفعل المحذور فان القدر يجب الايمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعده ووعيده والناس الذين ضلوا في القدر ثلاثة اصناف قوم آمنوا بالامر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر وزعموا ان من الحوادث ما لا يخلقه الله كالمتنزلة ونحوهم، وقوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، لكن عارضوا بهذا الامر والنهي وسموا هذا حقيقة وجعلوا ذلك معارضا للشريعة، وفيهم من يقول ان مشاهدة القدر تنفي الملام والمقاب، وان العارف يستوي عنده هذا وهذا، وفي ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والنوق والوجد فأنهم لا يسوون بين من أحسن اليهم وبين من ظلمهم ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر والماجر ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم بل يفرقون بينهما (?) ويفرقون ايضا بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الامر والنهي، فلا يفتقون لا مع القدر ولا مع الامر بل كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرتي، وعند المعصية جبيري، أي مذهب وافق مذهبك (٢) تمذهبت به فلا يوجد أحد بالملك (?) في ترك الواجب وفعل المحرم ألا وهو متناقض لا يجمعه حجة في مخالفة هواه بل يعادي من آذاه وان كان محقا ويجب من واقفه على غرضه وان كان عدوا لله، فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجدته، لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبه

(١) لعله : أي ترك المأمور (٢) لعله هو أنك أو غرضك

وبفضه وولايته وعداوته، اذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فان ذلك مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه، وللشر الذي لا خير فيه. اذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من باغ ولا أخذ لمظلوم من ظالم، ولتفعل كل أحد ما يشتهي، من غير معارض يمارضه فيه، وهذا فيه من الفساد، ما لا يعلمه إلا الرب العباد.

فمن المعلوم بالضرورة أن الافعال تنقسم الى ما ينفع العباد وما يضرهم والله قد بعثت رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، فمن لم يتبع شرع الله ودينه اتبع ضده من البدع والاهواء، وكان احتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه (١) لزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير، من أهل المعاذير،

(وان قال) أنا اعذر بالقدر من شاهده وعلم أن الله خالق فعله ومحركه لا من غاب عن المشهود، أو كان من أهل الجحود. (قيل) فيقال لك وشهود هذا وجحود هذا من القدر فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا. فان كان موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محموداً وبعضهم مذموماً مع شمول القدر لهما، وهذا رجوع الى

(١) الظاهر أن يقال: ولزمه - كقوله وكان احتجاجه عطفاً على قوله اتبع ضده - الذي هو جواب فمن لم يتبع شرع الله ودينه. ولو قال: واتبع ضده، عطفاً على قوله: لم يتبعه - لكان قوله: لزمه الخ هو جواب الشرط ولم يصح عطفه

الفرق ، واعصام بالامر والنهي ، وحينئذ فقد نقضت اصلك وتناقضت فيه . وهذا لازم لكل من معك فيه . ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة ،

فمن جعل الايمان بالقدر وشهوده عذراً في ترك الواجبات وفعل المحظورات (١) بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات ، وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات ، فلو اشرك مشرك بالله وكذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناظراً الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافراً لتكذيبه ، ولا مانعاً من تعذيبه ، فان الله لا يفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقراً بالقدر وناظراً اليه ، أو مكذباً به أو غافلاً عنه ، بل قد قال ابليس (فبما اغويتني لأزوين لهم في الارض ولا غوينهم اجمعين) فأصر واحتج بالقدر ، فكان ذلك زيادة في كفره ، وسبباً لمزيد عذابه . وأما آدم عليه السلام فانه قال (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه لانه هو التواب الرحيم) فمن استغفر وتاب كان آدمياً سعيداً . ومن أصر واحتج بالقدر كان ابليسياً شقيماً . وقد قال تعالى لابليس (لا ملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)

وهذا الموضوع ضل فيه كثير من الخائضين في الحقائق فانهم يسلكون انواعاً من الحقائق التي يحدونها ويدوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا

(١) سقط من هنا جواب : فن جعل - والمعنى من جعل الايمان بالقدر عذراً لمن عصى الله واشرك به - لزمه كون هذا الايمان منكراً من المنكرات وضلالة من الضلالات ؛ وليس الامر كذلك - بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات الخ

فيه الامر فيضاهون المشركين الذين كانوا يتدعون ديناً لم يشرعه الله
ويحتجون بالقدر على مخالفة امر الله

(والصنف الثالث) من الضالين في القدر من خاصم الرب في جمعه بين
القضاء والقدر والامر والنهي كما يذكر ذلك على لسان ابليس، وهؤلاء
خصموا الله واعدائه . وأما أهل الايمان فيؤمنون بالقضاء والقدر والامر
والنهي، ويفعلون الأمور، ويتركون المحظور، ويصبرون على المقهور، كما
قال تعالى (من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) فالتقوى
تتناول فعل الأمور، وترك المحظور، والصبر يتضمن الصبر على المقهور.
وهؤلاء اذا أصابتهم مصيبة في الارض أو في انفسهم علموا أن ذلك في
كتاب، وان ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما اخطأهم لم يكن ليصيبهم،
فسلموا الامر لله وصبروا على ما ابتلاهم به . وأما اذا جاء امر الله فانهم
يسارعون في الخيرات، ويسابقون الى الطاعات، ويدعون ربهم رغبا
ورهباً، ويحتمنون مجازمه، ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون
اليه من تقصيرهم فيما أمر وتعميدهم لحدوده، علما منهم بأن التوبة فرض
على العبد دائماً واقتداء بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح « أيها الناس
توبوا الى ربكم فوالذي نفسي بيده اني لاسئغر الله وأتوب اليه اكثر من
سبعين مرة » وآخر سورة نزلت عليه (اذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت
الناس يدخلون في دين الله افواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً)

وإذا عرف هذان الاصلان فمليهما ببني جواب ما في هذا السؤال
من الكلمات، ويعرف ما دخل في هذه الامور من الضلالات

بدء الجواب عن كلمات أهل الوحدة

فقول القائل « ان الله لطيف ذاته فسيماها حقاً، وكشفتها فسيماها خلقاً » هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد. وهو باطل فإن اللطيف ان كان هو الكشيف فالحق هو الخلق ولا تلطيف ولا تكشيف. وان كان اللطيف غير الكشيف فقد ثبت الفرق بين الحق والخلق، وهذا هو الحق. وحينئذ فالحق لا يكون خلقاً فلا يتصور أن ذات الحق يكون خلقاً بوجه من الوجود كما أن ذات الخلق لا تكون ذات الخالق بوجه من الوجوه.

وكذلك قول الآخر ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازاً فإنه ان كان الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد، وان لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور واحتجاب

ثم قوله « فن كان من أهل الحق شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل الفرق شهدها ستورا وحجبا » كلام يتعض بعضه بعضاً فإنه ان كان الوجود واحداً لم يكن أحد الشاهدين عين الآخر ولم يكن الشاهد عين المشهود ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء: من قال ان في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له آخر فن الذي يكذب؟ فأخذه. وهذا لانه اذا لم يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان (هو) الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب. وهكذا يصرح به أئمة هؤلاء كما يقول صاحب النصوص وغيره انه موصوف بجميع صفات النعم، وانه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمصائب والنقائص، كما انه هو الذي يوصف بنعمت المدح والذم، قال: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات

الثبوتية والسلبية سواء كانت محمودة عقلا وعرفا وشرعا أو مذمومة عقلا وعرفا وشرعا، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة. وقال ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وقد اخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات النعم؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق، فكيف حق له كما أن صفات المخلوق حق للخالق

وقول القائل * لقد حق لي عشق الوجود واهله * يقتضي أن يمشق ابليس وفرعون وهامان وكل كافر، ويمشق الكلاب والخنازير والبول والعذرة وكل خبيث، مع انه باطل شرعا وعقلا فهو كاذب في ذلك متناقض فيه، فانه لو آذاه مؤذ آله الماشدیدا لا يفضب محرم شرعا (١) وما ذكر عن بعضهم من قوله: «عين ما ترى ذات لا ترى، وذات لا ترى عين ما ترى» هو من كلام ابن سبعين وهو من أكبر أهل الاتحاد، أهل الشرك والسحر والاتحاد، وكان من أفاضلهم واذكيائهم واخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة

وقول ابن عربي: ظاهره خلقه، وباطنه حقه. هو قول أهل الحلول وهو متناقض في ذلك فانه يقول بالوحدة فلا يكون هناك موجودان أحدهما باطن والآخر ظاهر. والتفريق بين الوجود والمين، تفريق لاحقيقة له بل هو من اقوال أهل الكذب والمين

وقول ابن سبعين: «ربُّ هالك، وعبد مالك، واتم ذلك، الله فقط والكمثرة وم»، موافق لاصلة الفاسد في أن وجود المخلوق وجود الخالق

(١) كذا - وقد سقط منه جواب لو آذاه الخ والمين امتنع ان يمشقه طبعا. ولا بد من سقوط كلام آخر يفهم منه ان فعل من لا يفضب اذا عصي الله محرم شرعا

ولهذا قال: واتم ذلك، فانه جعل المبد هالكا أي لا وجود له فلم يبق إلا وجود الرب، فقال واتم ذلك، وكذلك قال: الله فقط والكثرة وهم. فانه على قوله لا موجود إلا الله. ولهذا كان يقول هو واصحابه في ذكرهم ليس إلا الله بدل قول المسلمين لا إله إلا الله وكان يسميهم الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني الليسية ويقول احذروا هؤلاء الليسية. ولهذا قال: الكثرة وهم. وهذا تناقض، فان قوله وهم يقتضي متوهما فان كان المتوهم هو الوهم فيكون الله هو الوهم وان كان المتوهم هو غير الوهم فقد تمدد الوجود. وكذلك: ان كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل، وهذا مع انه كفر فانه يناقض قوله الوجود واحد. وان كان المتوهم غيره فقد اثبت غير الله وهذا يناقض اصله. ثم متى اثبت غيرا لزم الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقا

والبيتان المذكوران عن ابن عربي مم تناقضهما مبنيان على هذا الاصل فان قوله * يا صورة انس سرها معنائي * خطاب على لسان الحق يقول لصورة الانسان يا صورة انس سرها معنائي . أي هي الصورة وانا معناها. وهذا يقتضي أن المعنى غير الصورة وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنى والصورة فان كان وجود المعنى هو وجود الصورة كما يصرح به فلا تمدد. وان كان وجود هذا غير وجود هذا تناقض وقوله * ما خلقك للامر ترى لولا في * كلام مجمل يمكن أن يراد به معنى صحيح أي لولا الخالق لما وجد المكفون ولا خلق الامر الله. لكن قد عرف انه لا يقول بهذا. فان مراده الوحدة والحلول والاتحاد. ولهذا قال

شئناك فانشأناك خلقا بشرا كي تشهدنا في اكل الاشياء

فبين أن العبيد يشهدونه في اكل الاشياء وهي الصورة الانسانية وهذا يشير الى الحلول وهو حلول الحق في الخلق لكنه متناقض في كلامه فانه لا يرضى بالحلول ولا يثبت موجودين حل أحدهما في الآخر بل عنده وجود الحلال هو عين وجود المحل لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود، فوجود الحق حل في ثبوت الممكنات وثبوتها حل في وجوده وهذا الكلام لاحقيقة له في نفس الامر فانه لا فرق بين هذا وهذا. لكنه هو مذهبه المتناقض في نفسه

وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الاب: فقال طف بييت مفاقره الله طرفه عين قط... فهذا كفر باجماع المسلمين. فان الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله. وأما الطواف بالانبياء والصالحين، فحرام باجماع المسلمين. ومن اعتقد ذلك ديناً فهو كافر سواء طاف بيده أو بقبره، وقوله مفاقره الله طرفه عين قط ان أراد به الحلول المطلق العام فهو مع بطلانه متناقض فانه حينئذ لا فرق بين الطائف والمطوف به. فلم يكن طواف هذا بهذا اولى من المكس، بل هذا يستلزم أنه يطاف بالكلاب والخنزير والكفار والنجاسات والاقذار وكل خبيث وكل ملعون لان الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله. وقد قال مرة شيخهم الشيرازي لشيخه التلساني وقدم بكتاب اجرب ميت: هذا ايضا من ذات الله. فقال: وثم خارج عنه؟ ومرة التلساني ومعه شخص فاجتازا بكاب فركضه الآخر برجله فقال لا تركضه فانه منه.. وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين فانه متناقض فان الراكض والمركوض واحد، وكذلك الناهي والمنهي،

فليس شيء من ذلك باولى بالامر والنهي من شيء، ولا يعقل مع الوحدة تمددواذا قيل مظاهر ومجالي- قيل ان كان لها وجودغير وجودالظاهر المتجلى فقد ثبت التمدد وبطلت الوحدة وان كان وجودهذا هو وجود هذا لم يبق بين الظاهر والمظهر والمتجلي فيه (١) فرق، وان أراد بقوله ما فارقه الله طرفه عين- الحلول الخاص- كما تقول النصارى في المسيح ثم ان يكون هذا الحلول ثابتا له من حين خلق كما تقوله النصارى في المسيح فلا يكون ذلك حاصلًا له بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه وحينئذ فلا يكون فرق بينه وبين غيره من الادميين فلماذا يكون الحلول ثابتا له دون غيره؟ وهذا شر من قول النصارى فان النصارى ادعوا ذلك في المسيح لكونه خلق من غير أب والشيوخ لم يفضلوا في نفس التخليق وانما فضلوا بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد وهذا امر حصل لهم بعد ان لم يكن فاذا كان هذا هو سبب الحلول وجب أن يكون الحلول فيهم حادثا لا مقارنا لخلقهم وحينئذفقولهم أن الرب ما فارق ابدانهم أو قلوبهم طرفه عين قط كلام باطل كيف ما قدر

وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت انه الصنم المعبود في الارض- فهو كذب على رابعة ولو قال هذا من قائله لكان كافرا يستتاب فان تاب وإلا قتل وهو كذب فان البيت لا يعبده المسلمون ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة اليه، وكذلك ما نقل من قولها: والله ما وجه الله ولا خلا منه . كلام باطل عليها، وعلى مذهب الحلولية لافرق بين ذلك البيت وغيره في هذا المعنى فلا يزيه يطاق به ويصلي

اليه ويحج دون غيره من البيوت ؟

(وقول القائل) ما ولج الله فيه - كلام صحيح ، وأما قوله ما خلا منته فان أراد أن ذاته حالة فيه أو ما يشبه هذا المعنى فهو باطل وهو متناقض لقوله ما ولج فيه ، وان أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوج ولم يزل غير حال فيه فهذا مع انه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت اذا الموجودات كلها عندهم كذلك وأما البيتان المنسوبان الى الحلّاج

سبحان من اظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

فهذه قد تعين بها الحلول الخاص كما تقوله النصاري في المسيح وكان أبو عبد الله ابن خنيف الشيرازي قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلّاج يذب عنه فلما انشد هذين البيتين قال لعن الله من قال هذا وقوله عقدا الخلاق في الاله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فهذا البيت يعرف لابن عربي فان كان قد سبقه اليه الحلّاج وقد تمثل هو به فأضافته الي الحلّاج صحيحة وهو كلام متناقض فان الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد . والقضيتان المتناقضتان بالسلب والايجاب على وجه يلزم من صدق احدهما كذب الاخرى لا يمكن الجمع بينهما وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل وانهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المقول والمقول . ولا ريب أن هذا من أفسد ما ذهب اليه أهل السفسطة ومعلوم أن الانبياء عليهم السلام اعظم من الاولياء ، والانبياء جاؤا بما تعجز

المقول عن معرفته ولم يجيشوا بما تعلم العقول بطلانه فهم يجربون بمحارات
 العقول ، لا بمحالات العقول ، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات
 العقول صحيحة ، وإن الجمع بين النقيضين صحيح ، وأن ماخالف صريح
 المقول وصحيح المنقول صحيح . ولا ريب أنهم أصحاب خيال واوهام
 يتخيلون في نفوسهم أموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتة في الخارج
 وإنما هي من خيالاتهم والخيال الباطل يتصور فيه مالا حقيقة له ولهذا
 يقولون أرض الحقيقة هي أرض الخيال كما يقول ذلك ابن عربي وغيره
 ولهذا يحكون حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض
 وكان من شيوخهم . وأما قوله

بيني وبينك أني تراحمي فارفع بمنك لاني من البين

فإن هذا الكلام يفسر بمعان ثلاثة يقوله الزنديق ، ويقوله الصديق
 فالاول مراده به رفع ثبوت إنيته حتى يقال إن وجوده هو وجود الحق
 وإنيته هي انية الحق فلا يقال إنه غير الله ولا سوى . ولهذا قال ساف
 هؤلاء الملاحدة إن الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى
 فرفعت له صورة ، فليل وهذا القول مع ما فيه من الكفر والاحاد فهو
 متناقض ينقض بضمه بهضا فان قوله * بيني وبينك اني تراحمي * خطاب
 لتيره وإثبات انية بينه وبين ربه وهذه اثبات أمور ثلاثة وكذلك يقول * فارفع
 بحقك اني من البين * طلب من غيره أن يرفع إنيته وهذا اثبات لأمور ثلاثة
 وهذا المعنى الباطل هو الفناء الفاسد وهو الفناء عن وجود السوى فإن
 هذا فيه طلب رفع الانية وهو طاب الفناء ، والفناء ثلاثة أقسام فناء عن وجود
 السوى وفناء عن شهو السوى وفناء عن عبادة السوى فالاول هو فناء أهل

الوحدة الملاحظة كما فسروا به كلام الحلاج وهو ان يجعل الوجود وجودا واحدا وأما الثاني وهو الفناء عن شهود السوي فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكي عن ابي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره، فيظن من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكي ان رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى الحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك إني. فهذا حال من عجز عن شيء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الفناء هو الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين الأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله فن طلب رفع انيته بهذا الاعتبار لم يكن محمودا على هذا ولكن قديكوز معذورا وأما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوي فهذا حال النبيين وأتباعهم وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه. وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه. فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له وهو الخيفية مله ابراهيم ويدخل في هذا أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب الا الله، ولا يبغيض الا الله، ولا يعطي الا الله، ولا يمنع الا الله. فهذا هو الفناء الدني الشرعي الذي يمث الله به رسله وأنزل به كتبه ومن قال * فارفع بحمك انبي من البين * بمعنى أن يرفع هوى

نفسه فلا يتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته بل يكون عمله لله لا لهواه وعمله بالله وقوته لا بحوله وقوته كما قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فهذا حق محمود . وهذا كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال : رأيت رب العزة في المنام فقلت : خدائي (١) كيف الطريق إليك؟ قال : أترك نفسك وتعال - أي أترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك فيكون عملك لله واستماتتك بالله كما قال (فاعبده وتوكل عليه)

والقول المحكي عن ابن عربي * وبني حلفت وإن المقسم الله * هو أيضا من الخادم إفكهم : جعل نفسه حالفة بنفسه ، وجعل الخالف هو الله فهو الخالف والمخوف به كما يقولون : أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا بنفسه فهو المرسل والمرسل إليه والرسول وكما قال ابن الفارض في قصيدته نظم السلوك :

لها صلواتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان بي صلى سواي ولم تكن	صلائي لغيري في أدا كل ركعة
إلى أن قال :	

وما زلت إياها وإياي لم تزل	ولا فرق بل ذاتي لذاتي حنت
وقد رفعت تاء المخاطب بيننا	وفي رفعا عن فرقة الفرق رفعتي
فان دعيت كنت المحيب وإن أكن	منادى أجابت من دعائي ولبت

وأما المنقول عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه فهو كذب عليه وهو كلام ملحد كاذب وضعه على المسيح وهذا لم ينقله عنه مسلم ولا (١) خدا - بضم الخاء اسم الجلالة بالفارسية وإضافه إلى إياه المتكلم أي إلهي

نصراني ، فانه لا يوافق قول النصارى قوله ان الله اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها واني أنا ذلك النور وآدم المرآة . فهذا الكلام مع ما فيه من الكفر والاحاد متناقض وذلك أن الله سبحانه يرى نفسه كما يسمع كلام نفسه ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد مخلوق لله قال لاصحابه « لاني أراكم من ورائي كما أراكم من بين يدي » فاذا كان المخلوق قد يرى ما خلقه وهو أبلغ من رؤية نفسه فالخالق تعالى كيف لا يرى نفسه؟ وأيضا فان شوقه الى رؤية نفسه حتى خلق آدم يقتضى أنه لم يكن في الازل يرى نفسه حتى خلق آدم ، ثم ذلك الشوق كان قدما كان ينبغي أن يعمل ذلك في الازل وان كان محدثا فلا بد من سبب يقتضي حدوثه ، مع أنه قد يقال الشوق أيضا صفة نقص ولهذا لم يثبت ذلك في حق الله تعالى وقد روي « طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقاءهم أشوق »

وهو حديث ضعيف

وقوله : خلق من نوره آدم وجعله كالمرآة وأنا ذلك النور وآدم هو المرآة - يقتضى أن يكون آدم مخلوقا من المسيح والمسيح خلق من مريم ومريم من ذرية آدم فكيف يكون آدم مخلوقا من ذريته ؟ وان قيل المسيح هو نور الله فهذا القول وان كان من جنس قول النصارى فهو شر من قول النصارى ، فان النصارى يقولون : ان المسيح هو الناسوت واللاهوت الذي هو الكلمة هي جوهر الابن ، وهم يقولون : الاتحاد اتحاد اللاهوت والناسوت متجدد حين خلق بدن المسيح ، لا يقولون أن آدم خلق من المسيح إذ المسيح عندهم اسم اللاهوت والناسوت

جميعا وذلك يمتنع أن يخلق منه آدم ، وأيضا فهم لا يقولون ان آدم خلق من لاهوت المسيح

وأیضا فقول القائل ان آدم خلق من نور الله الذي هو المسيح ان أراد به نوره الذي هو صفة لله فذاك ليس هو المسيح الذي هو قائم بنفسه لاذ يمتنع أن يكون القائم بنفسه صفة لغيره ، وان أراد بنوره ما هو نور منفصل عنه فمعلوم أن المسيح لم يكن شيئا موجودا منفصلا قبل خلق آدم فامتنع على كل تقدير أن يكون آدم مخلوقا من نور الله الذي هو المسيح ، وأيضا فاذا كان آدم كالمرأة وهو ينظر الى ذاته المقدسة فيها لزم أن يكون الظاهر في آدم هو مثال ذاته لا أن آدم هو ذاته ولا مثال ذاته ولا كذاته ، وحينئذ فان كان المراد بذلك أن آدم يعرف الله تعالى فيرى مثال ذاته العلمي في آدم فالرب تعالى يعرف نفسه فكان المثال العلمي اذا أمكن رؤيته كانت رؤيته للعلم المطابق له القائم بذاته أولى من رؤيته للعلم القائم بآدم ، وان كان المراد أن آدم نفسه سأل الله فلا يكون آدم هو المرأة بل يكون هو كالمثال الذي في المرأة ،

وأیضا فتخصيص المسيح بكونه ذلك النور هو قول النصارى الذين يخصوصونه بأنه الله ، وهؤلاء الاتحادية ضموا الى قول النصارى قولهم بعموم الاتحاد حيث جعلوا في غير المسيح من جنس ما تقوله النصارى في المسيح وأما قول ابن الفارض :

وشاهدا اذا استجليت ذاتك من ترى بغير مرآة في المرأة الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة
فهذا تمثيل فاسد وذلك أن الناظر في المرأة مثال نفسه فيرى نفسه

وكذا المرأة لا يرى نفسه بلا واسطة فقولهم بوجود باطل وبتقدير صحته ليس هذا مطابقا له وأيضا فهو لاء يقولون بعموم الوحدة والاتحاد والحلول في كل شيء فتخصيصهم بعد هذا آدم أو المسيح يناقض قولهم بالعموم وإنما يخص المسيح ونحوه من يقول بالاتحاد الخاص كالنصارى والغالية من الشيعة وجهال النساك ونحوهم ، وأيضا فلو قدر أن الانسان يرى نفسه في المرأة فالمرأة خارجة عن نفسه فرأى نفسه أو مثال نفسه في غيره والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى فليس هناك مظهر من مظاهر للظاهر ولا مرآة مغايرة للرأى

وهم يقولون : ان الكون مظاهر الحق (فان قالوا) المظاهر غير المظاهر ثم التعدد وبطلت الوحدة ، وان قالوا المظاهر هي المظاهر لم يكن قد ظهر شيء في شيء ولا تجلى شيء في شيء ولا ظهر شيء لشيء وكان قوله : * وشاهد اذا استجلبت نفسك أن ترى * ... كلاما متناقضا لان هنا مخاطبا ومخاطبا ومرآة تستجلى فيها الذات فهذه ثلاثة أعيان فان كان الوجود واحدا بالعين بطل هذا الكلام وكل كلمة يقولونها تنقض أصلهم

فصل

وأما ما ذكره من قول ابن اسرائيل : الامر أمران أمر بواسطة وأمر بغير واسطة الى آخره - فمضمونه أن الامر الذي بواسطة هو الامر الشرعي الديني والذي بلا واسطة هو الامر القدرى الكونى وجمله أحد الامرين بواسطة والآخر بغير واسطة كلام باطل فان الامر الديني يكون بواسطة وبغير واسطة فان الله كلم موسى وأمره بلا واسطة وكذلك

كلم محمد صلى الله عليه وسلم وأمره ليلة المراج وكذلك كلم آدم وأمره بلا واسطة وهي أوامر دينية شرعية وأما الامر الكوني فقول القائل : انه لا بواسطة خطأ بل الله تعالى خلق الاشياء بعضها ببعض وأمر التكوين ليس هو خطابا يسممه المكون المخلوق فان هذا ممتنع ولهذا قيل ان كان هذا خطابا له بعد وجوده لم يكن قد كوز (به) بل كان قد كون قبل الخطاب وان كان خطابا له قبل وجوده فخطاب المعلوم ممتنع. وقد قيل في جواب هذا انه خطاب للموم لحضوره في العلم وان كان معدوما في العين وأما ما ذكره الفقير فهو سؤال وارد بلا ريب . وأما ما ذكره عن شيخه من أن آدم كان توحيده ظاهراً وباطناً فكان قوله « لا تقرب » ظاهراً وكان أمره « بكل » باطنياً (فيقال) ان أريد بكونه قال كل باطنياً أنه أمره بذلك في الباطن أمر تشريع أو دين فهذا كذب وكفر . وان كان أراد أبه خلق ذلك وقدره وكونه فهذا قدر مشترك بين آدم وبين سائر المخلوقات فانما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر . وأكل آدم من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخلة تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الامر كما دخل آدم . وقول القائل : انه قال لا دم في الباطن كل . مثل قوله انه قال للكافر الكفر وللناسق اسق ، والله لا بأمر بالفحشاء ، ولا يحب الفساد ، ولا يرضى لمعباده الكفر ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والناسق والمصاة بفعل الكفر والنسوق والعصيان ؛ وان كان ذلك وانما بشيئته وقدرته وخلقته وأمره الكوني - فالامر الكوني ليس هو أمراً للمعبود أن يفعل ذلك الامر بل هو أمر تكوين

لذلك القفل في العبد أو أمر تكوين ليكون العبد على ذلك الحال فهو سبحانه هو الذي خلق الانسان هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على الاحوال التي خلقهم عليها وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم : كونوا كذلك فيكونون كذلك. كما لو قال للجماد كن فيكون فأمر التكوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان وهو لا يقتصر الى علم المأمور ولا ارادته ولا قدرته لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره، وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره به في الظاهر، بل أمره بالطاعة باطنا وظاهراً، ونهاه عن المعصية باطنا وظاهراً، وقدر ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطناً وظاهراً، وخلق العبد وجميع أعماله باطناً وظاهراً، وكون ذلك بقوله « كن باطناً وظاهراً » وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يُحتج به ، والاحتجاج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض ، فان القدر ان كان حجة وعذراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه حينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه اذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمة أن لا ينتصر من الظالم ولا يفض عليه ولا يذمه. وهذا أمر ممتنع في الطيبة لا يمكن أحداً أن يفعله فهو ممتنع طبعاً محرم شرعاً .

ولو كان القدر حجة وعذراً لم يكن ابليس ملوماً معاقباً ولا فرعون وقوم نوح وعاد وحمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار جائزاً ولا إقامة الجسد جائزاً لا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجمه ولا قتل

القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه. ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلا في فطر الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من الأمم. ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين يتردون قولهم فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لا في دينه ولا آخرته ولا يمكن اثنا أن يتعاشرا ساعة واحدة إن لم يكن أحدهما ملتزما بالآخر نوعا من الشرع، فالشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك، ثم المنزلة تارة تبديل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم. وتارة لا تغير ولا تبديل، وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل. أما القدر فإنه لا يحتاج به أحد إلا عند اتباع هواه فإذا فعل فعلا بمجرد هواه وذوقه ووجدته من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند إلى القدر كما قال المشركون (لو شاء الله ما أشر لنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل والله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فبين أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وإنما يتبعون الظن، والقوم لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر فإنه لو خرب أحد الكعبة أو شتم إبراهيم الخليل أو طعن في دينهم لعادوه وآذوه كيف وقد عادوا النبي صلى الله عليه وسلم على ما جاء به من الدين وما فعله هو أيضا من المقدور؟ فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فإن كان كل ما يحدث في الوجود فهو

مقدر، فالحق والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر ان كان الاحتجاج به صحيحا ولكن كانوا يمتدون على ما يعتقدونه من جنس دينهم وم في ذلك يتبعون الظن ليس لهم به علم بل هم يحرصون

وموسى لما قال لا دم لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسى: لم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين عاما؟ فخرج آدم موسى - لم يكن آدم عليه السلام محتجا على فعل ما نهى عنه بالقدر ولا كان موسى ممن يحتاج عليه بذلك فقبله بل آحاد المؤمنين لا يفعل مثل هذا فكيف آدم وموسى؟ و آدم قد تاب من فعله واجتبا به وهدى، وموسى أعلم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه فكيف بنبي من الانبياء؟ و آدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتاج الى التوبة ولم يجر ماجرى من خروجه من الجنة وغير ذلك، ولو كان القدر حجة لكان لا بليس وغيره وكذلك موسى يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنو اسرائيل بالصعقة وغيرهما كيف وقد قال موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقال (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) وهذا باب واسع وانما كان لوم موسى لا دم من أجل المصيبة التي لحقتهم بادم من أكل الشجرة ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ واللوم لاجل المصيبة التي لحقت الانسان نوع واللوم لاجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر، فان الاب لو فعل فعلا افتقر به حتى تضر ربنوه فأخذوا يلومونه لاجل ما لحقتهم من القدر لم يكن هذا كلومه لاجل كونه أذنب والعبد مأمور أن يصبر على المقدر، ويطيع الأمور، واذا أذنب استغفر كما قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال طائفة من السلف

هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم فمن احتج
 بالقدر على ترك المأمور، وجزع من حصول ما يكرهه من المقدور، فقد
 عكس الايمان والدين، وصار من حزب الملحدن المناقين، وهذا حال
 المحتجين بالقدر فان أحدم اذا أصابته مصيبة عظم جزعه وقل صبره فلا
 ينظر الى القدر ولا يسلم له، واذا أذنب ذنباً أخذ محتج بالقدر، فلا يفعل
 المأمور، ولا يترك المحذور، ولا يصبر على المقدور، ويدعي مع هذا أنه من
 كبار أولياء الله المتقين، وأئمة المحققين الموجودين، وانما هو من أعداء الله
 للملحدن، وحزب الشيطان اللعين. وهذا الطريق انما يسلكه أبعاد الناس عن
 الخير والدين والايان، تجرد أحدم أخير الناس اذ قدر، وأعظمهم ظلماً وعدواناً،
 وأذل الناس اذ قهر، وأعظم جزعاً ووهناً. كما جربه الناس من الاحزاب
 البعيدين عن الايمان بالكتاب والمقابلة من أصناف الناس. والمؤمن ان قدر
 عدل وأحسن، وان قهر وغلب صبر واحتسب، كما قال كعب بن زهير في قصيدته
 التي أنشدها للنبي صلى الله عليه وسلم التي أولها بان سعاد الخ في صفة المؤمنين:
 ليسوا مفارح إن نالت رماحهم يوماً وليسوا مجازيما اذا نيلوا
 وسئل بعض العرب عن شيء من أمور النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم فقال: رأيت يعلب فلا يبطر، ويئلب فلا يضجر، وقد قال تعالى (قالوا
 أأنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا، إنه من
 يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (وإن تصبروا
 وتيقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) وقال تعالى (إن تصبروا وتيقوا وياأتوكم
 من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال
 تعالى (وإن تصبروا وتيقوا فان ذلك من عزم الامور) فذكر الصبر

والتقوى في هذه المواضع الاربعة فالصبر يدخل فيه الصبر على المقذور؛
 والتقوى يدخل فيها فعل المأمور. فن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير،
 بخلاف من عكس فلا يتقي الله بل يترك طاعته مشعباً لهواه ويحتج بالقدر،
 ولا يصبر اذا ابتلى ولا ينظر حينئذ الى القدر، فان هذا حال الاشقياء
 كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدرتي وعند المعصية جبري أي
 مذهب وافق هواك تمذهبت به: يقول أنت اذا أطعت جمعات نفسك
 خالقاً لطاعتك فتسى نعمه الله عليك كي (١) أنه جعلك مطيعاً له واذا عصيت
 لم تعترف بأنك فعلت الذنب بل تجعل نفسك بمنزلة المجبور عليه بخلاف
 مراده أو المحرك الذي لا ارادة له ولا قدرة ولا علم وكلاهما خطأ
 وقد ذكر أبو طالب المنكي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: اذا
 عمل العبد حسنة فقال: أي ربي أنا فعلت هذه الحسنة، قال له ربه أنا
 يسرتهك لها وأنا أعتك عليها: فان قال أي ربي أنت أعتني عليها وبسرتني
 لها، قال له ربه: أنت عملتها وأجرها لك. واذا فعل سيئة فقال أي ربي
 أنت قدرت علي هذه السيئة قال له ربه: أنت اكتسبتها وعليك وزرها
 فان قال أي ربي اني أذنبت هذا الذنب وأنا أتوب منه، قال له ربه: أنا
 قدرته عليك وأنا أغفر لك. وهذا باب مبسوط في غير هذا الموضوع
 وقد كثرت في كثير من المنتسبين الى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط
 من غير شهود الامر والنهي والاستناد اليه في ترك المأمور وفعل المحذور،
 وهذا أعظم الضلال. ومن طرده هذا القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود
 والنصارى والمشركين لكن أكثر من يدخل في ذلك بتناقض ولا يطرده قوله

وقول هذا القائل هو من هذا الباب فقوله: آدم كان أمره بكل باطنا
 فأكل، وإبليس كان توحيداً ظاهراً فأمر بالسجود لآدم فراه غيراً فلم يسجد
 فبئير الله عليه وقال (أخرج منها) الآية فان هذا مع ما فيه من الاحتجاج كذب على
 آدم وإبليس فإنه اعترف بأنه هو الفاعل للخطيئة وأنه هو الظالم لنفسه وتاب
 من ذلك ولم يقل أن الله ظلمني ولا إن الله أمرني في الباطن بالأكل، قال تعالى
 (قتلى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال تعالى (قالا
 ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وإبليس أصر
 واحتج بالقدر فقال (ربي بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين)
 وأما قوله: رآه غيراً فلم يسجد فهذا شر من الاحتجاج بالقدر فان
 هذا قول أهل الوحدة الملحدين وهو كذب على إبليس فان إبليس لم
 يمتنع من السجود لكونه غيراً بل قال (أنا خير منه خلقتني من نار
 وخلقته من طين) ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيراً
 بل المغايرة بين الملائكة وآدم ثابتة معروفة والله تعالى (علم آدم الاسماء
 كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
 قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وكانت
 للملائكة وآدم معترفان بأن الله مبين لهم وهم مغايرون له ولهذا قالوا:
 دعوه دعا العبد ربه فآدم يقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) والملائكة تقول:
 لا علم لنا الا ما علمتنا) وتقول (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
 للذين تابوا واتبعوا سبيلك ونهم عذاب الجحيم) الآية وقد قال تعالى
 (أفبئير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (أغير الله أتخذوليا
 فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم) وقال أفبئير الله أتبني

حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمره بعبادة غير الله ولا اتخاذه غير الله وليا ولا حكما فلم يكونوا يستحقون الإنكار، فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه وليا وحكما، وأنه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذنين) وقال (لا تجعل مع الله الها آخر فتعبد مذموماً مخذولا) وأمثال ذلك

وأما قول القائل ان قوله (ليس لك من الامر شيء) عين الاثبات للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله (وما رمت إذ رمت ولكن الله رى ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدالله فوق أيديهم) فهذا بناء على قول أهل الوحدة والاتحاد، وجمل معنى قوله (ليس لك من الامر شيء) أي فملك هو فعل الله لعدم المغايرة وهذا ضلال عظيم من وجوه

(احدهما) ان قوله (ليس لك من الامر شيء) نزل في سياق قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا اويكبتهم فينقلبوا خائئين * ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على قوم من الكفار او يلعنهم في القنوت فلما أنزل الله هذه الآية ترك فعلم ان معناها افراد الرب تعالى بالامر وأنه ليس لغيره امر بل ان شاء الله تعالى قطع طرفا من الكفار وان شاء كتبهم فاقبلوا بالخسارة وان شاء تاب عليهم وان شاء عذبهم. وهذا كما قال في الآية لاخري (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم النيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ونحو ذلك قوله تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل ان الامر كله لله)

(الوجه الثاني) ان قوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به ان فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظنه طائفة من الغالطين فان ذلك لو كان صحيحاً لكان ينبغي ان يقال لكل أحد حتى يقال للماشي ما مشيت إذ شيت ولكن الله مشى ، ويقال للراكب وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب ، ويقال للمتكلم ما تكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم . ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك ولمرد ذلك يستلزم ان يقال للكافر ما كفرت اذ كفرت ولكن الله كفر . ويقال للكاذب ما كذبت اذ كذبت ولكن الله كذب . ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين . ولكن معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته ان يوصل الرمي الى جميعهم فانه اذا رماهم بالتراب وقال شامت الوجوه ولم يكن في قدرته ان يوصل ذلك اليهم كلهم فالله تعالى أوصل ذلك الرمي اليهم بقدرته ، يقولوا أوصلت اذ حذف ولكن الله أوصل ، فالرمي الذي أثبتته له ليس هو الرمي الذي تفاه عنه وهو الايصال والتبليغ وأثبت له الحذف والالقاء وكذلك اذ رمى سهما فواصلها بقدرته (الوجه الثالث) انه لو فرض ان المراد بهذه الآية ان الله خالق أفعال العباد فهذا المعنى حق وقد قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) فالله هو الذي جعل المسلم مسلماً

وقال تعالى (إن الانسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً) فالله هو الذي خلقه هلوعاً لكن ليس في هذا أن الله هو العبد، ولأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، ولا أن الله حال في العبد. فالقول بأن الله خالق أفعال العباد حق والقول بأن الخالق حال في

المخلوق أو وجوده وجود المخلوق باطل وهو لاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية الى القول بالحلول والاتحاد وهذا عين الضلال والاحاد (الوجه الرابع) لان قوله تعالى (لن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لم يرد به أنك أنت الله وإنما أراد أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه فن يبايعك فقد بايع الله كما أن من أطاعك فقد أطاع الله ولم يرد بذلك أن الرسول هو الله. ولكن الرسول أمر بما أمر الله به فن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني» ومعلوم أن أميره ليس هو آياه ومن ظن في قوله (لن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) أن المراد به أن فملك هو فعل الله أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد به أن خالق لعملك كان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالبايع هو الله أيضا فيكون الله قد بايع الله إذ الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك إذا قيل بمنزلة أهل الحلول والوحدة والاتحاد فإنه عام عندهم في هذا وهذا فيكون الله قد بايع الله. وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو يقول أقاتل الله؟ ما أتدر أن أقاتل الله ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم وبيننا فسادهم وضلالهم غير مرة وأما الحلول الخاص فليس هو قول هؤلاء بل هو قول النصاري

ومن وافقهم من الغالية (١) وهو باطل أيضا فان الله سبحانه قال له (ليس لك من الامر شيء) وقال (وانه لما قام عبد الله يدعوه) وقال (سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا) وقال (ولان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) وقال (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) ومنام كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما

فقوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) يبين قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ولهذا قال (يد الله فوق أيديهم) ومعلوم ان يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت مع أيديهم كانوا يبايعونه ويصنفون على يده في البيعة، فعلم ان يد الله التي فوق أيديهم ليست هي يد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول عبد الله ورسوله فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره بيعتهم، الا ترى أن كل من وكل شخصا بمقد مع الوكيل كان ذلك عقدا مع الموكل ومن وكل نائبا له في معاهدة قوم فعاهدهم عن مستنبيه كانوا معاهدين لمستنبيه ومن وكل رجلا في نكاح او تزوج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد؟ وقد قل تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية ولهذا قال في تمام الآية (ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما) فتبين أن قول ذلك النقيض هو القول الصحيح وان الله اذا كان قد قال لنبيه (ليس لك من الامر شيء) فايش نكون نحن؟ وقد ثبت عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيح أنه قال « لا نظروني كما أطرت
النصارى للمسيح بن مريم قائماً أتعبد فقولوا عبد الله ورسوله »
وأما قول القائل

ما نجت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين
فهذا القول مبني على قول هؤلاء وهو باطل متناقض فإن مقتضاه
انه يرى الله بعينه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال « واعلموا أن أحداً منكم لن يري ربه حتى يموت » وقد اتفق أئمة
المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا ولم يتنازعا
الا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أن جماهير الائمة على انه لم يره
بعينه في الدنيا وعلى هذا دللت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم والصحابة وائمة المسلمين

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الامام احمد وامثالهما انهم قالوا
رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم إما اطلاق الرؤية وإما تقييدها بالقواد
وليس في شيء من أحاديث المراجع الثابتة انه رآه بعينه وقوله « أتاني
البارحة ربي في احسن صورة » الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أما
كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسراً وكذلك ام الطفيل وحديث ابن عباس
وغيرها مما فيه رؤية ربه إنما كان بالمدينة كما جاء مفسراً في الاحاديث
والمراجع كان بمكة كما قال (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى) وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا
الموضع. وقد ثبت بنص القرآن ان موسى قيل له (لن تراني) وأن رؤية
الله أعظم من انزال كتاب من السماء فن قال ان أحداً من الناس يراه

فقد زعم انه اعظم من موسى بن عمران ودعواه اعظم من دعوى
من ادعى ان الله انزل عليه كتابا من السماء

المسلمون في رؤية الله على ثلاثة اقوال فالصحابه والتابعون وائمة
المسلمين على ان الله يري في الآخرة بالابصار عيانا وان احدا لا يراه
في الدنيا بعينه لكن يري في المنام ويحصل للقلوب في المكاشفات
والمشاهدات ما يناسب حالها . ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه
حتى يظن انه رأى ذلك بعينه وهو غلط ، ومشاهدات القلوب تحصل
بحسب ايمان العبد ومعرفة في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضوع
(والقول الثاني) قول نفاة الجهمية انه لا يري في الدنيا ولا في الآخرة
(والثالث) قول من يزعم انه يري في الدنيا والآخرة

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون انه لا يري
في الدنيا ولا في الآخرة وانه يري في الدنيا والآخرة وهذا قول ابن
عربي صاحب الفصوص وأمثاله لان الوجود المطلق الساري في الكائنات
لا يري وهو وجود الحق عندهم

ثم من أثبت الذات قال يري متجليا فيها ومن فرق بين المطلق
والمعين قال لا يري الا مقيدا بصورة وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين
انكار رؤية الله واثبات رؤية المخلوقات ويحملون المخلوق هو الخالق أو
يحملون الخالق حالا في المخلوق والا فتفريقهم بين الأعيان الثابتة في
الخارج وبين وجودها هو قول من يقول بأن المعدوم شيء في الخارج
وهو قول باطل وقد ضمنوا اليه انهم جعلوا نفس وجود المخلوق هو وجود
الخالق وأما التفريق بين المطلق والمعين مع أن المطلق لا يكون هو في

الخارج مطلقا يقتضي أن يكون الرب معدوما وهذا هو جهود الرب وتمطيله، وإن جملوه ثابتا في الخارج جملوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق أو عرضا قائما بالمخلوق. وكل هذا مما يعلم فساده بالضرورة، وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع وأما تناقضه فقوله

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين
 يقتضي المفارقة وأن المخاطب غير المخاطب وأن المخاطب له عين قلب لا
 يغيب عنها المخاطب بل يشهده القلب والعين والشاهد غير المشهود
 وقوله * ما بينكم وبيننا من بين * فيه اثبات ضمير المتكلم وضمير
 المخاطب وهذا اثبات لاثنين، وإن قالوا مظاهر ومجالي قيل فإن كانت
 المظاهر والمجالي غير الظاهر المتجلي فقد ثبتت التثنية وبطل التعدد،
 وإن كان هو إياها فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما تناقض. وقول القائل
 فارق ظلم الطبع وكن متحدا بالله والا كل دعواك محال
 إن أراد الاتحاد المطلق فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع
 وهو المخاطب بقوله « وكن متحدا بالله » وهو المخاطب بقوله « كل دعواك
 محال » وهو القائل هذا القول، وفي ذلك من التناقض ما لا يحتمل.
 وإن أراد الاتحاد المقيّد فهو ممتنع لأن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإن كانا
 بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبل الاتحاد فذلك تمدد وليس باتحاد، وإن
 كانا استحلالا إلى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو
 ذلك مما يشبه النصراني بقولهم في الاتحاد لزم من ذلك أن يكون الخالق
 قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره فإنه لا بد أن يستحيل

وهذا ممتنع على الله ينزه الله عن ذلك، لان الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع عدمه على شيء من ذلك، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال فعدم شيء منها قص تعالى الله عنه، ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي ان العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والنل وصفات الرب تعالى اللازمة القدم والغنى والعزة ودو سبحانه قديم غني عزيز بنفسه يستحيل عليه تقيض ذلك فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضي أن يكون الرب متصفا بتقيض صفاته من الحدوث والفقر والنل، والعبد متصفا بتقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع وبسط هذا يطول

ولهذا سئل الجنيب عن التوحيد فقال التوحيد افراد الحدوث عن

القدم. فبين أنه لا بد من تمييز المحدث عن القديم

ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في

مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب

والعبد عبد (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد

أحصاهم وعدم عداؤهم آتية يوم القيامة فردا) وان كان المتكلم بهذا

البيت أراد الاتحاد الوصفي وهو أن يجب العبد ما يحبه الله . ويبغض ما

يبغضه الله . ويرضى بما يرضي الله . ويفض لما يفض الله . ويأمر بما

يأمر الله . وينهى عما ينهى الله عنه . ويوالي من يواليه الله . ويمادي من

يعاديه الله . ويحب لله . ويبغض لله . ويمطى لله . ويميت بكرين

موافقا لربه تعالى فهذا المعنى حق وهو حقيقة الايمان وكماله وفي الحديث

الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي ، ولئن سألتني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعينده . وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه »

وهذا الحديث يحتاج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة. (منها) انه قال « من عادى لي وليا فقد بارزني بالحاربة » فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ، ثم قال « وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب لي بالنوافل حتى أحبه » فأثبت عبدا يتقرب اليه بالفرائض ثم بالنوافل وانه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فاذا أحبه كان العبد يسمع به ويبصر به ويبطش به ويمشي به ، وهؤلاء هو عديم قبل أن يتقرب بالنوافل وبمده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه ونخذه لا يخصوص ذلك بالاعضاء الاربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالاطلاق والتعميم فاین هذا من هذا ؟ وكذلك قد يحتاجون بما في الحديث الصحيح ان الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنار بكم فيقولون نعمذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ثم يأتيهم في الصورة

التي رأوه فيها في أول مرة فيقول اناربيكم فيقولون انت ربنا» فيجعلون هذا حجة لقولهم انه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة وهذا الحديث حجة عليهم- في هذا- أيضا فانه لافرق عندهم بين الدنيا والآخرة وهو عندهم في الآخرة المنكرون (١) الذين قالوا نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا وهؤلاء الملاحدة يقولون ان العارف يعرفه في كل صورة فان الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم. وهذا جهل منهم فان الذين أنكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلي لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الانبياء والمؤمنون وكان انكارهم مما حدم سبحانه وتعالى عليه فانه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبدوه فلهذا قال في الحديث وهو يسألهم ويثبتهم « وقد نادى المنادي ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون»

ثم يقال لهؤلاء الملاحدة اذا كان عندهم هو الظاهر في كل صورة فهو المنكر وهو المنكر كما قال بعض هؤلاء لآخر من قال لك: ان في الكون سوى الله فقد كذب، وقال له الآخر فمن هو الذي كذب؟ وذكر ابن عربي انه دخل على مرید له في الخلوة وقد جاءه الغائط فقال ما أبصر

(١) ههنا تحريف ظاهر فان قوله : وهو عندهم في الآخرة المنكرون - لا معنى له فقد سقط من الناسخ كلام لا سبيل الى معرفته والمعروف عن ابن عربي في فتوحاته يدل عليه ومنه ان الرب تعالى يتجلى لكل احد بحسب معرفته فالقاصر المقيد برأي أو مذهب معين لا يعرفه الا اذا تجلى له في صورة اعتقاده واما العارف المطلق من حجب القيود فانه يعرفه في كل شيء وبراه في التجلي بكل صورة، لانه في اعتقاده كل شيء (تعالى الله عما يقولون) - قاله محمد رشيد

غيره أبول عليه، فقال له شيخه فالذى يخرج من بطنك من أين هو؟ قال فرجت عني. ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي على كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمساني هذا ايضاً من ذاته؟ فقال (التلمساني) هل تم شيء خارج عنها؟ وكان التلمساني قد أضل شيخاً زاهداً عابداً ببیت المقدس يقال له أبو يعقوب المغربي المبلى حتى كان يقول: الوجود واحد، وهو الله، ولا يرى الواحد، ولا يرى الله. ويقول نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لاثنوية فيه. ويحمل هذا الكلام له تسبيحاً يتلوه كما يتلو التسبيح

وأما قول الشاعر

إذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقايق يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر
فهذا الكلام مع انه كفر هو كلام جاهل لا يتصور ما يقول فان
الفناء والغيب هو أن يغيب بالذكور عن الذكر وبالمعروف عن المعرفة
وبالمبود عن العبادة حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، وهذا مقام
الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين لعجزهم عن كمال الشهود المطابق
للحقيقة، بخلاف الفناء الشرعي فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ما سواه
ومحبه عن حب ما سواه. ونخشيتيه عن خشية ما سواه. وبطاعته عن
طاعة ما سواه. فان هذا تحقيق التوحيد والايان

(وأما النوع الثالث) من الفناء وهو الفناء عن وجود السوى
بحيث يرى ان وجود الخالق هو وجود المخلوق - فهذا هو قول هؤلاء
المساحدة اهل الوحدة. والمقصود هنا أن قوله يغيب عن المذكور كلام

جاهل فان هذا لا يحمد أصلاً بل الحمود أن يغيب بالمذكور عن الذكر
لا يغيب عن المذكور في سطوات الذكر اللهم الآن يريد انه غاب عن
المذكور فشهد الخلق وشهد انه الخالق ولم يشهد الوجود الا واحداً ونحو
ذلك من المشاهد الفاسدة فهذا شهود أهل الالحاد لا شهود الموحدين
ولعمري ان من شهد هذا الشهود الالحادي فانه يرى صلاة العارفين من
الكفر . وأما قول القائل

الكون يناديك ما تسمعي من ألف أشتاتي ومن قرقي
انظر لتراني منظرأ معتبراً ما في سوى وجود من اوجدني

فهو من أقوال هؤلاء الملاحدة وأقوالهم كفر متناقض باطل في
العقل والدين فانه اذا لم يكن فيه الوجود من أوجده كان ذلك الوجود هو
الكون المنادي وهو المخاطب المنادي وهو الاشتات المؤلفة المفرقة وهو
المخاطب الذي قيل له : انظر . وحينئذ يكون الوجود الواجب التقديم
الازلي قد أوجد نفسه وفرقها وألفها . فهذا جمع بين النقيضين

فالواجب هو الذي لا تقبل ذاته المدم فمتنع أن يكون الشيء الواحد
قابلاً للمدم غير قابل للمدم، والقديم هو الذي لا أول لوجوده والمحدث
هو الذي له أول، فيمتنع كون الشيء الواحد قديماً محدثاً ولولا ان قد علم
مرادهم بهذا القول لا يمكن ان يراد بذلك : ما في سوى الوجود الذي خلقه
من أوجدني، وتكون إضافة الوجود الى الله إضافة الملك لكن قد علم انه
لم يرد هذا لان هذه العبارة لا تستعمل في هذا المعنى وانما يراد بوجود
الله وجود ذاته لا وجود مخلوقاته . وهكذا قول القائل :

وله ذات وجود ال ككون الحق شهود

أنه ليس لموجود سوى الحق وجود

مراده أن وجود الكون هو نفس وجود الحق وهذا هو قول أهل الوحدة والافلأراد أن وجود كل موجود من المخلوقات هو من الحق تعالى فليس لشيء وجود من نفسه وإنما وجوده من ربه والاشياء باعتبار أنفسها لا تستحق سوى العدم وإنما حصل لها الوجود من خالقها وبارئها فهي دائمة الافتقار إليه لا تستغنى عنه لحظة لافي الدنيا ولا في الآخرة — لكان قمارا دمنى صحيحا وهو الذي عليه أهل العقل والدين من الاولين والآخرين . وهؤلاء القائلون بالوحدة قولهم متناقض ولهذا يقولون الشيء وتقيضه والافقوله : منه والى علاه يبدي ويميد . يناقض الوحدة فمن هو البادى والمائد منه واليه اذا لم يكن الا واحد . وقوله

وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل

يناقض الوحدة لان الظل منابر لصاحب الظل فاذا شبه المخلوق بالظل لزم اثبات اثنين كما اذا شبهه بالشعاع فان شعاع الشمس ليس هو نفس قرص الشمس وكذلك اذا شبهه بضوء السراج وغيره والنصارى تشبه الحلول والاتحاد بهذا

(وقلت) ان حضرتي منهم وتكلم بشيء من هذا : فاذا كنتم تشبهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار والخالق بالنار والشمس فلا فرق في هذا بين المسيح وغيره فان كل ما سوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء فالفرق بين المسيح وبين ابراهيم . موسى ؟ بل ما الفرق بينه وبين سائر المخلوقات على هذا ؟ وجمعت أردد عليه هذا الكلام وكان في المسجد جماعة حتى فهمه فهما جيدوا تبين له وللحاضرين أن قولهم باطل لا حقيقة

له وان ما أتبوه للمسيح إما ممتنع في حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره. وعلى التقديرين فتخصيص المسيح بذلك باطل (وذكرت له) أنه لمن آية جاء بها المسيح الا وقد جاء موسى بأعظم منها فان المسيح صلى الله عليه وسلم وان كان جاء باحياء الموتى فالذين أحيام الله على يد موسى اكثر كالذين قالوا (لن نؤمن لك حتى ترى الله جهره فأخذتهم العصاة) ثم أحيامهم الله بعد موتهم، وقد جاء باحياء الموتى غير واحد من الانبياء، والنصارى يصدون بذلك. وأما جعل العصا حية فهذا أعظم من احياء الميت فان الميت كانت فيه حياة فردت الحياة الى محل كانت فيه الحياة. وأما جعل خشبة يابسة حيوانا يتلعب العصي والحبال فهذا أبلغ في التندر والتندر (١) فان الله يحيي الموتى ولا يجعل الخشب حياة

وأما اتزال المائدة من السماء فقد كان ينزل على صكر موسى كل يوم من المن والسلوى وينبع لهم من الحجر من الماء ما هو أعظم من ذلك فان الخلو أو اللحم دائما هو أجل في نوعه وأعظم في قدره مما كان على المائدة من الزيتون والسمك وغيرها، وذكرت له نحو من ذلك مما تبين ان تخصيص المسيح بالاتحاد ودعوى الالهية ليس له وجه، وان سائر ما يذكر فيه اما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من المخلوقات واما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من الانبياء والرسل مع ان بعض الرسل كإبراهيم وموسى قد يكون أكل في ذلك منه، وأما خلقه من امرأة

(١) كذا في الاصل وفيه تحريف ظاهر من جهل النساخ والمعنى ظاهر وهو أن آية العصا لموسى أعظم من احياء الميت لعيسى عليهما السلام وأدل على قدرة الله تعالى بما ذكر من الفرق بين البشر والخشب

بلا رجل تخلق حواء من رجل بلا امرأة أعجب من ذلك فانه خلق من
 بطن امرأة وهذا معتاد بخلاف الخلق من ضلع رجل فان هذا ليس بمعتاد
 فما من أمر يذكر في المسيح صلى الله عليه وسلم الا وقد شرکه فيه أو فيما
 هو أعظم منه غيره من بني آدم

فعلم قطعا ان تخصيص المسيح باطل وان ما يدعى له ان كان ممكنا فلا
 اختصاص له به وان كان ممتعا فلا وجود له فيه ولا في غيره ولهذا قال
 هؤلاء الاتحادية ان النصراني إنما كفر وبالتخصيص وهذا أيضا باطل
 فان الاتحاد عموم وخصوص والمقصود هنا ان تشبيه الاتحادية أحدم
 بالظل المستحيل يناقض قولهم بالوحدة . وكذلك قول الآخر

أحن اليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه
 ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري وما بعده الا لا فراط قربه
 هو مع ما قصده به من الكفر والاتحاد كلام متناقض فان حين
 الشيء الى ذاته متناقض ولهذا قال وهل يرى أخو وجد يحن لقلبه؟ وقوله
 وما بعده الا لا فراط قربه ، متناقض فانه لا قرب ولا بعد عند أهل
 الوحدة فانها تقتضي ان يقرب أحدهما من الآخر والواحد لا يقرب من
 ذاته ويبعد من ذاته

وأما قول القائل : التوحيد لالسان له والالسنه كلها لسانه— فهذا
 أيضا من قول أهل الوحدة وهو مع كفره قول متناقض فانه قد يعلم بالاضطرار
 من دين الاسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد وأن أقوال
 المشركين الذين قالوا (لا تدْرُونَ أَلَهُتِكُمْ وَلَا تَدْرُونَ وُدًّا وَلَا سِوَاءَ وَلَا يَفُوتُ
 وَيَعُوقُ وَنَسْرًا) والذين قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والذين قالوا

(وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) إن قول الإعتراك
بعض آلهتنا بسوء) والذين قالوا (حرقوه وانصروا آلهتكم) ونحو هؤلاء لسان
هذا هو لسان التوحيد

وأما تناقض هذا القول على أصاهاً فان الوجودان كان احداً كان
إثبات التعدد تناقضاً فاذا قال القائل : الوجود واحد، وقال الآخر : ليس
بواحد بل يتعدد ، كان هذان قولين متناقضين فيمتنع أن يكون أحدهما
هو الآخر . وإذا قال قائل الالسنه كلها الاله فصدق بالتعدد في قوله :
الالسنه كلها ، وذلك يقتضي أن لا يكون هذا اللسان هو هذا اللسان فثبت
التعدد وبطلت الوحدة . وكل كلام لهؤلاء ولنيرم فانه ينقض قولهم فانهم
مضطرون الى اثبات التعدد

فان قالوا : الوجود واحد بمعنى أن الموجودات اشتركت في مسمى
الوجود فهذا صحيح لكن الموجودات المشتركة في مسمى الواحد لا
يكون وجود هذا (منها) عين وجود هذا بل هذا اشتراك في الاسم العام السكلي
كالاشتراك في الاسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ، ويقسمها المنطقيون
الى جنس ونوع وفصل وخامسة وعرض عام ، فالاشتراك في هذه
الاسماء هو مستلزم لتباين الاعيان وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر
وهذا مما به يعلم أن وجود الحق مبين للمخلوقات أعظم من مباينة هذا
الموجود لهذا الموجود فاذا كان وجود الفلك مبينا مخالفا لوجود الكرة
والبعوضة فوجود الحق تعالى أعظم مباينة لوجود كل مخلوق من مباينة
وجود ذلك المخلوق لوجود مخلوق آخر .

وهذا وغيره مما يبين بطلان قول ذلك الشيخ حيث قال لا يعرف

التوحيد الا الواحد ولا تصح العبارة عن التوحيد وذلك لا يعبر عنه الا بغير
ومن أثبت غيراً فلا توحيد له - فان هذا الكلام مع كفره متناقض فان قوله:
لا يعرف التوحيد الا واحداً، يقتضي أن هناك واحداً يعرفه وان غيره لا
يعرفه، هذا تفريق بين من يعرفه ومن لا يعرفه، واثبات اثنين أحدهما
يعرفه والاخر لا يعرفه اثبات للتمييز بين من يعرفه ومن لا يعرفه، فقوله
بمعهذا من أثبت غيراً فلا توحيد له، يناقض هذا. وقوله إنه لا تصح العبارة
عن التوحيد، كفر باجماع المسلمين، فان الله قد عبر عن توحيدِهِ ورسوله عبر
عن توحيدِهِ والقرآن مملوء من ذكر التوحيد بل انما أرسل الله الرسل
وأزّل الكتب بالتوحيد وقد قال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من
رسلنا أجمعنا من دين الرحمن ألمة يعبدون) وقال تعالى (وَأَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رِسُولٍ آيُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) ولو لم يكن عنه
عبارة لما نطق به أحد وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «أفضل الذكر لا إله الا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله» وقال «من كان آخر كلامه لا آله الا الله دخل الجنة» لكن التوحيد
الذي يشير اليه هؤلاء للملاحدة وهو وحدة الوجود أمر ممنوع في نفسه
لا يتصور تحققه في الخارج فان الوحدة الميضية الشخصية تمتنع في الشئيين
المتمددين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن الاسم الموجود
اسم عام يتناول كل أحد كما أن اسم الجسم والانسان ونحوهما يتناول كل
كل جسم وكل انسان وهذا الجسم ليس هو ذلك وهذا الانسان ليس هو
ذلك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذلك

وقوله: لا يصح التعمير عنه الا بغير يقال له - أولاً - التعمير عن التوحيد

يكون بالكلام والله يعبر عن التوحيد بكلام الله فكلام الله وطلعه وقدرته
 وغير ذلك من صفاته لا يطلق عليه عند السلف والائمة القول بأنه الله ولا
 يطلق عليه بأنه غير الله لان لفظ الغير قد يراد به ما يبين غيره وصفة الله
 لا تباينه، ويراد به ما لم يكن اياه، وصفة الله ليست اياه في أحد الاصطلاحين
 يقال انه غير وفي الاصطلاح الآخر لا يقال انه غير فهذا لا يطلق أحدهما
 الا مقرونا ببيان المراد لئلا يقول المبتدع اذا كانت صفة الله غيره فكل ما
 كان غير الله فهو مخلوق فيترسل بذلك الى أن يجعل علم الله وقدرته وكلامه
 ليس هو صفة قائمة به بل مخلوقة في غيره فان هذا فيه من تعطيل صفات
 الخالق وجحد كماله ما هو من أعظم الالحاد وهو قول الجهمية الذين كفرهم
 السلف والائمة تكفيرا مطلقا. وان كان الواحد المعين لا يكفر الا بعد
 قيام الحجة التي يكفر تاركها (١)

وأياضا فيقال لهؤلاء الملاحدة ان لم يكن في الوجود غير بوجه من
 الوجوه لزم أن يكون كلام الخلق وأكلهم وشربهم ونكاحهم وزناهم وكفرهم
 وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله ومعلوم أن من
 جعل هذا صفة لله كان من أعظم الناس كفرا وضلالا فمن قال انه عين
 وجود الله كان أكفر وأضل فان الصفات والاعراض لا تكون عين الوجود
 القائم بنفسه وائمة هؤلاء الملاحدة كان عربي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

فيجعلون كلام المخاوقين من الكفر والكذب وغير ذلك كلاما لله

(١) يعني ان السلف كفروا الجهمية ببذعتهم في الالحاد بصفتهم الله وانكار كونها
 معاني وجودية قائمة بذاته وزعمهم أن كلامه أصواتا خلقها في سمع موسى وغيره

وأما هذا اللعيد (١) فزاد على هؤلاء فجعل كلامهم وعبادتهم نفس وجوده لم يجعل ذلك كلاماً له بل يقال أن يكون (٢) هنا كلام له لئلا يثبت غير الله وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالمعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى وإن كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ولو لم يكن هناك غير لما صح الإنكار قال تعالى (قل أغير الله تأسروني أعبداً أيها الجاهلون) وقال تعالى (قل أغير الله اتخذ ولياً) وقال تعالى (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) وقال تعالى (أغير الله أتبني حكماً وهو الذي أنزل اليك الكتاب مفصلاً)

وكذلك قول القائل وجدت المحبة غير المقصود لأنها لا تكون إلا من غير لغير وغير مأم، ووجدت التوحيد غير المقصود لأن التوحيد ما يكون إلا من عبادة رب، لو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً — هو كلام فيه من الكفر والالحاد والتناقض ما لا يخفى فإن الكتاب والسنة واجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له كقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبههم ويحبونه) وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وقوله (إن الله يحب المتقين) يحب المحسنين يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن

١ كذا في الاصل فان لم يكن محرفاً فهو تصغير لاحد: اسم فاعل من لحد الثلاثي وهو بمعنى ألحد ٢ كذا في الاصل فوجب لفظاً ومعنى

يلقى في النار، وقد أجمع ساف الأمة وائمتها على اثبات محبة الله تعالى لمباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل امام الحنفاء عليه السلام. وأول من أظهر ذلك في الاسلام الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبدالله القسري يوم الاضحى بواسطة. قال: أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني ضحى بالجعد بن درهم، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه

وقوله: المحبة ما تكون الا من غير لغير، وغير مائم - كلام باطل من كل وجه فان قوله: لا يكون الا من غير ليس بصحيح فان الانسان يجب نفسه وليس غيراً لنفسه والله يجب نفسه، وقوله مائم غير - باطل فان المخلوق غير الخالق والمؤمنون غير الله وهم يحبونه فالدعوى باطلة فكل واحدة من مقدمتي المحبة باطلة - قوله: لا تكون الا من غير لغير، وقوله: غير مائم - فان الغير موجود والمحبة تكون من المحبوب لنفسه يجب نفسه ولهذا كثير من الاتحادية يناقضه في هذا ويقول كما قال ابن الفارض (١) وكذلك قوله: التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ولو انصف الناس ما رأوا عابداً ولا معبوداً - كلا المقدمتين باطل فان التوحيد يكون من الله لنفسه فانه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو) والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه فقد وحد نفسه بنفسه كقوله (واله كم اله واحد) وقوله (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاعلم انه لا اله الا الله) وامثال ذلك. وأما الثانية فقوله: ان الناس لو انصفوا ما رأوا عابداً ولا معبوداً - سمع انه غاية في الكفر والالحاد (١) لم يذكر عن ابن الفارض هنا شيئاً

كلام متناقض فانه اذا لم يكن عابد ولا معبود بل الكل واحد فن
 هم الذين لا ينصفون؟ ان كانوا هم الله فيكون الله هو الذي لا ينصف وهو
 الذي يأكل ويشرب ويكفر كما يقول ذلك كثير منهم مثل ما قال بعضهم لشيخه:
 الفقير اذا صح أكل بالله فقال له الآخر: الفقير اذا صح أكل الله. وقد صرح
 ابن عربي وغيره من شيوخهم بانه هو الذي يجوع ويعطش ويمرض ويبول
 وينكح وينكح وأنه موصوف بكل نقص وعيب لان ذلك هو الكمال
 عندم كما قال في النصوص: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي
 يستتهي به جميع الامور الوجودية النسب المدمية سواء كانت محمودة
 عرفا وعقلا وشرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا لمسمى الله
 خاصة (وقال) لا ترى الحق يظهر بصفات الحدثات وأخبر بذلك عن نفسه
 وبصفات النقص والذم؟ الا ترى الخلق يظهر بصفات الخالق فهي كلها من
 أولها الى آخرها صفات للمبد كما أن صفات المبد من أولها الى صفات لله تعالى
 هذا المتكلم يمثل هذا الكلام يتناقض فيه فانه يقال له فانت الكامل
 في نفسك الذي لا ترى عابداً ولا معبوداً يما لك بموجب مذهبك
 فيضرب ويوجع ويهان ويصنع ويظلم فمن فعل به ذلك واشتكى أو صاح
 منه وبكى قيل له ماتم غير ولا عابد ولا معبود فلم يفعل بك هذا غيرك
 بل الضارب هو المضروب والشاتم هو المشتوم والعابد هو المعبود فان
 قال تغالم من نفسه واشتكى من نفسه قيل له فقل أيضاً عبد نفسه ، فاذا
 أثبت ظالماً ومظلوماً وهما واحد فأثبت عابداً ومعبوداً وهما واحد. ثم يقال
 له هذا الذي يضحك ويضرب هو نفس الذي يبكي ويصيح وهذا الذي
 شبع ووروى هو نفس هذا الذي جاع وعطش فان اعترف بانه غيره أثبت

الغابرة واذا أثبتت الغابرة بين هذا وهذا فين العابد والمبودا ولي واحرى
وان قال هو هو عومل معاملة جنس السوفسطايزة فان هذا القول من
أخبج السفسة فيقال فاذا كان هو هو فحن نضر بك وقتلك والشيء قتل
نفسه وأهلك نفسه . والانسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول (ربنا ظلمنا
أنفسنا) لكون نفسه أمرته بالسوء والنفس امارة بالسوء لكن جهة أمرها
ليست جهة فعلها بل لا بد من نوع تمدد اما في الذات واما في الصفات
وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار ان هذا الرجل الذي ظلم ذلك ليس هو
ايه وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه . واذا كان هذا في المخلوقين
فالخلق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا

ولولا أن اصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا وهم عند كثير
من الناس سادات الانام ، ومشايخ الاسلام ، وأهل التوحيد والتحقيق ،
وأفضل أهل الطريق ، حتى يفضوهم على الانبياء والمرسلين ، وأكابر مشايخ
الدين ، لم يكن بنا حاجة الى بيان فساد هذه الاحوال ، وايضاح هذا
الضلال ، ولكن يعلم بذلك أن الضلال لاحدله ، وانه اذا كررت (؟) العقول ،
لم يبق لضلالها حدم مقول ، فسبحان من فرق في نوع الانسان فجعل منه
من هو أفضل العالمين ، وجعل منه من هو من شرار الشياطين ، ولكن
تشبيه هؤلاء بالانبياء والاولياء ، كتشبيه مسيلمة الكذاب ، بسيد اولي
الالباب ، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والدين
والمقصود هنا هذه الافعال ، وبيان المهدي من الضلال ، وأما توبة من
قالوا وموته على الاسلام ، فهذا يرجع الى الملك الملام ، فان الله يقبل التوبة عن

عباده ويعفو عن السيئات. ومن الممكنات أنه قد تاب جل أصحاب هذه المقالات، والله تعالى غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، والذنب وإن عظم والكفر وإن ظلظ وجسم فإن التوبة تمحو ذلك كله، والله سبحانه لا يتماطله ذنب أن يغفره لمن تاب بل يغفر الشرك وغيره للتائبين كما قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا لأنه هو الغفور الرحيم) وهذه الآية عامة مطلقة لاها للتائبين وأما قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فانها مقيدة خاصة لانها في حق غير التائبين لا يغفر لهم الشرك وما دون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى

والحكاية المذكورة عن النبي قال انه اتهم العالم كله وأراد أن يقول أنا الحق واختها التي قيل فيها ان الالهية لا يدهما إلا أجهل خلق الله وأعرف خلق الله — هو من هذا الباب. والفقير الذي قال ما خلق الله أقل عقلا ممن ادعى انه آله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما هو الذي نطق بالصواب، وسدد الخطاب، ولكن هؤلاء الملاحدة يعظمون فرعون وأمثاله ويدعون أنهم (١) من موسى وأمثاله حتى انه حدثني بهاء الدين عبد السيد الذي كان قاضي اليهود وأسلم وحسن اسلامه وكان قد اجتمع بالشيرازي أحد شيوخ هؤلاء ودعا الى هذا القول وزينه له فحدثني بذلك فبينت له ضلال هؤلاء وكفرهم وإن قولهم من جنس قول فرعون فقال لي انه لما دعاه حسن الشيرازي قال له: قولك هذا يشبه قول فرعون، فقال نعم ونحن على قول

(١) سقط من هنا كلمة اعرف أو أعلم أو أفضل

فرعون، وكان عبد السيد لم يسلم بعده، فقال أنا لا أدع موسى وأذهب الى فرعون، قال له ولم؟ قال لان موسى أغرق فرعون. فانقطع فاحتج عليه بالنصر القدري الذي نصر الله موسى لا بكونه كان رسولا صادقا. قلت لسيد السيدواقر لك انه على قول فرعون؟ قال نعم، قلت فمن سُمع إقرار الخصم لا يحتاج الى بيينة. أنا كنت أريد أن أبين لك أن قولهم هو قول فرعون فاذا كان قد أقرب هذا حصل المقصود

فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل وقد نبهنا على بعض ما به يعرف معناها وأنه باطل والواجب إنكارها فان إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من انكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون لاسما واقوال هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ومن عرف معناها واعتقدتها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) والنفاق إذا عظم كان صاحبه شرا من كفار أهل الكتاب، وكان في الدرك الاسفل من النار

وليس لهذه المقالات وجه سائق ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحا فان ما يحمل عليها اذا لم يعرف مقصود صاحبها (١) وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصارى والرافضة ولهم في ذلك كتب مصنفة وأشعار مؤلفة وكلام يفسر بعضه بعضا وقد علم مقصودهم بالضرورة، فلا ينزع في ذلك الا جاهل لا يلتفت اليه.

١ « المنار : في الكلام تحريف وسقط والمعنى المفهوم من القرينة انها -

انما يصح ان تحمل على معنى صحيح تحتمله اللغة اذا لم يعرف مقصود صاحبها

ويجب بيان مضاها وكشف مزاها لمن أحسن الظن بها أو خيف عليه أن يحسن الظن بها وأن يضل، فإن ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون أنها سموم، وأعظم من ضرر السراق والخونة الذين لا يُعرفون أنهم سراق وخونة، فإن هؤلاء غاية ضررهم موت الإنسان أو ذهاب ماله وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سبباً لرحمة في الآخرة، وأما هؤلاء فيستقون الناس شراب الكفر والالحاد في آية أنبياء الله وأوليائه، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله وهم في الباطن من المحارفين لله ورسوله، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين، في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمناً ولياً لله فيصير منافقاً عدواً لله. ولقد ضربت لهم مرة مثلاً يقوم أخذوا طائفة من الحاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم إلى قبرص فقال لي بعض من كان قد انكشف له ضلالم من اتباعهم: لو كانوا يذهبون بنا إلى قبرص لكانوا يجعلوننا نصارى وهؤلاء يجعلوننا شرا من النصارى. والامر كما قاله هذا القائل

وقد رأيت وسمعت عن ظن هؤلاء من أولياء الله وأن كلامهم كلام العارفين المحققين من هو من أهل الخير والدين مالا احصيهم فمنهم من دخل في الحاد وهو فبه، وصار منهم، ومنهم من كان يؤمن بما لا يعلم، ويعظم مالا يفهم، ويصدق بالجهولات، وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالين، وهم منزلة من يعظم اعداء الله ورسوله ولا يعلم أنهم اعداء الله ورسوله، ويوالي المشركين، أهل الكتاب، ظاناً أنهم من أهل الإيمان وأولي الألباب، وقد دخل بسبب هؤلاء الجهال العظمين لهم من الشر على المسلمين، مالا يحصيه إلا رب العالمين.

وهذا الجواب، لم يتسع لأكثر من هذا الخطاب، والله أعلم.

﴿ انتهت الرسالة ﴾

(المنار) ارسل الينا هذه الرسالة مع رسائل وفتاوى اخرى لشيخ الاسلام
 وناصر السنة الامام احمد تقي الدين بن تيميه قدس الله روحه اخونا في الله
 الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بهجة الاثري البغدادي بارشاد استاذة صفوة أصدقاتنا
 علامة المراق ورحلة اهل الآفاق السيد محمود شكري الالوسي رحمه الله تعالى،
 وهي منقولة بقلم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد علي الفضيلي الزبيدي البغدادي عن
 نسخة كثيرة الغلط والتحريف والسقط قال انه اجتهد في تصحيحها ما استطاع.
 وتقول اتنا اجهدنا بعمده فصححنا مما بقي من ذلك ما تيسر لنا ونهنا على
 بعض ما يتيسر في الحواشي وعلى بعض آخر بعلامة الاستفهام (؟) بجانبه.
 ونحمد الله تعالى أن صار المراد منها كلمة مفهوما، فتمأله تعالى ان يثيب
 الجريم - المؤلف والناسخ والمرسل والمرشد والناشر بفضله وكرمه ما



مناظرة ابن تيمية العلنية

درجاجة البطائحية الرافعية

(وهي من أعظم ما تصدى له وقام به شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه من إقامة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة، ومحاربة البدعة، بعد ان اهل ذلك الحكام ظالماء ففشت البدع وصار كثير منها يعد من شعائر الدين، أو خصائص الصالحين، فكان رحمه الله من أعظم المجتهدين) قال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله الا الله رب السموات والارضين،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، صلى الله تعالى عليه وعلى
آله وسلم تسليماً دائماً الى يوم الدين
(أما بعد) فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الامارة
والميدان بمحضرة الخلق من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة
وغيرهم في أمر البطائحية يوم السبت تاسع جمادى الاولى سنة خمس لتشوف
المهم الى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه، فان من كان غائباً
عن ذلك قد يسمع به من اطراف الواقعة ومن شهدها فقد رأى وسمع
مارأى وسمع، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويبره لا انتشار
هذه الواقعة العظيمة، ولما حصل بها من عز الدين وظهور كلمته العليا وقهر
الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من
أهل البدع المضلة، والاحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين

وقد كتبت في غير هذا الموضوع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقهم وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي وحاله وما وافقوا منه المسلمين وما خالفهم ليتبين ما دخلوا فيه من دين الاسلام وما خرجوا فيه عن دين الاسلام، فان ذلك يطول وصفه في هذا الموضوع، وانما كتبت هنا ما حضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم، وذلك اني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذا الموضوع وهو انهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك، ويوجد في بعضهم التمسك والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع واين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك ما يوجد في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر، ومن الغلو والبدع في الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول والاستخفاف بشريعة الاسلام والكذب والتلبيس، واطهار المخارق (١) الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله ما يوجد

وقد تقدمت لي مميم وقائع ممتدة بينت فيها من خاطبتهم منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل، وأحوالهم التي يسمونها الاشارات، وتاب منهم جماعة، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة ما يظهر منه من المخاريق مثل ملابس النار والحيات وإظهار الدم واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك، وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة، وأراد غير مرة منهم قوم اظهار ذلك فلما رأوا ممرضتي

«١» أطلقوا اسم المخارق والمخاريق على الخوارق المقتلة بالحيل والتلبيس والسموعة وهي في أصل اللغة ضرب من لعب الصبيان

لهم رجعوا ودخلوا على أن استرهم فأجبتهم الى ذلك بشرط التوبة، حتى قال لي شيخ منهم في مجلس عام فيه جماعة كثيرة بيمض البساتين لما عارضتهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نفتسل بما يذهب الحيلة ومن احترق كان مغلوباً، فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك

وحكي ذلك الشيخ أنه كان مرة عند بعض امراء التتر بالمشرق وكان له صنم يعبده قال : فقال لي : هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويقتي أثر الاكل في الطعام بينما يرى فيه ، فأنكرت ذلك ، فقال لي ان كان يأكل انت تموت ؟ فقلت نعم ، قال فأقت عنده الى نصف النهار ولم يظهر في الطعام أثر ، فاستعظم ذلك التتري ذلك واقسم بايمان مغلظة انه كل يوم يرى فيه اثر الاكل لكن اليوم بحضورك لم يظهر ذلك . فقلت لهذا الشيخ انا ابين لك سبب ذلك . ذلك التتري كافر مشرك ولصنمه شيطان يعويه بما يظهره من الاثر في الطعام وانت كان معك من نور الاسلام وتأيد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان عن ان يفعل ذلك بحضورك (١) وانت وامثالك بالنسبة الى اهل الاسلام الخالص كالتتري بالنسبة الى امثالك ، فالتتري وامثاله سود ، وأهل الاسلام المحض بيض ، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض . فأعجب هذا المثل من كان حاضراً

وقلت لهم في مجلس آخر لما قالوا تريد أن تظهر هذه الاشارات ؟ قلت ان عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن من الاعراب والفلاحين أو الاتراك أو العامة أو جمهور المتفهمة والمتفكرة والمتصوفة لم يحسب لكم

(١) لعل ذلك الشيطان من شياطين الائنس كان يأكل من الطعام في غفلة من ذلك الامير الخرافي ويوهمه ان الصنم أكله لمصلحة له في التلبيس عليه

قلت فن سمه ذهب فأيات به الى سوق الصرف الى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص من المنشوش من الصفر ، لا يذهب الى عند أهل الجبل بذلك . فقالوا لي لا نعمل هذا إلا أن تكون همتك معنا (١) فقلت همي ليست معكم بل أنا معارض لكم مانع لكم لأنكم تقصدون بذلك إبطال شريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فان كان لكم قدرة على اظهار ذلك فاضلوا . فانقلبوا صاغرين

فما كان قبل هذه الواقعة عدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر مطوقين بأغلال الحديد في أعناقهم (٢) وهو واتباعه معروفون بأمور وكان يحضر عندي مرات فاخطبه بالتي هي أحسن . فلما ذكر الناس ما يظرونه من الشعار المبتدع الذي يتميزون به عن المسلمين ، ويتخذونه عبادة وديناً يوهمون به الناس إن هذا لله سر من أسرارهم ، وإنه سيماه أهل الموهبة الالهية السالكين طريقهم ، أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه - فخطبته في ذلك بالمسجد الجامع وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الامة ولا من المشايخ الذين يقتدي بهم (٣) ولا يجوز التعبد بذلك ولا التقرب به الى الله تعالى لان عبادة الله بما لم يشرعه ضلالة ، ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء للحديث المروي في ذلك وهو أن النبي صلى الله تعالى

(١) أراد بهذا رشوة شيخ الاسلام بمشاركته في هذا الجاه الباطل على حد (ودوا لو تذهن فيدعونون)

(٢) رأيت مثل هؤلاء في الهند من متصوفة الشرك « ٣ » اي يقتدي بسيرتهم لموافقها للكتاب والسنة كالجنيد

عليه وسلم رأى على رجل خاتما من حديد فقال « مالي أرى عليك حلية أهل النار، (١) وقد وصف الله تعالى أهل النار بأن في أعناقهم الاغلال، فالتشبه بأهل النار من المنكرات وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث الرؤيا قال في آخره « أحب القيد واكره النمل القيد ثبات في الدين، فاذا كان مكروها في المنام فكيف في اليقظة (٢)

فقلت له في ذلك المجلس ما تقدم من الكلام أو نحو آ منه مع زيادة وخوفه من عاقبة الاصرار على البدعة وان ذلك يوجب عقوبة فاعله ونحو ذلك من الكلام الذي نسبت أكثره لعمد عهدي به . وذلك أن الامور التي ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التبع بد بها باتفاق المسلمين، ولا التقرب بها الى الله ولا اتخاذها طريقا الى الله وسببا لان يكون الرجل من أولياء الله وأجباؤه، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك، أو أن اتخاذها يزداد به الرجل خيرا عند الله وقربة اليه، ولأن يجعل شعارا للتائبين المرئدين وجه الله، الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم

فهذا أصل عظيم يجب معرفته والاعتناء به وهو ان المباحات انما تكون مباحة إذا جعلت مباحات فاما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك دينا لم يشرعه الله، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها

١٥ « رواه النسائي وله تنمة

٢٥ « أصل الحديث في الصحيحين وهذا لفظ مسلم وبمنه : فلا أدري هو هو في الحديث أم قاله ابن سيرين اه أي راويه عن أبي هريرة وفي رواية له اسناده الى أبي هريرة وليس في رواية البخاري له شيء من الشك المذكور

بأنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها ، فلا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله ، ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع ديناً لم يأذن الله به ، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه (١) فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات ؟ ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر ، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطعمه ، بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره ، وعند آخرين لا شيء عليه ، فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة (٢)

ونحو ذلك اليهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين وعهود أهل الفتوة ورماة البندق ونحو ذلك ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان ديناً وطاعة لله ورسوله في شرع الله لكن قد يكون عليه كفارة عند الخنث في ذلك. ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالالتزام بطريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة إذا كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يمتدأ ويقول عن عمل أنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك ، وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا

(١) بل جعله من الشرك أو الكفر المتعمد الذي هو أضر من الشرك كما بيناه في تسمير) وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون (وغيره راجع ص ٣٩٨ - ٤٠٤ من جزء التفسير الثامن وكذا ص ١٤٣ و ١٤٧ و ١٦٤ و ١٨١ منه

(٢) لعله سقط من هنا : طاعة وعبادة منصوبين

مستحب ولا قرينة لم يميز أن يعتد أو يقال انه قرينة وطاعة ، فكذلك هم متفقون على انه لا يجوز قصد التقرب به الى الله ، ولا التعبد به ولا اتخاذ ديننا ولا عمله من الحسنات ، فلا يجوز جملة من الدين لا باعتماد وقول ، ولا بارادة وعمل ، وبإهمال هذا الاصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء اذا لم يكن محرما لا ينهى عنه بل يقال انه جائز (١) لا يفرقون بين اتخاذ ديننا وطاعة وبر أو بين استعماله كاستعمال المباحات المحضه ، ومعلوم ان اتخاذ ديننا بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما وبالتقول أو بالعمل أو بهما من أعظم الهرمات وأكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التي هي اعظم من المعاصي التي يعلم انها معاصي سيئات ،

(فصل)

فلما نهيتهم عن ذلك اظهروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مدة والناس يذكرون ضمنهم الاصرار على الابتداع في الدين ، واظهار الانحالف شرعة المسلمين ، ويطلبون الايقاع بهم ، وانا اسلك مسلك الرفق والالافه ، وانتظر الرجوع والقيته ، واؤخر الخطاب الى ان يحضر (ذلك الشيخ) المسجد الجامع . وكان قد كتب الي كتابا بعد كتاب فيه احتجاج واعتذار ، وعتب

(١) سقط جواب اذا من الناسخ ومعناه أنهم يرون جواز جملة قرينة ومباداة . وهذا مثار كثير من البدع الحديثة . وذكر لي بعض علماء الازهر في هذه الايام ان بعض كبار علمائه كانوا يتكلمون فيما ينكره الوهابية من بدع القبور وغيرها ويستحسنون ذلك فقال بعضهم منكرا ولكنهم منعوا أن يستشفهم بأصحابها الصالحين فقال له شيخ الازهر (الاستاذ أبو الفضل الجيزاوي) هذا هو الشرع فقال المنكر مادليه ؟ فقال الشيخ انما يطلب الدليل على الاذن به الا على المنكر ، فدل هذا على أن الشيخ أيد الله به السنة أطعمهم

وآثار وهو كلام باطل لا تقوم به حجة، بل اما احاديث موضوعة، او اسر ائيليات غير مشروعة، وحقيقة الامر الصد عن سبيل الله واكل اموال الناس بالباطل. فقات لهم: الجواب؛ يكون بالخطاب. فان جواب مثل هذا الكتاب لا يتم الا بذلك وحضر عندنا منهم شخص فزعنا الفل من عنقه، وهؤلاء هم من أهل الاهواء الذين يتعبدون في كثير من الامور بأهوائهم لا بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ولهذا غالب وجردهم هوى مطلق لا يدرون من يعبدون وفيهم شبهة قوي من النصارى الذين قال الله تعالى فيهم (يا أهل الكتاب لا تنلوا في دينكم غير الحق ولا تدعوا أهواء قوم قدضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) ولهذا كان السلف يسمون اهل البدع أهل الأهواء،

فخامهم هوام على ان تجتمعوا لاجزاء، ودخلوا الى المسجد الجامع مستعدين للحراب، بالاحوال التي يمدونها للغلاب. فلما قضيت صلاة الجمعة أرسلت الى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق على اتباع سبيله، فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم الى قصر الامارة وكانهم اتفقوا مع بعض الاكابر على طلبهم ثم رجعوا الى مسجد الشاغو على ما ذكر لي وهم من الصياح والاضطراب، على أمر من أعجب العجائب، فأرسلت اليهم مرة ثانية لاقامة الحجاة والمعذرة، وطلباً للبيان والتبصرة، ورجاء المنفعة والتذكرة. فعمدوا الى التصر مرة ثانية، وذكر لي انهم قدموا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والمجيج، والازباد والارعاد، واضطراب الروس والاعضاء، والتقلب في نهر بردى،

واظهار التتوله الذي يخيلوا (١) به على الردي، وابرأز ما يدعونه من الحال والحال،
الذي يسلمه اليهم من أضلو من الجهال
فلما رأى الامير ذلك هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم فقيل له هم مشتكون،
فقال ليدخل بعضهم، فدخل شيخهم وأظهر من الشكوي عليّ ودعوى
الاعتداء بي عليهم كلاما كثيرآ لم يبلغني جميعه، لكن حدثني من كان حاضراً
ان الامير قال لهم: فهذا الذي يقوله من عنده أو يقوله عن الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم؟ فقالوا بل يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال
فأي شيء يقال له؟ قالوا نحن لنا أحوال وطريق بسلم الينا (٢) قال فنسمع كلامه
فن كان الحق لله نصرناه، قالوا يريد أن تشد منا، قال لا ولكن أشد من
الحق سواء كان معكم أو معه، قالوا ولا بد من حضوره؟ قال نعم، ففكرروا
ذلك فأمر باخراجهم، فأرسل اليّ بعض خواصه من أهل الصدق
والدين ممن يعرف ضلالهم وعرفني بصورة الحال وانه يريد كشف أمر هؤلاء
فلما علمت ذلك ألقى في قلبي ان ذلك لا امر يريد الله من اظهار
الدين، وكشف حال أهل النفاق المتدعين، لا انتشارهم في أقطار الارضين،
وما أحبت البغي عليهم والمدوان، ولا ان أسلك معهم الا أبلغ ما يمكن
من الاحساس، فأرسلت اليهم من عرفهم بصورة الحال، واني اذا حضرت

١٥ « كذا ولعل أصله تحيلوا أي اتخذوا الحيل وسيلة لاجاء فساقتهم الى
الردي. ذلك بأن أفعالهم التي كرها ولباسهم وأغلاهم لها تأثير عظيم في
قلوب العوام وأصحاب الاوهام
٢٥ « هذه كلمة باطلة قالها بعض الفقهاء المغرورين بالدجل فأتخذها
الدجاجلة أصلاً شرعياً وحكماً إلهياً

كان ذلك عليكم من الوبال ، وكثر فيكم القيل والقال . وان من قعد أوقام
قدم رماح أهل الايمان . فهو الذي أوقع نفسه في الهوان . فجاء الرسول
وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار ، للذين يعرفون حقيقة الاسرار ،
وأشاروا عليهم بموافقة ما أمروا به من اتباع الشريعة ، والخروج عما ينكر
عليهم من البدع الشنيعة . وقال شيخهم الذي يسبح بأقطار الارض كبلاد
الترك ومصر وغيرها : أحوالنا تظهر عند التتار لا تظهر عند شرع
محمد بن عبدالله . وانهم زعموا الاغلال من الاعناق ، وأجابوا الى الوفاق
ثم ذكر لي انه جاءهم بعض أكابر غلمان المطاع (١) وذكر انه لا بد من
حضورهم لموعد الاجتماع . فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته ،
واستنصرته واستهديته ، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك ،
حتى ألقى في قلبي ان أدخل النار عند الحاجة الى ذلك . وانها تكون برداً
وسلاماً على من اتبع ملة الخليل ، وانها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج
عن هذه السبيل . وقد كان بقايا الصابئة اعداء إبراهيم امام الحنفاء
بنواحي البطائح منضمين الى من يضاھيهم من نصارى الدهماء . وبين
الصابئة ومن ضل من المبتدع المنتسبين الى هذا الدين ، نسب يعرفه من
عرف الحق المبين ، فانغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والاسماعيلية .
يخرجون الى مشابهة الصابئة الفلاسفة ثم الى الاشرار ثم الى جحود الحق
تعالى . ومن شركهم النمل في البشر ، والابتداع في المبادات ، والخروج عن
الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ما هو به لائق كالملاحدين من أهل
الآفهام . والغالية من اصناف المباد

فلما أصبحنا ذهبنا للميعاد، وما أحببت أن استصحب أحداً للاسعاد،
لكن ذهب أيضاً بعض من كان حاضراً من الأصحاب، والله هو السبب
لجميع الأسباب. وبلغنى بعد ذلك أنهم طافوا على عد من اكابر الامراء،
وقالوا انواعاً مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء، الذي استحوذوا
به على اكثر أهل الارض من الاكابر والرؤساء، مثل زعمهم ان لهم أحوالاً
لا يقاومهم فيها أحد من الاولياء، وان لهم طريقاً لا يعرفها أحد من العلماء.
وان شيخهم هو في الشايخ كالحليفة، وانهم يتقدمون على الخاق بهذه
الاخبار المنيفة، وان المنكر عليهم ما هو آخذ بالشرع الظاهر، غير واصل
الى الحقائق والسرائر. وأن لهم طريقاً وله طريق. وهم الواصولون إلى
كنه التحقيق، واشباه هذه الدعوى ذات الزخرف والتزويق. وكانوا
لقرط انتشارهم في البلاد، واستحوذهم على الملوك والامراء والاجناد،
لخفاء نور الاسلام، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام، وطموس
آثار الرسول في اكثر الامصار، ودروس حقيقة الاسلام في دولة التتار،
لهم في القلوب موقع هائل، ولهم فيهم من الاعتقاد ما لا يزول
بقول قائل

قال المخبر فقدا أولئك الامراء الاكابر. وخاطبوا فيهم نائب السلطان
بتمظيم امرهم بالباهر. وذكر لي انواعاً من الخطاب، والله تعالى أعلم
بحقيقة الصواب. والامير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق. فأعاد
الرسول لي مرة ثانية قبلته أتنا في الطريق. وكان كثير من اهل البدع
الاضداد، كطوائف من التنفقه والمتفكرة واتباع اهل الاتحاد، مجدين
في نصرهم بحسب مقدورهم، مجهزين لمن يمينهم في حضورهم، فلما حضرت

وجدت النفوس في غاية الشوق الى هذا الاجتماع ، متطامنين الى ما سيكون طالين للاطلاع ، فذكر لي نائب السلطان وغيره من الامراء ، بعض مذكروه من الاقوال المشتملة على الاقتراء ، وقال انهم قالوا انك طلبت منهم الامتحان ، وأن يحموا الاطواق ناراً ويلبسوها فقلت هذا من البهتان .

وها أنا ذا أصف ما كان قلت للامير : نحن لانستحل أن نأمر أحداً بأن يدخل ناراً ولا يجوز طاعة من يأمر بدخول النار ، وفي ذلك الحديث الصحيح ، وهؤلاء يكذبون في ذلك وهم كذابون مبتدعون قد افسدوا من أمر دين المسلمين ودينام ما لله به عليم . وذكرت تلبيسهم على طوائف من الامراء وانهم لبسوا على الامير المعروف بالايدمرى وعلى تفجق نائب السلطنة وعلى غيرها وقد لبسوا أيضاً على الملك العادل كتفا في ملكه وفي حالة ولاية حماء وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر ، وضاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم فذكرت تلبيسهم على الايدمرى وانهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنة ، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة ، ووعده بالملك ، وانهم وعدوه أن يروه رجال الغيب ، فصنعوا خشبا طوالا وجعلوا عليها من يمتشي كهيئة الذي يلعب باكر الزجاج فجعلوا يمشون على جبل المزة وذلك يري من بعيد قرما يطوفون على الجبل وهم يرتفعون عن الارض وأخذوا منه مالا كثيراً ثم انكشف له امرهم قلت للامير وولده هو الذي في حلقة الجيش يعلم ذلك وهو ممن حدثني بهذه القصة . وأما تفجق فانهم ادخلوا رجلا في القبر يتكلم واوهمه أن الموتى تتكلم ، وأتوا به في مقابر باب الصغير الى رجل زعموا أنه الرجل

الشمراني الذي يجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته
 وقالوا انه طلب منه جملة من المال ، فقال ففجق الشيخ يكاشف وهو يعلم
 أن خزائني ليس فيها هذا كله ، وتقرب ففجق منه وجذب الشعر فانقلم
 الجلد الذي ألقوه على جلده من جلد الماعز ، فذكرت للامير هذا .
 ولهذا قيل لي إنه لما انقضى المجلس وانكشف حالهم للناس كتب اصحاب
 ففجق اليه كتابا وهو نائب السلطنة بحماه يخبره بصورة ماجرى
 وذكرت للامير انهم مبتدعون بانواع من البدع مثل الاغلال
 ونحوها وانا نهيناهم عن البدع الخارجة عن الشريعة فذكر الامير حديث
 البدعة وسأني عنه فذكرت حديث العرباض بن سارية وحديث جابر
 ابن عبد الله وقد ذكرتهما بعد ذلك في المجلس الامام كما سأذكره
 قلت للامير أنا ما امتحنت هؤلاء لكن هم يزعمون ان لهم احوالا
 يدخلون بها النار وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك ويقولون لنا هذه
 الاحوال التي يعجز عنها أهل الشرع فليس لهم أن يعترضوا علينا بل يسلم
 الينا ما نحن عليه سواء وافق الشرع أو خالفه ، وأنا قد استخرت الله
 سبحانه انهم ان دخلوا النار ادخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه
 لعنة الله وكان مغلوبا ، وذلك بعد أن غسل جسمنا بالخل والماء الحار .
 فقال الامير ولم ذاك قلت لانهم يطولون جسمهم بادوية يصنعونها من
 دهن الضفادع وباطن قشر النارج وحجر الطاق وغير ذلك من الحيل
 المعروفة لهم ، وأنا لا اطلي جلدي بشيء فاذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء
 الحار بطلت الجملة وظهر الحق ، فاستعظم الامير هجومي على النار وقال
 أتقبل ذلك ؟ فقلت له نعم قد استخرت الله في ذلك والقي في قلبي أن أفعله ،

ونحن لانرى هذا وامثاله ابتداء فان خوارق العادات إنما تكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم المتبين له باطنا وظاهراً لحجة أو حاجة، فالحجة لاقامة دين الله، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله، وهؤلاء اذا اظهروا ما يسمونه اشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون انها تبطل دين الله وشرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من ارواحنا وجسومنا واموالنا، فلنا حينئذ أن نعارض ما يظهر ونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات

وليعلم أن هذا مثل مارضة موسى للسحرة لما اظهروا سحرهم أيد الله موسى بالمصا التي ابتليت سحرهم . فجعل الامير يخاطب من حضره من الامراء على السماط بذلك وفرح بذلك وكانهم كانوا قد اوهموه أن هؤلاء لهم حال لا يقدر أحد على رده، وسمعتهم يخاطب الامير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر وأنا جالس بينهما على رأس السماط بالتركي ما فهمته منه انه قل اليوم تري حرباً عظيماً ولعل ذلك كان جواباً لمن كان خاطبه فيهم على ما قيل

وحضر شيوخهم الاكابر فجلسوا يطالبون من الامير الاصلاح واطفا هذه القضية ويرفقون ، فقال الامير انما يكون الصلح بمد ظهور الحق ، وقتنا الى ، فقد الامير بزواوية القصر أنا وهو وبهادر فسمعتهم يذكر له أيوب الجمال بمصر والموليين ونحو ذلك فدل ذلك على انه كان عند هذا الامير لهم صورة عظيمة ، وان له فيهم ظناً - سنا والله أعلم بحقيقة الحال فانه ذكر لي ذلك وكان الامير أحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة ليتبين له الحق فانه

من أكابر الامراء واقدمهم واعظهم حرمة عنده وقد قدم الآن وهو
يجب تأليفه واكرامه فأمر ببساط يبسط في الميدان ، وقد قدم البطائحية
وهم جماعة كثيرون وقد اظهروا أحوالهم الشيطانية من الازباد والارغاه
وحركة الرموس والاعضاء ، والظفر والجبو والتقاب ، ونحو ذلك من
الاصوات المنكرات ، والحركات الخارجة عن العادات ، المخالفة لما أمر
به لقمان لابنه في قوله (واقصد في مشيك واغضض من صوتك)

فلما جالسنا وقد حضر خلق عظيم من الامراء والكتاتب والعلماء
والفقراء والعامّة وغيرهم وحضر شيخهم الاول المشتكي وشيخ آخر يسمى
نفسه خليفة سيده احمد ويركب بعلمين وهم يسمونه عبدالله الكذاب ولم
اكن أعرف ذلك وكان من مدة قد قدم علي منهم شيخ بصورة لطيفة وأظهر
ما جرت به عادتهم من المسائلة فاعطيته طلبته ولم أتفطن لكذبه حتى فارقني
فبقي في نفسي أن هذا خني على تلبيسه الى أن غاب وما يكاد يخفي علي تلبيس
أحد بل ادركه في أول الامر فبقي ذلك في نفسي ولم أره قط الى حين
ناظرته ، ذكر لي أنه ذلك الذي كان اجتمع بي فديما فتعجبت من حسن صنع
الله انه هتك في أعظم مشهديكون حيث كتم تلبيسه بيني وبينه

فلما حضرنا نكلم منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه طلب الصلح
والنفو عن الماضي والتوبة وانا مجيبون الى ما طلب من ترك هذه الاغلال
وغيرها من البدع ومتبعون للشريعة (فقلت) أما التوبة فمقبولة قال الله
تمالي (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) هذه الى جنب هذه .
وقال تعالى (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العقاب
الايام) فاخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبسم الاطواق وذكر أن وهب

ابن منبه روى انه كان في بني اسرائيل عابد وانه جعل في عنقه طوقا في حكاية من حكايات بني اسرائيل لا تثبت (فقلت) لم ليس لنا أن تعبد في ديننا بشيء من الاسرائيليات المخالفة لشرعنا قد روي الامام احمد في مسنده عن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال « أمتهو كون يا ابن الخطاب لقد جشتم بها بيضاء نفية لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتوني لضلتم » وفي مراسيل ابي داود أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مع بعض أصحابه شيئا من كتب أهل الكتاب فقال « كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم انزل الى نبي غير نبيهم » وانزل الله تعالى (أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فنحن لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله اذا خالف شرعنا وانما علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا ونتمتع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به الينا رسولنا كما قال تعالى (وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بني اسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها وما علينا من عباد بني اسرائيل (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) هات مافي القرآن ومافي الاحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم وذكرت هذا وشبهه بكيفية قوية

فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الامير نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الاربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية (فقلت) له هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين بل كلهم ينهى عن التعمد به ويمدحه

بدعة . وهذا الشيخ كمال الدين بن الزمكاني مفتي الشافعية ودعوته وقلت
يا كمال الدين ما تقول في هذا ؟ فقال هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة أو
كما قال ، وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك
(وقلت) ليس لاحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشك
هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر فاني تكلمت بكلام بعد عهدي به
فاتدب ذلك الشيخ عبد الله ورفع صوته وقال نحن لنا أحوال وأمور
باطنة لا يوقف عليها ، وذكر كلاما لم اضبط لفظه مثل المجالس والمدارس
والباطن والظاهر ، ومضمونه أن لنا الباطن ولغيرنا الظاهر ، وأن لنا
أمر الايقف (١) عليه أهل الظاهر فلا ينكرونه علينا (فقلت) له
ورفعت صوتي وغضبت : الباطن والظاهر والمجالس والمدارس والشريعة
والحقائق كل هذا مردود الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
ليس لاحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،
لامن المشايخ والفقهاء ، ولا من الملوك والامراء ، ولا من العلماء والقضاة
وغيرهم ، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وذكرت
هذا ونحوه

(فقال) ورفع صوته نحن لنا الاقوال وكذا وكذا وادعى الاحوال
الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها وأنهم يستحقون تسليم الحال
اليهم لاجلها (فقلت) ورفعت صوتي وغضبت انا مخاطب كل احمدي
من مشرق الارض الي مغربها أي شيء فملوه في النار فانا أصنم مثل

ماتصنمون ، ومن احترق فهو مغلوب وربما قلت فعليه ائمة الله . ولكن بعد أن تغسل جسمنا بالخل والماء الحار ، فسألتى الامراء والناس عن ذلك فقلت لان لم حيل في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارج وحجر الطلق فضج الناس بذلك فاخذ يظهر القدرة على ذلك فقال انا وانت نلف في بارية بعد أن تطلى جسمنا بالكبريت (فقلت) فقم وأخذت أحرز (١) عليه في القيام الى ذلك فد يده يظهر خلع القميص ، (فقلت) لا حتى تغتسل في الماء الحار والخل فظاهر الوم على عاداتهم (فقال) من كان يجب الامير فليحضر خشبا أو يقال حزمة حطب (فقلت) هذا تطويل وتهريق للجمع ولا يحصل به مقصود ، بل قنديل بوقد وادخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه ائمة الله ، أو قلت فهو مغلوب . فلما قلت ذلك تغير وذل وذكر لي أن وجهه اصفر .

. ثم قلت لهم ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة ولو طرتم في الهواء ، ومشيتم على الماء ، ولو فطتم ما فطتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ماتدعونه من مخالفة الشرع ولا على إبطال الشرع فان الدجال الاكبر يقول للسماء امطري فتمطر ، وللارض انبتى فتنبت ، وللخربة اخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تنبته ، ويفتل رجلا ثم يمشي بين شقيه . ثم يقول له قم فيقوم (٢) ، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون

« ١ » كذا في الاصل ولعله أصر عليه في القيام

« ٢ » كذا في الاصل وفي رواية مسلم في حديث الدجال قال فيقول اتؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيؤثر بالمنشار من فرقه حتى

لعنه الله . ورفضت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب
 وذكرت قول ابي يزيد البسطامي : لو رأيت الرجل يطير في الهواء ويمشي
 على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الامر والنواهي .
 وذكرت عن يونس بن عبد الاعلى انه قال للشافعي اتدري ما قال صاحبنا
 يعني الليث بن سعد قال لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء فلا تغتر
 به . فقال الشافعي لقد قصر الليث لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء
 فلا تغتر به ، وتكلمت في هذا ونحوه بكلام بعد عهدي به . ومشايخهم
 الكبار يتضرعون عند الامير في طلب الصلح وجعلت الخ عليه في اظهار
 ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا ينجبون وقد اجتمع عامة مشايخهم
 الذين في البلد والفقراء المولعون منهم وهم عدد كثير والناس يضجوز في
 الميدان ويتكلمون باشياء لا تضبطها

فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا ما مضوناه (فوقع الحق وبطل
 ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) وذكروا أيضا أن هذا
 الشيخ يسمى عبد الله الكذاب . وأنه الذي تصدك مرة فاعطيته ثلاثين
 درهما . فقات ظهر لي حين أخذ الدرهم وذهب انه . ملبس وكان قد حكي
 حكاية عن نفسه مضمونها انه أدخل النار في لحيته فدام صاحب حماة .
 ولما فارقتي وقع في قلبي أن لحيته مدهونة وأنه دخل الروم واستحوذ عليهم
 فلما ظهر للحاضرين صجزم وكذبهم وتلبسهم وتبين للامراء الذين

يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي
 قائما قال ثم يقول له اتؤمن بي فيقول ما ازددت فبك الابصرة قال ثم يقول
 يا أيها الناس انه لا يفعل بعد ما يحسد من الناس الحديث اه من حاشية الاصل

كانوا يشدون منهم أنهم مباطلون فرجعوا وتخطب الحاج بهادر ونائب السلطان وغيرهما بصورة الحال وعرفوا حقيقة الحال وقمنا الى داخل ودخلنا وقد طلبوا التوبة عما مضى وسألني الامير عما يطلب منهم فقلت متابعة الكتاب والسنة مثل أن يعتقد (١) أنه لا يجب عليه اتباعها أو أنه يسوغ لاحد الخروج من حكمهما ونحو ذلك أو أنه يجوز اتباع طريقة تخالف بعض حكمهما ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسنة التي توجب الكفر وقد توجب القتل دون الكفر وقد توجب قتال الطائفة المتمتعة دون قتل الواحد المقذور عليه

(فقالوا) نحن ملتزمون بالكتاب والسنة أتنكر علينا غير الاطواق؟ نحن نعلمها (فقلت) الاطواق وغير الاطواق ليس المقصود شيئا مهينا وانما المقصود أن يكون جميع المسلمين تحت طاعة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال الامير فاي شيء الذي يلزمهم من الكتاب والسنة؟ فقلت حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاما عاما ومن خرج عنه ضربت عنقه— وكرر ذلك وأشار بيده الى ناحية الميدان— وكان المقصود أن يكون هذا حكما عاما في حق جميع الناس فان هذا مشهد عام، شهرر قد توفرت الهمم عليه فيتمرر عند المقاتلة واهل الديوان والعلماء والعباد وهؤلاء وولاية الامور انه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه

(١) الامثلة الثلاثة التي ذكرها هي لعدم متابعة الكتاب والسنة لا لمتابعتها المطلوبة فلما قد سقط من هذا الموضوع جملة، ضمونها: والرجوع عما يخالفها مثل كذا وكذا

(قلت) ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورسوله فان من هؤلاء من لا يصلي ومنهم من يتكلم في صلاته حتى ينهم بالامس بعد أن اشتكوا علي في عصر الجمعة جمل أحدم يقول في صلب الصلاة يا سيدي احمد شيء لله. وهذا مع أنه مبطل للصلاة فهو شرك بالله ودعاء لغيره في حال مناجاته التي أمرنا أن نقول فيها (إياك نعبد وإياك نستعين) وهذا قد فعل بالامس بحضرة شيخهم فامر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالاستغفار على عاداتهم في صغير الذنوب ولم يأمره بإعادة الصلاة وكذلك يصيحون في الصلاة صياحا عظيما وهذا منكر يبطل الصلاة

(فقال) هذا يغلب على أحدم كما يغلب المطاس (فقلت) المطاس من الله والله يحب المطاس ويكره الثاؤب ولا يملك أحدم دفعه، وأما هذا انصباح فهو من الشيطان وهو باختيارهم وتكلفهم ويقدرّون على دفعه، ولقد حدثني بعض الخبيرين بهم بعد المجلس انهم يفعلون في الصلاة مالا تفعله اليهود والنصارى مثل قول أحدم انا على بطن امرأة الامام وقول الآخر كذا وكذا من الامام ونحو ذلك من الاقوال الخبيثة، وأنهم اذا أنكر عليهم المنكر ترك الصلاة يصلون بالتوبة وانا أعلم أنهم متولين (١) شياطين ليسوا متولين على ذلك كما يغلب الرجل في بعض الاوقات على صيحة أو بكاء في الصلاة أو غيرها

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجموعهم بالميدان باصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم (قلت) له أهذا موافق للكتاب

(١) كذا في الاصل ومقتضى الاعراب متولون الا أن يكون حذف من

الكلام شيء فيه فاصب لقوله متولين

والسنة؟ (فقال) هذا من الله حال رد عليهم (فقلت) هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحبه الله ولا رسوله (فقال) ما في السموات والارض حركة ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئته و ارادته (فقلت) له هذا من باب القضاء والقدر وهكذا كل ما في العالم من كفر وفسوق وعصيان هو بمشيئته و ارادته وليس ذلك بحجة لاحد في فعله بل ذلك مما زينته الشيطان وسخطه الرحمن .

(فقال) فبأي شيء تبطل هذه الاحوال (فقلت) بهذه السياط الشرعية. فاعجب الامير وضحك وقال اي والله بالسياط الشرعية، تبطل هذه الاحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد ومن لم يجب الى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية . وأمسكت سيف الامير وقلت هذا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم و غلامه وهذا السيف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله ضربناه بسيف الله وأعاد الامير هذا الكلام وأخذ بعضهم يقول فاليهود والنصارى يقرّون ولا نقر نحن؟ (فقلت) اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكنوم في دورهم والبتدع لا يقر على بدعته. فافهموا ذلك و حقيقة الامر أن من أظهر منكراً في دار الاسلام لم يقر على ذلك فن دعا الى بدعة وأظهرها لم يقر ولا يقر من أظهر الفجور وكذلك أهل الذمة لا يقرون على اظهار منكرات دينهم، ومن سواهم فان كان مسلماً أخذ بواجبات الاسلام وترك محرّماته، وان لم يكن مسلماً ولا ذمياً فهو إمام رتد واما مشرك واما زنديق ظاهر الزندقة. وذكرت ذم المبتدعة فقلت روى مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته «إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها» (١) وكل بدعة ضلالة، وفي السنن عن البراء بن مسعود قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها الميرون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد علينا؟ فقال وأوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يشأ منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وفي رواية (٢) «وكل ضلالة في النار» (فقال) لي البدعة مثل الزنا وروى حديثا في ذم الزنا (فقلت) هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والزنا معصية والبدعة شر من المعصية كما قال سفيان الثوري البدعة أحب إلى إبليس من المعصية فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها. وكان قد (قال) لبعضهم نحن نتوب الناس (فقلت) مماذا تتوبونهم؟ قال من قطع للطريق والسرقه ونحو ذلك (فقلت) حالم قبل تتويبك خير من حالم بعد تتويبك فانهم كانوا فسادا يفتنون تحريم ما عليه ويرجون رحمة الله ويتوبون إليه أو ينوون التوبة، فجماعتموهم بتتويبك ضالين، شر كيز خارجين من شريعة الاسلام، يحبون ما يبنضه الله ويبغضون ما يحبه الله، وثبت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي

١٤٣ : المار : لفظ مسلم فان خير الحديث كتاب الله الخ (٢) هذه الزيادة

هاذق ليست في السنن فذكر شيخ الاسلام وحافظ السنة لها غريب، وقانه أراد بها زيادة الترهيب

(قلت) مخاطبا للامير والحاضرين اما المعاصي فمثل ما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رجلا كان يدعى حمرا وكان يشرب الخمر وكان يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان كلما أتى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جلده الحد، فلغنه رجل مرة وقال : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله» (قلت) فهذا رجل كثير الشرب للخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ونهى عن لعنته

وأما المبتدع فمثل ما أخرجنا في الصحيحين عن علي بن ابي طالب وعن ابي سعيد الخدري وغيرهما دخل حديث بعضهم في بعض - أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم فجاءه رجل ناتيء الجبين كثر اللحية مخلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ما قال فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد» وفي رواية «لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على اسان محمد لنكلوا عن العمل» وفي رواية «شرقتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه» قلت فهؤلاء مع رثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم وقتلهم علي بن ابي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لان بيتي العبد بكل ذنب

ما خلا الشرك بالله خير من أن يتلى بشئ من هذه الالهواء. فلما ظهر قبح البدع في الاسلام وانها أظلم من الزنا والسرقه وشرب الخمر وانهم مبتدعون بدعا منكرة فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر أخذ شيخهم عبد الله يقول يا مولانا لا تتعرض لهذا الجنب العزيز — يعني أتباع احمد ابن الرافعي — فقلت منكرآ بكلام غليظ ويحك أي شيء هو الجنب العزيز وجنب من خالفه أولى بالمزبار والرزجته (١) يريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله (فقال) يا مولانا يحرقك الفقراء بقلوبهم (فقلت) مثل ما احرقني الرافضة لما قصدت الصمود اليهم وصار جميع الناس يخوفوني منهم ومن شرهم ويقول أصحابهم ان لهم سرا مع الله فنصر الله وأعان عليهم . وكان الامراء الحاضرون قد عرفوا بركة ما يسره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل

وقلت لهم ياشبه الرافضة يا بيت الكذب — فان فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم وفيهم من الكذب ما قد يقارون به الرافضة في ذلك أو يساؤونهم أو يزيدون عليهم فانهم من أكذب الطوائف حتى قيل فيهم لا تقولوا أكذب من اليهود على الله ولكن قولوا أكذب من الاحمدية على شيخهم، وقلت لهم انا كافر بكم وبأحوالكم (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون)

ولما رددت عليهم الاحاديث المكذوبة أخذوا يطلبون مني كتباً صحيحة ليهدوا بها فبذلت لهم ذلك، وأعيد الكلام انه من خرج عن الكتاب والسته ضربت عنقه، وأعاد الامير هذا الكلام واستقر الكلام

على ذلك . والمحمد الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

هذا آخر ماجرى مع البطائحية لشيخ الاسلام

وامام الائمة الاعلام . الشيخ قتي الدين

احمد الشهير بابن تيمية

قدس الله روحه

وفور ضريحه

ورضي عنه

(انتهى على الاصل البغدادي كسابقه)



لباس الفتوة والخرقاة عند المتصوفة

(ومسائل أخرى نفت فيهم)

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسئلة) مثلها الشيخ الامام العالم العلامة ، امام الوقت ، فريد
 الدهر ، جوهر العلم ، لب الايمان ، قطب الزمان ، مفتي الترق ، شيخ الاسلام ،
 تقي الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام شهاب الدين عبد الحليم ابن
 الشيخ الامام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني
 رضي الله عنه وقع به آمين : في جماعة يجتمعون في مجلس ويلبسون
 لشخص منهم لباس الفتوة ويدرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح
 وما يشربونها ، ويزعمون ان هذا من الدين ، ويذكرون في مجلسهم ألقابا
 لا تليق بالمثل والدين فمنها أنهم يقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ألبس علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لباس الفتوة ثم أمره أن
 يلبس من شاء ، ويقولون ان اللباس انزل على النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم في صندوق ويستدلون عليه بقوله تعالى (يا بني آدم قد انزلنا عليكم
 لباسا واري سواكم) الآية — فهل هو كإزعموا أم كذب مختلق ؟ وهل
 هو من الدين أم لا ؟ واذا لم يكن من الدين فما يجب على من فعل ذلك أو يمين
 عليه ؟ ومنهم من ينسب ذلك الى الخليفة الناصر لدين الله الى عبد الجبار
 ويزعم أن ذلك من الدين ، فهل لذلك أصل أم لا ؟ وهل الاسماء التي يسمون
 بها بعضهم بعضا من اسم الفتوة ورووس الاحزاب والزعماء فهل لهذا
 أصل أم لا ؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه دسكرة ، ويقوم للقوم

تقرب الى الشخص الذي يلبسونه فيزعه اللباس الذي عليه بيده ويلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس الفتوة بيده، فهل هذا جائز أم لا؟ وإذا قيل لا يجوز فعل ذلك ولا الاغاثة عليه فهل يجب على ولي الامر منعهم من ذلك؟ وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا؟ وإذا قيل لا أصل لها في الشريعة فهل يجب على غير ولي الامر أن ينكر عليهم ويمنعهم من ذلك أم لا؟ مع امكانه من الانكار (١) وهل أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو من التابعين أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه الفتوة المذكورة أو امر بها أم لا؟ وهل خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النور أم خلق من الاربع عناصر أم من غير ذلك؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس: لولاك ما خلق الله عرشا ولا كرسيًا ولا ارضا ولا سماء ولا شمسا ولا اقرا ولا غير ذلك صحيح هو أم لا؟ وهل الاخوة التي توأخيا المشايخ بين الفقراء في السماع وغيره يجوز فعلها في السماع ونحوه أم لا؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين المهاجرين والانصار أم بين كل مهاجري وأنصاري؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بن ابي طالب كرم الله وجهه أم لا؟ بينوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة وابسطوا لنا الجواب في ذلك بسطًا شافيًا مأجورين أثابكم الله تعالى

*

لباس خرقه الفتوة مبتدع

(الجواب) الحمد لله أما ما ذكر من لباس لباس الفتوة السراويل وغيره واسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ولم يفعل هذا رسول الله

(١) الوجه أن يقال تمكنه بدل امكانه فلمله محرف

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحد من أصحابه لا على بن ابي طالب ولا غيره
ولا من التابعين لهم باحسان : والاسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة
للناصر الي عبد الجبار الي ثمامة فهو اسناد لا تقوم به حجة، وفيه من لا يعرف
ولا يجوز لمسلم أن ينسب الي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الاسناد
المجهول الرجال أمر من الامور التي لا تعرف عنه فكيف اذا نسب اليه
ما يعلم انه كذب واقتراء عليه، فان المالمين بسنته وأحوالهم متفقون على أن هذا
من الكذب المخلق عليه وعلى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وما
ذكروه من نزول هذا اللباس في صندوق هو من اظهر الكذب باتفاق
العارفين بسنته، واللباس الذي يوارى السوءة هو كل ماستر العورة من
جميع أصناف اللباس المباح، انزل الله تعالى هذه الآية لما كان المشركون
يطوفون بالبيت عراة ويقولون: ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها، فانزل
الله تعالى هذه الآية وانزل قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والكذب
في هذا اظهر من الكذب فيما ذكر من لباس الخرقه، وأن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن رداثه، وانه فرق الخرق
على أصحابه، وان جبريل اتاه وقال له ان ربك يطلب نصيبه من زيق
الفقر، وانه علق ذلك بالعرش. فهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع
دفوف وشبابت ولا رقص، ولا سقط عنه ثوب من ثيابه في ذلك ولا
قسمه على اصحابه وكل ما روى من ذلك فهو كذب مخلق باتفاق أهل
المعرفة بسنته

فصل

(شروط لباس خرقه الفتوة)

والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة ما كان منها مما أمر الله به ورسوله
كصدق الحديث وأداء الأمانة وإداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر
المظلوم وصلة الأرحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالنفوس عن الظلم
واحتمال الأذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على
السنة ويفارق أحدهما الآخر إذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها
كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم شرطوها، وما كان منها مما نهى
الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين أهل الجاهلية إن كلاً
منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويمادي عدوه في الحق
والباطل، وينصره على كل من يماديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه،
فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب
الله (١) وفي الصحيح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «ما بال رجال يشترطون
شروطاً ليست في كتاب الله؟ من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل
وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق» رواه البخاري .
وفي السنن عنه أنه قال «المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً
أو حرم حلالاً»، وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ
والإحلاف وغير ذلك فإنها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين، ما كان

(١) سقط من الأصل أول الحديث من هنا إلى قوله كتاب الله

فقنناه من صحيح البخاري

من الامر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فانه يؤثر به كما أمر الله به ورسوله . وان كان مما نهى الله عنه ورسوله فانه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله ، وليس لبني آدم أن يتماهدوا ولا يتماقدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر الله به ورسوله ، بل على كل منهم ان يوفوا بالعقود والمهود التي عهدتها الله الي بني آدم كما قال الله تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهديكم) وكذلك ما يعقده المرء على نفسه كعقد النذر او يعقده الاثنان كعقد البيع والاجارة والهبة وضيروهما او ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية ، فانه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئاً مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلاً وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » . والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهي شعبة من دين المشركين واهل الكتاب الذين عقدوا عقوداً أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله ، ونهوا فيها عما أمر الله به ورسوله . فهذا اصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه

﴿ فصل ﴾

(الفتن والفتوة والرعي والحزب والسكره وما قالوه فيها)

وأما لفظ الفتن فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى (انهم فتنه آمنوا بربهم) وقوله تعالى (قالوا سمعنا فتنى يذكرهم يقال له ابراهيم) ومنه قوله تعالى (واذا قال موسى لفتهاه) لكن لما كانت اخلاق الاحداث اللين صار

كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الاخلاق كقول بعضهم طريقنا تنقى وليس بقوى (?) وقول بعضهم الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك، وتحسن الى من يسيء اليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة . وقول بعضهم الفتوة ترك ما تهوى لما تحشي . وامثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لسخولها فيما حمده الله ورسوله من الاسماء كلفظ الاحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الاسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان اهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان اهله مذمومين، كلفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك

وأما لفظ الزعيم فانه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى (ولن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) فمن تكفل بامر طائفة فانه يقال هو زعيم فان كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك وان كان شراً كان مذموماً على ذلك .

وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . وان كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض ممن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق

الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والاتلاف، ونهيا
عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوي ونهيا عن
التعاون على الإثم والعدوان

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : «مثل
المؤمنين في توادم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر» وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين
أصابعه . وفي الصحيح عنه انه قال « المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يخذله »
وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « انصر أخاك
ظالما او مظلوما » قيل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما؟
قال « تمنعه من الظلم فذلك نصر لك إياه » . وفي الصحيح عنه انه قال « خمس
تجب للمسلم على المسلم : يسلم عليه اذا لقيه، ويموده اذا مرض ، ويشمته اذا
عطس ، ويحييه اذا دعاه ، ويشيعه اذا مات » . وفي الصحيح عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يجب
لاخيه من الخير ما يجب لنفسه » .

فهذه الاحاديث وامثالها فيها أمر الله ورسوله بما امر به من حقوق
للمؤمنين بعضهم على بعض . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا ولا تحاسدوا وكونوا
عباد الله اخوانا » . وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
« ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئا وان تمتصمو
محل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امرکم،

وفي السنن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «الا انبشكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا بلى يا رسول الله قال «صلاح ذات البين، هي الخالقة لا أقول تحقق الشهر ولكن تحلق الدين» فهذه الامور مما نهى الله ورسوله عنها
وأما لفظ السكرة فليست من الالفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد او ذم ولكن هي في عرف الناس يمبر عنها عن المجامع كما في حديث هرقل انه جمع الروم في دسكرة، ويقال للمجتمعين على شرب الخمر انهم في دسكرة، فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو الى الذم اقرب لأن الغالب في عرف الناس انهم يسمون بذلك الاجتماع (١) على التواحش والخمر والغناء

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم لكنه من فروض الكفايات فان قام بهما من بسطة به الفرض من ولاة الامر أو غيرهم والاوجب على غيرهم ان يقوم من ذلك بما يقدر عليه

﴿ فصل ﴾

(م خلق النبي (ص) وم تتفاضل المخلوقات)

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله خلق الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض

(١) لعله يريد عمل الاجتماع المذكور ويمكن ان يكونوا اتوا سمعوا فيه فأطلقوه

باعتبار ما خلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن
 كابن نوح منه وكابراهيم من آزر، وادم خلقه الله من طين فلما سواه ونفخ
 فيه من روحه واسجد له الملائكة وفضله عليهم بتعليمه اسماء كل شيء، وبأن
 خلقه بيديه، وبغير ذلك. فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان
 هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور، وهذه مسألة كبيرة مبسوسة
 في غير هذا الموضوع فإن فضل بني آدم هو باسباب يطول شرحها هنا وإنما
 يظهر فضلهم اذا دخلوا دار القرار (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
 سلام عليكم بما صبرتم فتم عبي الدار) والآدمي خلق من نطفة ثم من
 مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر الى كبر، ثم من دار الى دار، فلا يظهر
 فضله وهو في ابتداء أحواله وإنما يظهر فضله عند كمال احواله، بخلاف
 الملك الذي تشابه اول امره وآخره. ومن هنا غلط من فضل الملائكة
 على الانبياء حيث نظر الى أحوال الانبياء وهم في اثناء الاحوال، قبل
 أن يصلوا الى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال.

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المراج لمصارع بمستوى يسمع
 فيه صريف الاقلام، وعلا على مقامات الملائكة والله تعالى اظهر من عظيم
 قدرته وعجيب حكمته من صالحى الآدميين من الانبياء والاولياء ما لم يظهر
 مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات، تخلق بدنه من الارض
 وروحه من الملا الاعلى. ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم (الكبير)
 ومحمد سيد ولد آدم وافضل الخلق واكرمهم عليه ومن هنا قال من قال
 ان الله خلق من اجله العالم، أو انه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيًا ولا سما
 ولا ارضا ولا شمسا ولا قمرًا، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم لا صحيحا ولا ضميما ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدري قائله. ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله (سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) وقوله (١) (الله الذي خالق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن الله فيها حكما عظيمة فإذ ذلك واعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما اسبغ عليهم من النعمة، فاذا قيل فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى وكذلك قول القائل لو لا كذا ما خلق كذا، لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة ، بل يقتضي اذا كان افضل صالح لبني آدم وافضلهم (٢) محمد، وكانت خلقته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة مقصودة من غيره، وصار تمام الخلق، ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (٢) والله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة. وسيد ولد آدم هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله تعالى عليه وسلم «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم

(١) كان قد سقط من الاصل آخر الآية السابقة وأول الآية اللاحقة

(٢) كذا في الاصل ولا يخلو من سقط وتحريف

لمجدل في طينته ، أي كتبت نبوتي واظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد اذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها ، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد انسان هذا العين ، وقطب هذه الرحي ، واتسام هذا الجمع كان كأهاغاية النايات في المخلوقات ، فإينكر أن يقال انه لاجله حطقت جميعها ، وإنه لولاه لماخلقت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه بمايدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك وأما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى بإشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردوداً غير مقبول فقد صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فأنا أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال تعالى (يا اهل الكتاب لاتقلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد) والله قد جعل له حقاً لا يشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له ، ولا الدعاء إلا له ، ولا التوكل الا عليه ، ولا الرضبة الا اليه ، ولا الرهبة الا منه ، ولا ملجأ ولا منجاة الا اليه ، ولا يأتي بالحسنات الا هو ، ولا ينهب السيئات الا هو ، ولا حول ولا قوة الا به (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له • من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه • ان كل من في السموات والارض

الا آتي الرحمن عبداً لقد احصاهم و عداهم كلهم آتية يوم القيامة فردا)
 وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون)
 فجعل الطاعة لله والرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده، وكذلك في قوله
 (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
 فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالإتياء لله والرسول. وأما التوكل
 فعلى الله وحده، والرغبة الى الله وحده

فصل

وأما المؤاخاة فان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين
 والانصار لما قدم المدينة كما آخى بين سلمان الفارسي وبين أبي الدرداء وبين
 عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة
 حتى انزل الله تعالى (واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)
 فصاروا يتوارثون بالقرابة وفي ذلك انزل الله تعالى (والذين عقدت
 أيمانكم فآتوهم نصيبتهم) وهذا هو المحامفة واختلف العلماء هل التوارث
 بمثل ذلك عند عدم القرابة. والولاء محكم أو منسوخ؟ على قولين (أحدهما)
 أن ذلك منسوخ وهو مذهب مالك والشافعي واحمد في اشهر الروايتين
 عنه ولما ثبت في صحيح مسلم عنه انه قال «لا حلف في الاسلام وما كان
 من حلف في الجاهلية فلم يزد الاسلام الا شدة» (والثاني) أن ذلك
 محكم وهو مذهب أبي حنيفة واحمد في الرواية الاخرى عنه
 وأما المؤاخاة بين المهاجرين كما يقال انه آخى بين أبي بكر وعمر وانه
 آخى طلياً ونحو ذلك فهذا كله باطل وان كان بعض الناس ذكر انه فعل

بمكة وبعضهم ذكر انه فعل بالمدينة وذلك نقل ضعيف إما منقطع وإما
باسناد ضعيف والذي في الصحيح هو ما تقدم ومن تدبر الاحاديث
الصحيحة والسيرة النبوية الثابتة يتقن أن ذلك كذب

وأما عقد الاخوة بين الناس في زماننا فان كان المقصود منها التزام
الاخوة الايمانية التي اثبتها الله بين المؤمنين بقوله (إنما المؤمنین اخوة)
وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يظلمه»
وقوله «لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ، ولا يستام على سوم أخيه ، ولا
يخطب على خطبة أخيه» وقوله «والذي تقسي يده لا يؤمن أحدكم حتي
يجب لآخيه من الخير ما يحب لنفسه» ونحو ذلك من الحقوق الايمانية التي
تجب للمؤمن على المؤمن . فهذه الحقوق واجبة بنفس الايمان ، والتزامها
بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج ، والمعاهدة عليها كالمعاهدة
على ما اوجب الله ورسوله ، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن ، وان لم
يحصل بينهم عقد مؤاخاة ، وان كان المقصود منها اثبات حكم خاص كما
كان بين المهاجرين والانصار ، فهذه فيها للعلماء قولان بناء على أن ذلك
منسوخ أم لا ، فمن قال انه منسوخ — كمالك والشافعي واحمد في المشهور
منه — قال : إن ذلك غير مشروع . ومن قال انه لم ينسخ — كما قال
أبو حنيفة واحمد في الرواية الاخرى — قال انه مشروع

وأما الشروط التي يلتزمها كثير من الناس في السماع وغيره مثل
أن يقول : على المشاركة في الحسنات ، وأبناخلص يوم القيامة حلص صاحبه
ونحو ذلك . فهذه كلها شروط باطلة فان الامر يومئذ لله ، هو (يوم لا تملك

نفس لنفس شيئاً) وكما قال تعالى (ولقد جئنا فرادى كما خلقناكم أول
 مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
 أنهم فيكم شركاء ، لقد قطع بينكم وفضل عنكم ما كنتم ترعمون)
 وكذلك يشترطون شروطاً من الأمور الدنيوية ولا يوفون بها وما
 أعلم أحداً ممن دخل في هذه الشروط الزائدة على ما شرطه الله ورسوله
 وفيها بل هو كلام يقولونه عند غلبة الحال ، لاجتياح له في المال واسعده
 الناس من قام بما أوجبه الله ورسوله فضلاً عن أن يوجب على نفسه زيادات
 على ذلك - وهذه المسائل قد بسطت في غير هذا الموضع والله أعلم
 (قاله أحمد بن تيمية الحراني)



كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية

الى العارف بالله الشيخ نصر المنبجي

(قال الراوي) كتاب كتبه الشيخ الامام وحيد دهره، وفريد عصره، علامة زمانه ناصر السنة مؤيد الشريعة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن تيمية الحراني فسح الله تعالى في مدته وأطاع عليه: امن برأسته إلى الشيخ القدوة أبي الفتح نصر المنبجي سنة اربع وسبعمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد بن تيمية الى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي الفتح نصر، فتح الله على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب اوليائه، ونصره على شياطين الانس والجن في جهره واخفائه، ونهج به الطريقة المحمدية الموافقة لشرعته، وكشف به الحقيقة الدينية الميزة بين خلقه وطاعته، واراادته ومحبته، حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية والكلمات الدينية، وبين المؤمنين الصادقين الصالحين، ومن تشبه بهم من المنافقين، كما فرق الله بينهما في كتابه وسنته

(أما بعد) فإن الله تعالى قد انعم على الشيخ وانعم به نعمة باطنة وظاهرة في الدين والدنيا، وجعل له عند خاصة المسلمين الذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً منزلة عليّة، ومودة اليه لما منحه الله تعالى به من حسن المعرفة والقصد، فان العلم والارادة، اصل لطريق الهدى

والعبادة . وقد بعث الله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم باكمل محبة في اكمل معرفة ، فاخرج بمحبة الله ورسوله التي هي أصل الاعمال ، المحبة التي فيها لاشراك واجمال ، كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال افترقتموها وتجارة تمخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتركبوا حتى يأتي الله باصره)

ولهذا كانت المحبة الايمانية هي الموجهة للذوق الايماني والوجد الديني كما في الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان في قلبه ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ، جعل صلى الله تعالى عليه وسلم وجود حلاوة الايمان مطلقاً بمحبة الله ورسوله الفاضلة وبالمحبة فيه في الله وبكراهة ضد الايمان

وفي صحيح مسلم عن العباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، جعل ذوق طعم الايمان مطلقاً بالرضى بهذه الاصول كما جعل الوجد مطلقاً بالمحبة ليفرق صلى الله تعالى عليه وسلم بين الذوق والوجد الذي هو أصل الاعمال الظاهرة وثمرة الاعمال الباطنة ، وبين ما امر الله به ورسوله وبين غيره كما قال سهل بن عبد الله التستري : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل ، اذ كان كل من أحب شيئاً فله ذوق بحسب محبته

ولهذا طالب الله تعالى مدعي محبته بقوله (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
 يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) قال الحسن البصري ادعى قوم على عهد
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فطالبهم بهذه الآية
 فجعل محبة العبد لله موجبة لتابعة رسوله ، وجعل متابعة رسوله موجبة
 لمحبة الرب عبده. وقد ذكر نعت المحبين في قوله (فسوف يأتي الله بقوم
 يحبهم ، يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين * يجاهدون في سبيل
 الله ولا يخافون لومة لائم) فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال الذي
 نعت لله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال المفرق في الملتين ، قلنا (؟)
 وهو الشدة والعزة على اعداء الله . والذلة والرحمة لاولياء الله ورسوله ، ولهذا
 يوجد كثير ممن له وجد وحب مجمل مطلق كما قال فيه كبير من كبرائهم :
 مشرد عن الوطن * مبعد عن السكن * يبكي الطلول والدمن *

يهوى ولا يدري لمن

فالشيوخ أحسن الله اليه قد جعل فيه من النور والمعرفة الذي
 هو أصل المحبة والارادة ماتمميز به المحبة الايمانية المحمدية المفصلة ، عن
 الجملة المشتركة ، وكما يقع هذا الاجمال في المحبة يقع ايضا في التوحيد ، قال
 الله تعالى في ام الكتاب التي هي مفروضة على العبد وواجبة في كل صلاة
 أن يقول (اياك نعبد و اياك نستعين) وقد ثبت في الحديث الصحيح أن
 الله يقول « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها
 لعبدي ولعبدي ما سأل ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني
 عبدي واذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله اثني عليّ عبدي ، واذا قال (مالك
 يوم الدين) قال مجدني عبدي أو قال فوض الي عبدي ، واذا قال (اياك

نعبد واياك نستعين) قال فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ، وعبدي
 ماسأل ، فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم
 غير المنضوب عليهم ولا الضالين) قال فهو لاء عبدي وعبدي ماسأل
 ولهداروي أن الله أنزل مائة كتاب واربعة كتب جمع معانيها في
 القرآن ومعاني القرآن في المفصل ومعاني المفصل في ام الكتاب ومعاني
 ام الكتاب في هاتين الكاهتين (اياك نعبد واياك نستعين) وهذا المعنى قد
 ثناه الله في مثل قوله (فاعبده وتوكل عليه) وفي مثل قوله (عليه توكلت
 واليه انب) وقوله (عليه توكلت واليه متاب) وكان النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم يقول في نسك « اللهم هذا منك واليك » . فهو سبحانه
 مستحق التوحيد الذي هو دعاؤه واخلاص الدين له دعاء العباد بالحجة
 والانابة والطاعة والاجلال والاکرام والخشية والرجاء ونحو ذلك من
 معاني تأله وعبادته ودعاء المسئلة والاستعانة بالتوكل عليه ، والاتجاه
 اليه ، والسؤال له ، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته ، وهو
 سبحانه الاول والاخر والباطن والظاهر

ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله وفي السؤال باسم
 الرب فيقول المصلي والذاكر الله اكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا اله
 الا الله ، وكلمات الاذان : الله اكبر الله اكبر الى آخرها ونحو ذلك
 وفي السؤال (ربنا ظلمنا انفسنا * رب اغفر لي ولوالدي * رب
 بما انعمت علي فلن اكون ظهيراً للمجرمين * رب ظلمت نفسي فاغفر لي *
 (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا * رب اغفر وارحم
 وانت خير الراحمين) ونحو ذلك . وكثير من المتوجهين السالكين يشهد

في سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق من الالهيان والصفات ، وهذه الامور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستعيز بها فيقول « أعود بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء وما يخرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الارض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق الا طارقاً يطرق بخير يارحم » فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الرباني عما هو مأمور به أيضاً ومطلوبه وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد الالهي الذي هو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ، والامر بما أمر به ، والنهي عما نهى عنه ، والحب فيه ، والبغض فيه ، ومن اعرض عن هذا التوحيد وأخذ بالاول فهو يشبه القدرية المشركية الذين قالوا (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا) ومن أخذ بالثاني دون الاول فهو من القدرية المجوسية الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال المباد ولا شاء جميع الكائنات كما تقول المعتزلة والرافضة ويقع في (كلام) كثير من التكلمة والتفقهة . والاول ذهب اليه طوائف من الاباحية المنحلين عن الاوامر والنواهي ، وانما يستعملون ذلك عندها هواتهم والافهولا يستمر ، وهو كثير في المتألهة الخارجين عن الشريعة خفو العدو (؟) وغيرهم فان لهم زهاديات وعبادات فيها ما هو غير مأمور به فيفيدهم أحوالاً فيها ما هو فاسد يشبهون من بعض الوجوه الرهبان وعباد البدود (١)

(١) الظاهر أن البدود جمع بد بالضم وذكروا أن جمعه بددة وابداد

وبوت بالفارسية الصم

ولهذا قال الشيخ عبدالقادر قدس الله روحه: كثير من الرجال اذا دخلوا الى القضاء والقدر امسكوا وأنا انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والولي من يكون منازعاً للمقدر لا من يكون موافقاً له. وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان المحمدية (١) أي ان المسلم مأمور أن يفعل ما امر الله به، ويدفع ما نهى الله عنه، وان كانت اسبابه قد قدرت، فيدفع قدر الله بقدر الله كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والارض » وفي الترمذي قيل يا رسول الله؟ رأيت ادوية تتداوى بها، ورؤيتي نسترقى بها وتقى تتقيها هل تردهن قدر الله شيئاً؟ فقال « هن من قدر الله » (٢) والى هذين المعنيين أشار الحديث الذي رواه الطبراني أيضاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال: « يقول الله يا ابن آدم انما هي اربع: واحدة لي، وواحدة لك: وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين خلقي؟ فاما التي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فعملك اجزيك به احوج ما تكون اليه، وأما التي هي بيني وبينك فمك الدعاء وعليّ الاجابة، وأما التي بينك وبين خلقي فأنت الى الناس بما تحب أن يؤتوه اليك »

ثم ان التوحيد الجامع لتوحيد الالهية والربوبية أو توحيد أحدهما للبعد فيه ثلاث مقامات (أحدها) مقام الفرق والكثرثة بانعامه (؟) من كثرة المخلوقات والمأمورات (والثاني) مقام الجمع والفناء بحيث يغيب بمشهوده

(١) كذا ولعل اصله الشريعة المحمدية

(٢) ومنه أثر عمر في الطاعون: تفر من قدر الله الى قدر الله

عن شهوده ، وبعبودته عن عبادته ، وبموحده عن توحيدته ، وبمذ نوره عن ذكره ، وبمحبوبته عن حبه . فهذا فناء عن ادراك السوي وهو فناء القاصرين وأما الفناء الكامل المحمدي فهو الفناء عن عبادة السوي والاستعانة بالسوي واردة وجه السوي ، وهذا في الدرجة الثالثة وهو شهود التفرقة في الجمع ، والكثرة في الوحدة ، فيشهد قيام الكائنات مع تفرقها باقامة لله تعالى وحده وربوبيته ، ويرى انه مامن دابة إلا ربي آخذ بناصيتها ، وانه على كل شيء وكيل ، وانه رب العالمين ، وان قلوب العباد ونواصيهم بيده ، لا خالق غيره ولا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع ولا حافظ ولا معزز ولا منزل سواه . ويشهد ايضا فعل المأمورات مع كثرتها وترك الشبهات (١) مع كثرتها لله وحده لا شريك له

وهذا هو الدين الجامع العام الذي اشترك فيه جميع الانبياء والاسلام العام والايان العام ، وبه انزلت السور المكية واليه الاشارة بقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وبقوله (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا : أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وبقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ولهذا ترجم البخاري عليه « باب ما جاء أن دين الانبياء واحد »

وقد قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم اجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فجمع في الملل الاربع (من آمن بالله واليوم

الآخر وعمل صالحاً) وذلك قبل النسخ والتبديل وخص في أول الآية المؤمنين وهو الايمان الخاص الشرعي الذي قال فيه (كل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) والشرعة هي الشريعة، والمنهاج هو الطريقة، والدين الجامع هو الحقيقة الدينية، وتوحيد الربوبية، هو الحقيقة الكونية، والحقيقة المفصودة الدينية الموجودة الكونية متفق عليها بين الانبياء والمرسلين
فاما الشرعة والمنهاج الاسلاميان فهولامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (خير امة اخرجت للناس) وبها اتزت السور المدنية اذ في المدينة النبوية شرعت الشرائع وسنت السنن ونزلت الاحكام والفرائض والحدود فهذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب واليه تشير مشايخ الطريقة وعلماء الدين، لكن بعض ذوي الاحوال قدي يحصل له في حال الفناء القاصر سكر وغيبة عن السوى، والسكر وجد بلا تمييز فقد يقول في تلك الحال: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، أو نحو ذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي أو غيره من الاصحاء. وكلمات السكران تطوي ولا تروى ولا تؤدي اذا لم يكن سكره بسبب محذور من عبادة أو وجه منهي عنه

فاما اذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً، لا فرق في ذلك بين السكر الجسماني والروحاني فسكر الاجسام بالطعام والشراب، وسكر النفوس بالصورة، وسكر الارواح بالاصوات. وفي مثل هذا الحال غلط من غلط بدعوى الاتحاد والحلول العيني في مثل دعوى النصراني في المسيح، ودعوى الغالية في علي واهل البيت، ودعوى قوم من الجهال

الغالية في مثل الخلاج أو الحالك بمصر أو غيرها، وربما اشتبه عليهم
الاتحاد النوعي الحكمي بالاتحاد العيني الذاتي

فالاول كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال « يقول الله: عبدي! مرضت فلم تعدني فيقول كيف
أعودك وانت رب العالمين؟ فيقول أما علمت انه مرض عبدي فلان فلو
عدته لوجدتني عنده. عبدي! جمت فلم تطعمني، فيقول لربي كيف اطعمك
وانت رب العالمين؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلانا جاع فلو اطعمته
لوجدت ذلك عندي » قسر ما نكلم به في هذا الحديث أن جوع عبده
ومحبوبه لقوله « لوجدت ذلك عندي » ولم يقل لوجدتني قد أكلته ولقوله
« لوجدتني عنده » ولم يقل لوجدتني لياه وذلك لان المحب يتفق هو
ومحبوبه بحيث يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر ويأمر بما أمر به ويمنع
ما يمنعه ويكره ما يكرهه وينهى عما ينهى عنه

وهؤلاء هم الذين يرضى الحق ارضاهم وينضب لغضبهم، والكامل
المطلق في هؤلاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا قال تعالى فيه (ان
الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وقال (والله ورسوله أحق أن يرضوه)
وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وقد جاء في الانجيل الذي بأيدي النصارى كلمات مجملة ان صح أن
المسيح قالها فهذا معناها كقوله « أنا وأبي واحد. من رأى فقد رأى أبي »
ونحو ذلك وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا التشابه كما ذكر الله عنهم
في القرآن لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناظروه في المسيح
وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من عادى لي وليا فهد بارزني بالحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا احببته كنت سمه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، في يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي » فاخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه اذا تقرب اليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه

وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وان قرب الفرائض أن يكون هو إياه فان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل. فهذه المعاني وما يشبهها هي اصول مذهب أهل الطريقة الاسلامية اتباع الانبياء والمرسلين

وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية وكنت قد كتبت الي خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن اشرت فيه اشارة لطيفة الى حال هؤلاء ولم يكن القصد به والله واحدا بعينه وانما الشيخ هو بجمع المؤمنين فعلينا أن نعيه في الدين والدنيا بما هو اللائق به وأما هؤلاء الاتحادية فقد ارسل الي الداعي من طلب كشف حقيقة امرهم وقد كتبت في ذلك كتابا ربما يرسل الي الشيخ وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل والله تعالى يعلم وكفى به علما لولا أني أرى دفع ضرر هؤلاء عن أهل طريق الله تعالى السالكين اليه من اعظم الواجبات - وهو شبيه بدفع التتار عن المؤمنين - لم يكن لهؤمنين بالله ورسوله حاجة ألى أن نكشف أسرار الطريق وتهتك استارها، ولكن

الشيخ احسن الله تعالى اليه يلم أن مقصود الدعوة النبوية بل المقصود
بخلق الخلق وانزال الكتب وارسال الرسل أن يكون الدين كله لله هو
دعوة الخلائق الى خالقهم بما قال تعالى (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً * وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً) وقال سبحانه (قل هذه
سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال تعالى (وإنك
لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في
الارض ، ألا الى الله تصير الامور) . وهؤلاء موهوا على السالكين
التوحيد الذي انزل الله تعالى به الكتب ، وبمث به الرسل بالاتحاد الذي
سموه توحيداً وحقيقته تعطيل الصانع وجود الخالق . وإنما كنت قدما
من يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد مثل
كلامه في كثير من الفتوحات والكنة والمحكم المربوط والدرة الفاخرة
ومطالع النجوم ونحو ذلك ولم نكن بمد اطلمنا على حقيقة مقصوده ولم
نطالع الفصوص ونحوه وكنا نجتمع مع اخواننا في الله نطلب الحق
وتبعه ونكشف حقيقة الطريق فلما تبين الامر عرفنا نحن ما يجب علينا
فلما قدم من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الاسلامية
والدين الاسلامي وحقيقة حال هؤلاء وجب البيان ، وكذلك كتب الينا
من اطراف الشام رجال سالكون أهل صدق وطلب أن اذكر النكت
الجامعة لحقيقة مقصودهم والشيخ أيده الله تعالى بنور قلبه وذكاء نفسه
وحق قصده من نصحه للاسلام واهله ولاخوانه السالكين يفعل في ذلك
ما يرجوه رضوان الله سبحانه ومفقرته في الدنيا والآخرة
هؤلاء الذين تسلموا في هذا الامر لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت

دولة التتار وإلا فكان الاتحاد القديم هو الاتحاد المعين وذلك أن القسمة رباعية فإن كل واحد من الاتحاد والحلول اما معين في شخص واما مطلق، أما الاتحاد والحلول المعين كقول النصارى والغالية في الاثمة من الراضة وفي المشايخ من جهال الفقهاء والصوفية فانهم يقولون به في معنى اما بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن وهو قول اليعقوبية وهم السودان ومن الحبشة والقبط، واما بالحلول وهو قول النسطورية، واما بالاتحاد من وجه دون وجه وهو قول الملكانية

(وأما الحلول المطلق) وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء فهذا تحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية وكانوا يكفرونهم بذلك وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقتهم اليه الا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وان وجود ذات الله خالق السموات والارض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا انه رب العالمين ولا انه غني وما سواه فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق واكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم لانه أمر مبهم

(الاول) أن يقولوا ان الذوات بأسرها كانت ثابتة في الدم ذاتها أبدية أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمادن والحركات والسكنات وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك. ويقولون إن الله سبحانه لم يمط أحداً شيئاً ولا

أغنى أحدا ولا أسمده ولا أشقاه وإنما وجوده قاض على الذوات فلا محمد
 الا تفسك ولا تدم إلا تفسك، ويقولون ان هذا هو سر القدر وان الله
 تعالى انما علم الاشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم خارجا عن نفسه
 المقدسة، ويقولون ان الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم، وانهم قد
 يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم وعلم الله تعالى
 من معدن واحد، وانهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه
 لانهم يأخذون من المعدن الذي أخدمته الملك الذي يوحى به الرسل، ويقولون
 انهم لم يعبدوا غير الله ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى، وان عباد الاصنام
 ما عبدوا الا الله سبحانه، وان قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه)
 معنى حكم لا معنى أمر فما عبد غير الله في كل معبود فان الله تعالى ما قضى
 بشيء الا وقع، ويقولون ان الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو فانه ما عدم
 من البداية، فيدعى الى الغاية، وان قوم نوح قالوا (لا تذرنا آلهتكم ولا
 تذرنا ودا ولا سواها) لانهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا
 منهم، لان للحق في كل معبود وجهها يعرفه من عرفه وينكره من أنكره،
 وان التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية
 في الصورة الروحانية، وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر
 حتى عبد، فان الجاهل يقول هذا حجر وشجر، والعارف يقول هذا محل
 الهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر، فان النصراني انما كفره لانهم خصصوا
 وإن عباد الاصنام ما أخطأوا الا من حيث اقتصرهم على عبادة بعض
 المظاهر، والعارف يعبد كل شيء، والله يعبد أيضا كل شيء لان الاشياء، غذاؤه
 بالاسماء والاحكام وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير اليها وهي فقيرة اليه،

وهو خليل كل شيء بهذا المعنى، ويحملون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة وإضافة بين الوجود والثبوت وليست أموراً عدمية، ويقولون «من أسماء الحسنى العلي عن ماذا وما ثم الا هو؟ وعلى ماذا وما ثم غيره؟ فالمسمى محدثات وهي العلية لذاتها وليست الا هو، وما نكح سوى نفسه، وما ذبح سوى نفسه. والتكلم هو عين المستمع» وان موسى انما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه، وان موسى كان أوسع في العلم فلم انهم لم يعبدوا الا الله، وان أعلى ما عبد الهوى، وان كل من اتخذ الهه هو الهه فاعبدوا الله. وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين وقد صدقه السحرة في قوله أنا ربكم الاعلى، وفي قوله ما علمت لكم من اله غيري، وكنت اخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين وأقول إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع حتى حدثني بعض عن كثير من كبارهم انهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون (١) وهذه المعاني كلها هي قول صاحب الفصوص والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه، والله ينفر لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الاحياء منهم والاموات (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)

والمقصود أن حقيقة ما تضمنه كتاب الفصوص المضاف الى النبي

(١) كذا في الاصل ويراجع في رسالة انطال وحدة الوجود (ص ١١٧)

مع مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام

صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاء به وهو ما اذا فهم المسلم بالاضطرار (١) أن جميع الانبياء والمرسلين وجميع الاولياء والصالحين بل جميع عوام أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين يروون الى الله تعالى من بعض هذا القول فكيف منه كله . ونعلم أن المشركين عباد الاوثان والكفار أهل الكتاب يمتدحون بوجود الصانع الخالق البارئ المصور — الذي خلق السموات والارض وجمل الظلمات والنور — ربهم ورب آبائهم الاولين — رب المشرق والمغرب . ولا يقول أحد منهم انه عين المخلوقات، ولا تقس المصنوعات، كما يقوله هؤلاء، حتى انهم يقولون لو زالت السموات والارض زالت حقيقة الله . وهذا مركب من أصليين

(أحدهما) أن المعدوم شيء ثابت في العدم كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة وهو مذهب باطل بالمقل الموافق للكتاب والسنة والاجماع وكثير من متكلمة أهل الاثبات كلقاضي أبي بكر كافر من يقول بهذا وانما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالاشياء قبل كونها وانها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ وبين ثبوتها في الخارج عن ظلم الله تعالى فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها فيفرقون بين الوجود العلمي وبين الوجود العيني الخارجي

ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة

(١) كذا في الاصل وفيه ما ترى والمعنى ان ما في كتاب الفصوص من أمثال ما ذكر يفهم كل مسلم أنه مخالف لدين الله على السنة جميع رسله وأنه مما يتبرأ منه عوام جميع الملل

(اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم) فذكر المراتب الأربع وهي الوجود العيني الذي خلقه ، والوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه . ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم ، فإنه مستلزم للمراتب الثلاثة وهذا القول - اعني قول من يقول : إن المعدوم شيء ثابت في نفسه خارج عن علم الله تعالى - وإن كان باطلا ودلالته واضحة لكنه قد ابتدع في الاسلام من نحو اربعمائة سنة . وابن العربي وافق أصحابه وهو أحد أصلي مذهبهم الذي في الفصوص

(والاصل الثاني) أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه . وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء ، وهو قول بقية الاتحادية ، لكن ابن العربي أقربهم الى الاسلام وأحسن كلاما في مواضع كثيرة ، فإنه يفرق بين الظاهر والمظاهر فيقر الامر والنهي والشرائع على ما هي عليه ، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الاخلاق والعبادات ، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكهم فينتفعون بذلك وإن كانوا لا يفقهون حقائقه ، ومن فهمها منهم وواقفه فقد تبين قوله

(وأما) صاحبه الصدر الرومي فإنه كان متفلسفا فهو أبعدهن الشريعة والاسلام ، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول كان شيعي القديم متروحنا متفلسفا والآخرفيلسوفامتروحننا - يعني الصدر الرومي - فإنه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربي في كتاب مفتاح غيب الجمع

والوجود (١) وغيره يقول إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين والجسم المطلق والجسم المعين. والمطلق لا يوجد الا في الخارج مطلقا لا يوجد المطلق الا في الاعيان الخارجة. حقيقة قوله انه ليس لله سبحانه وجود أصلا ولا حقيقة ولا ثبوت الا نفس الوجود القائم بالخلوقات . ولهذا يقول هو وشيخه ان الله تعالى لا يرى أصلا، وانه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والمذرة عين وجوده — تعالى الله عما يقولون (وأما) الفاجر التلمساني فهو أخبت القوم وأعمقهم في الكفر فانه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي، ولكن عنده ماثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه. وان العبد انما يشهد السوي مادام محجوبا فاذا انكشف حجابها رأى انه ماثم غير يبين له الامر . ولهذا كان يستحل جميع المحرمات حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول البنت والام والاجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا وانما هؤلاء المحجوبون قالوا احرام فقلنا حرام عليكم . وكان يقول القرآن كاه شرك ليس فيه توحيد وانما التوحيد في كلامنا . وكان يقول أنا ما أمسك شريعة واحدة ، واذا أحسن القول يقول لقرآن يوصل الى الجنة، وكلامنا يوصل الى الله تعالى . وشرح الاسماء الحسنى على هذا الاصل الذي له . وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء وشعره في صناعة الشعر جيد ولكنه

(١) قوله : في كتاب الخ القطم غير متجه وكتاب مفتاح غيب الجم والوجود لصدر الدين الرومي القونوي هذا مراد شيخ الاسلام نقل مشاهدين كتابه هذا على ضلالتة

كما قيل (لحم خنزير في طبق صيني) وصنف للنصيرية عقيدة. وحقيقة أمرهم
 أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه
 (وأما) ابن سبعين فإنه في البدو والاحاطة يقول أيضا بوحدة
 الوجود وأنه ماثم غير، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك لكن
 لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمساني أو قول الرومي أو قول ابن
 العربي وهو الی كلام التلمساني أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا
 الكافر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني وآخر يقال له البلباني من
 مشايخ شيراز ومن شعره

وفي كل شيء له آية تدل على انه عينه

وأیضا:

وما أنت غير الكون بل انت عينه ويفهم هذا السر من هو ذاته

وأیضا:

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي لاني في التحقيق لست سواكم

وأیضا:

ما بال عيسك لا يقر قرارها وإلام ظلك لايني منتقلا
 فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليك اذا بلغت المنزلا

وأیضا:

ما الامر الا نسق واحد مافيه من حمد ولاذم

وانما العادة قد خصصت والطبع والشارع في الحكم

وأیضا:

يا عاذلي أنت تنهاني وتأمري والوجد أصدق نهاء وأمار
 فان أظلمك وأعص الوجد عدت عمي عن الميان الى أوهام أخبار

فممن ماأنت تدعوني اليه اذا حقيقته تراه النهي يا جاري
وأبنا :

وما البحر الا الموج لاشيء غيره وان فرقته كثرة المتعدد
الى امثال هذه الاشعار، وفي النثر مالا يحصى، ويوهمون الجهال أنهم
مشايخ الاسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في
الامة مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز ومالك
ابن أنس والاوزاعي و ابراهيم بن ادهم وسفيان الثوري والفضيل بن عياض
ومعروف الكرخي والشافعي وابي سليمان واحمد بن حنبل وبشر الحافي
وعبد الله بن المبارك وشقيق الباهي ومن لا يحصى كثرة- الى مثل المتأخرين
مثل الجنيد بن محمد القواريري وسهل بن عبدالله التستري وعمر بن عثمان
المكي ومن بعدهم- الى أبي طالب المسكي الى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني
والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ أبي مدين والشيخ عقيل والشيخ
أبي الوفاء والشيخ رسلان والشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الله اليونيني
والشيخ القرشي وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز وانشام والعرات
ومصر والمغرب وخراسان من الاولين والآخرين .

كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم ولان الله
سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءاً من خلقه ولا صفة خلقه بل هو سبحانه
وتعالى مميز بنفسه الممتدة ، بائن بذاته المنظمة عن مخلوقاته ، وبذلك
جاءت الكتب الاربعة الالهية من التوراة والانجيل والزبور والقرآن
وعليه فطر الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت المقول

وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التنوير

واندراس شريعة الاسلام وان هؤلاء مقدمة الدجال الاعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ولكن بعض الاشياء أكبر من بعض وأعظم. واما على رأي صاحب الفصوص فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لعظم ذاته الثابتة في المدم. واما على رأي الرومي فان بعض المتمينات يكون أكبر، فان بعض جزئيات الكلبي أكبر من بعض. واما على البقية فالشكل اجزاء منه، وبعض الجزء أكبر من بعض. فالدجال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين واكبر من الرسل بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فوسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية، ويسلم الله تعالى مسيح الهدى الذي قيل فيه انه الله تعالى وهو بريء من ذلك على مسيح الضلالة الذي قال انه الله

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «انه أعور (١)» وكونه قال «واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت» وابن الخطيب انكر أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لان ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية وتدبرنا ما وقعت فيه النصراري والحلولية ظهر سبب دلالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لامته بهذه العلامة فانه بعث رحمة للعالمين فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور

(١) تنمة الحديث « وان الله ليس بأعور » رواه الشيخان من حديث ابن عمر وهذا لفظ البخاري وهذه الجملة هي محل التعجب الذي حمل ابن الخطيب وهو المصدر الرازي على انكار الحديث

الرب في البشر أو يقول انه هو البشر كان الاستدلال على ذلك بالمرور
دليلا على اتناء الالهية عنه

وقد خاطبني قديما شخص من خيار أصحابنا كان يميل الى الانحاد ثم
تاب منه وذكر هذا الحديث فبينت له وجهه وجاء الينا شخص كان يقول
انه خاتم الاولياء فزعم أن الحلاج لما قال أنا الحق كان الله تعالى هو المتكلم
على لسانه كما يتكلم الجنى على لسان المصروع وان الصحابة لما سمعوا كلام
الله تعالى من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان من هذا الباب . فبينت
له فساد هذا وانه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران
وكان من خاطبه هؤلاء أعظم من موسى لان موسى سمع الكلام الالهي
من الشجرة وهؤلاء يسمعون من الجن الناعق . وهذا يقوله قوم من
الانحادية لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الانحاد العام المطلق الذي
يذهب اليه الفاجر التمسائي وذووه وبين الانحاد المعين الذي يذهب اليه
النصارى والغالية

وقد كان سلف الامة وسادات الائمة يرون كفر الجهمية أعظم
من كفر اليهود كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما وانما كانوا
يلوحون تلويحا وقل ان كانوا يصرحون بأن ذاته في مكان
وأما هؤلاء الانحادية فهم أخبث واكفر من اولئك الجهمية ولكن
السلف والائمة أعلم بالاسلام وبمخائفة فان كثيرا من الناس قد لا يفهم
تفليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى فلما اطلع السلف
على سر القول قرأوا منه، وهذا كما قال بعض الناس: متكامة الجهمية لا يبدون
شيئا، ومتعبدة الجهمية يبدون كل شيء . وذلك لان متكاهم ليس في قلبه

تأله ولا تعبد فهو يصف ربه بصفات المدم والموات
وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد والقلب لا يقصد الا موجوداً لا
معدوماً فيحتاج أن يعبد المخلوقات إما الوجود المطلق واما بعض المظاهر
كالشمس والقمر البشر والاولئان وغير ذلك، فان قول الاتحادية يجمع كل
شرك في العالم، وهم لا يوحدون الله سبحانه وتعالى وانما يوحدون القدر
المشترك بينه وبين المخلوقات، فهم برههم يعدلون. ولهذا حدث الثقة أن
ابن سبعين كان يريد الذهاب الى الهند وقال ان ارض الاسلام لاتسمه،
لان الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان
وهذا حقيقة قول الاتحادية واعرف ناسا لهم اشتغال بالفلسفة والكلام
وقد تألخوا على طريق هؤلاء الاتحادية فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه
بالكلام قالوا اليس كذلك ليس بكذا او وصفوه بأنه ليس هو رب المخلوقات كما يقوله
المسلمون، لكن يمجدون صفات الخالق التي جاءت بها الرسل عليهم السلام
واذا صار لاحدم فوق ووجد تأله وسلك طريق الاتحادية وقال انه هو
الموجودات كلها فاذا قيل له اين ذلك النبي من هذا الاثبات؟ قال: ذلك
جدي، وهذا ذوتي فيقال لهذا الضال كل فوق ووجد لا يطابق لاعتقاد
فأحدهما أو كلاهما باطل وانما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات
فان علم القلب وحاله، يتلازمان فعملى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والحبية
والحال. ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين
امروا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ووصفوه بما وصف به نفسه وبما
وصفته به رسله، واتبعوا طريق السائقين الاولين، لسلكوا طريق الهدى
ووحدوا برد اليقين وقررة العين فان الامر كما قال بعض الناس ان الرسل

جاؤا بإثبات مفصل ونفي مجمل، والصائبة المطلقة جاؤ بنفي مفصل وإثبات مجمل، فالقرآن مملوء من قوله تعالى في الاثبات (إن الله بكل شيء عليم * وعلى كل شيء قدير * وأنه سميع بصير * وسع كل شيء رحمة وعلما) وفي النفي (ليس كمثل شيء * ولم يكن له كفواً أحد * هل تعلم له سبياً سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين)

وهذا الكتاب مع اني قد اطلت فيه الكلام على الشيخ ايده الله تعالى بالاسلام ونفع المسلمين ببركة انفاسه وحسن مقاصده ونور قلبه فان ما فيه نكت مختصرة، فلا يمكن شرح هذه الاشياء في كتاب، ولكن ذكرت للشيخ احسن الله تعالى اليه ما اقتضى الحال ان اذكره - وحامل الكتاب مستوفز هجلان، وانا اسأل الله العظيم ان يصلح امر المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويهديهم الى ما يقربهم، وأن يجعل

الشيخ من دعاة الخير الذين قال الله سبحانه

فيهم (ولتكن منكم امة يدعون الى

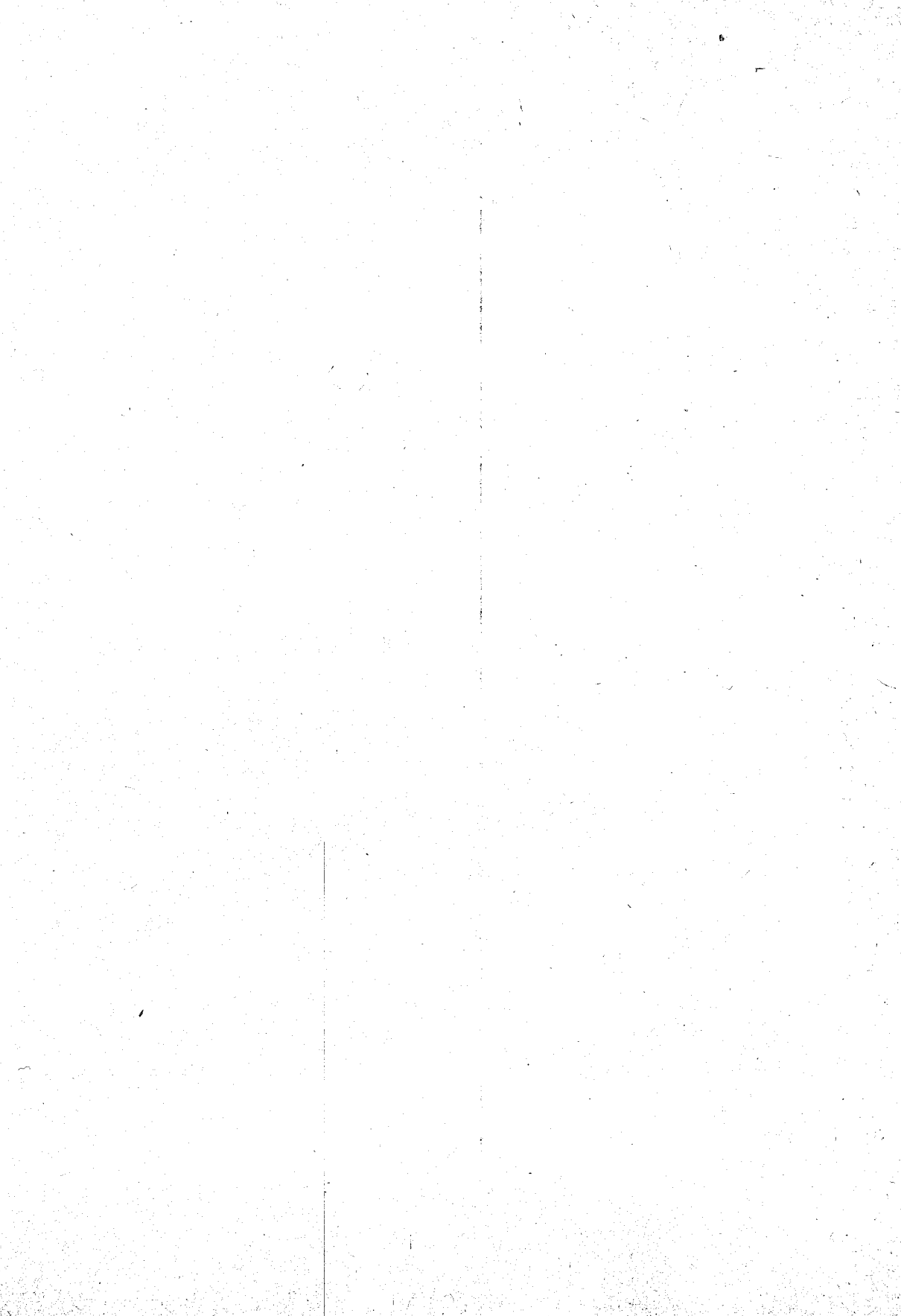
الخير ويأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر

واولئك هم

المفلحون)

انتهى



مسألة

صفات الله تعالى وعلوه على خلقه
بين النفي والاثبات

جواب سؤال

رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين

أحمد بن محمد بن محمد

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خيراً

آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(السؤال) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين، في رجلين تباحثا في مسألة
الاثبات للصفات والجزم باثبات العلو، فقال أحدهما لا يجب على أحد معرفة
هذا، ولا البحث عنه، ويمتد أن الله واحد في ملكه، وهو رب كل شيء وخالقه
ومليكه. ومن نكلم في شيء من هذا فهو مجسم حشوي. فهل هذا القائل
لهذا الكلام مصيب أم مخطيء؟ فإذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب
على الناس أن يمتدوا اثبات الصفات والعلو ويعرفوه؟ وما معنى التجسيم
والحشو؟ افتونا وابتسوا القول في هذا مأجورين إن شاء الله تعالى

الجواب

الحمد لله رب العالمين. يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم، فما جاء به القرآن أو السنة المألومة وجب على الخلق الاقرار
به جملة، وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما
جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله،
وأن محمداً رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر

به عن الله ، فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة ، اذ الكاذب ليس برسول فيما
يكنبه ، وقد قال الله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل • لأخذنا
منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين)

وفي الجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى
تقريره هنا وهو الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به
من القرآن والسنة كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)
وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما اتزل عليكم
من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال تعالى وما (ارسلنا من رسول إلا
ليطاع باذن الله) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في اقسامهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)
وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر
منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول)

ومما جاء به الرسول رضاه عن السابقين الاولين ، وعن من اتبعهم
باحسان الى يوم الدين ، كما قال (والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)
ومما جاء به الرسول اخباره بأنه تعالى قد اكل الدين بقوله (اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) . ومما جاء به
الرسول امر الله بالبلاغ المبين كما قال تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ
المبين) وقال تعالى (واترنا اليك الذكر لئين للناس مازل اليهم) وقال

تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)

ومعلوم انه قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتف منها شيئا؛ فان كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة، ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها.. والامة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله، وبين ما أنزل إليه من ربه، وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فلم انه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم «ركبتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك» وقال «مارك من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به، وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به» وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما

الاذ تبيين هذا فقد صح ووجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي لقد حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن كعثمان بن عفان وغيره انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل

جميعاً ، وقد قام عبد الله بن عمر وهو من أصاغر الصحابة في تعلم البقرة ثمانين سنين وإنما ذلك لاجل الفهم والمعرفة وهذا معلوم من وجوه (أحدها) أن المادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظاً ومعنى ، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أو كده ، فإنه قد علم أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك فإنه لا بد أن يكون راغباً في فهمه وتصور معانيه ، فكيف من قرأ كتاب الله تعالى المنزل إليهم الذي به هداهم الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والنهي ؟

فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه اعظم الرغبات بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه . بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعرفهم معاني القرآن اعظم من رغبته في تعرفهم حروفه ، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصل المقصود إذا اللفظ إنما يراد للمعنى (الوجه الثاني) أن الله سبحانه وتعالى قد حضهم على تدبره وتعلقه واتباعه في غير موضع كما قال تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال تعالى (أفلا يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) فإذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين على تدبره (١) وعلم أن معانيه مما يمكن فهمها ومعرفة

(١) كذا ولعل أصله مما يمكنهم تدبره

فكيف لا يكون ذلك للمؤمنين، وهذا يتبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم
 (الوجه الثالث) أنه قال تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)
 وقال تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فيبين انه انزله عربيا لان
 يعقلوا، والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه

(الوجه الرابع) انه ذم من لا يفقهه فقال تعالى (واذا قرأت القرآن
 جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا * وجعلنا على
 قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرا) وقال تعالى (فألهؤلاء القوم
 لا يكادون يفقهون حديثا) فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا
 مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به

(الوجه الخامس) انه ذم من لم يكن حظه من السماع الاسماع
 الصوت دون فهم المعنى واتباعه فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل
 الذي يندق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال
 تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟ انهم الا كالا نعام بل
 هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من
 عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا؟ أولئك الذين طبع الله على
 قلوبهم واتبعوا أهواءهم) وأمثال ذلك. وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت
 الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفهموا وقالوا ماذا قال آنفا؟ أي الساعة،
 وهذا كلام من لم يفقه قال تعالى (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
 أهواءهم) فن جمل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والتابعين
 لهم باحسان غير عالين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين
 فيما ذمهم الله تعالى عليه

(الوجه السادس) أن الصحابة رضي الله عنهم قرؤا للتابعين القرآن كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى اخره أقف عند كل آية منه وأسأله عنها . ولهذا قال سفيان الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فسيك به ، وكان ابن مسعود وابن عباس نقلوا عنه (١) من التفسير ما لا يحصيه الا الله . والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها

أسباب الاختلاف في التفسير المأثور

فان قال قائل قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيرا ولو كان ذلك معلوما عندم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيقال الاختلاف الثابت عن الصحابة بل وعن أئمة التابعين في القرآن اكثره لا يخرج عن وجوه

(أحدها) أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه فالمسمى واحد وكل اسم يدل على معنى لا يدل عليه الاسم الاخر مع أن كلاهما حق بمنزلة تسمية الله تعالى باسمائه الحسنی وتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم باسمائه وتسمية القرآن العزيز باسمائه فقال تعالى (قل ادعوا الله عليه وسلم باسمائه وتسمية القرآن العزيز باسمائه فقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی) فاذا قيل الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى وان كل اسم يدل على نعمت لله لا يدل عليه الاسم الاخر ومثال هذان التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم ، فهذا يقول هو الاسلام

(١) ينظر مرجع الضمير في قوله «عنه» فهذان الصحابييان قد أخذنا عن النبي صلى الله عليه وسلم (من) ولا ذكر له قبله ولعل فيه حذفا يدل عليه كالتصلية بعمدته

وهذا يقول هو القران أي اتباع القران ، وهذا يقول السنة والجماعة
وهنا يقول طريق العبودية ، وهذا يقول طاعة الله ورسوله. ومعلوم أن
الصراط يوصف بهذه الصفات كلها ويسمى بهذه الاسماء كلها ، ولكن
كل واحد منهم دل المخاطب على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع
بمعرفة ذلك النعت

(الوجه الثاني) أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض انواعه
أو اعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب لاعلى الحصر والاحاطة كما لو سأل
اصحبي عن معنى لفظ الخبز فأري رغيفا وقيل هذا هو فذاك مثال للخبز
واشارة الى جنسه لالى ذلك الرغيف خاصة . ومن هذا ماجاء عنهم في
قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)
فالقول الجامع أن الظالم لنفسه : المفرط بترك مأمور أو فعل محذور ،
والمقتصد : (القائم) بأداء الواجبات وترك المحرمات ، والسابق بالخيرات
بمزلة المقرب الذي يتقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق
ثم ان كلا منهم يذكر نوما من هذا (فان قال قائل) الظالم المؤخر للصلاة
عن وقتها ، والمقتصد المصلي لها في وقتها ، والسابق المصلي لها في أول وقتها
حيث يكون التقديم افضل ، وقال آخر الظالم لنفسه هو البخيل الذي
لا يصل رحمه ولا تمام (١) زكاته ، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة
وصلة الرحم وقرى الضيف والاعطاء في النائية ، والسابق الفاعل المستحب
بعد الواجب كما فعل الصديق الاكبر حين جاء بماله كله ، ولم يكن مع هذا
يأخذ من أحد شيئا وقال آخر الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لاعتن

(١) كذا الاصل ولعله ولا يؤدي تمام زكاته

الآثام، والمتصد الذي يصوم عن الطعام والآثام، والسابق الذي يصوم
 عن كل مالا يقربه الى الله تعالى - وامثال ذلك - لم تكن الاقوال (١)
 متنافية بل كل ذكر نوحا مما تناولته الآية

(الوجه الثالث) أن يذكر أحدهم لنزول الآية سببا ويذكر الآخر
 سببا آخر لا ينافي الاول، ومن الممكن نزولها لاجل السببين جميعا أو
 نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا. وأما ما صح عن السلف انهم اختلفوا
 فيه اختلاف تناقض، فهذا قليل بالنسبة الى ما لم يختلفوا فيه كما ان تنازعهم
 في بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج
 والفرائض والطلاق ونحو ذلك لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا
 عن النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلها منقولة عنه بالتواتر

وقد تبين أن الله تعالى انزل عليه الكتاب والحكمة، وامر أزواج نبيه
 صلى الله عليه وسلم أن يذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة.
 وقد قال غير واحد من السلف أن الحكمة هي السنة وقد قال صلى
 الله عليه وسلم «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» فثبت عنه من
 السنة فعلينا اتباعه سواء قيل انه من القرآن ولم نفهمه نحن، أو قيل ليس
 في القرآن، كما أن ما اتفق عليه السابقون الاولون والذين اتبعوهم باحسان
 فعلينا أن نقيمهم فيه سواء قيل انه كان منصوصا في السنة ولم يبلغنا ذلك
 أو قيل انه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة

(انتهت المقدمة)

فصل

فاذا نبين ذلك فوجوب اثبات علو الله تعالى ونحوه يتبين

من وجوه :-

(أحدها) أن يقال إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتابعين بل وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه اثبات علو الله على عرشه بأنواع من الدلالات ، ووجوه من الصفات ، واصناف من العبارات ، تارة يخبر انه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش . وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع ، وتارة يخبر بعروج الاشياء وصعودها وارتفاعها اليه كقوله تعالى (بل رفعه الله اليه * انى متوفيك ورافحك لى * تخرج الملائكة والروح اليه) وقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده كقوله تعالى (والذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق * قل نزله روح القدس من ربك بالحق * حم ، تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم * حم ، تنزيل من الله العزيز الحكيم) وتارة يخبر بأنه الاعلى والعلو كقوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) وقوله (وهو العلي العظيم) وتارة يخبر بأنه في السماء كقوله تعالى (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض ؟ أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) فذكر السماء دون الارض ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها كما ذكر في قوله تعالى (وهو الذي في السماء آله وفي الارض آله) وقال تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا

تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ » وقال للجارية « ابن الله ؟ قالت في السماء » قال « اعتقها فانها مؤمنة »

ونارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض ويخبر عن عنده بالطاعة كقوله (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) فلو كان موجب العناية معنى عاما كدخولهم تحت قدرته ومشيتته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده ، ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته ، بل مسبحا له ساجداً وقد قال تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردأ على الكفار والمستكبرين عن عبادته ، وأمثال هذا في القرآن لا يحصى الا بكلفة ، وأما الاحاديث والا نارة عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها الا الله تعالى فلا يخلو اما أن يكون ما اشتركت فيه هذه النصوص من اثبات علو الله نفسه وعلى خلقه هو الحق أو الحق نقيضه اذ الحق لا يخرج عن النقيضين واما أن يكون نفسه فوق الخلق أو لا يكون فوق الخلق كما تقول الجهمية ، ثم تارة يقولون لا فرقهم ولا فيهم ، ولا داخل ، ولا خارج ، ولا مبين ، ولا محايث ، وتارة يقولون هو بذاته في كل مكان ، وفي المقاتلين كليهما يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه

فاما أن يكون الحق اثبات ذلك أو نفيه ، فان كان نفي ذلك هو الحق ، فعلوم أن القرآن لم يبين هذا قط لانصا ولا ظاهرا ، ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، لائمة المذاهب الاربعة ولا ضيرم ، ولا يمكن أحدا أن ينقل عن واحد من هؤلاء انه نفي ذلك أو اخبر به : وأما ما نقل من الاثبات عن هؤلاء فاكثر من أن يحصي أو يحصر ،

فان كان الحق النفي دون الاثبات... والكتاب والسنة والاجماع انما دل على
الاثبات ولم يذكر النفي اصلاً - لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا
بالحق في هذا الباب ، بل نطقوا بما يدل اما نصا واما ظاهرا على الضلال
والخطأ المناقض للهدى والصواب

ومعلوم أن من اعتقد هذا في الرسول والمؤمنين فله او فر حظمن
قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ماتولى ونُصله جهنم وساءت مصيرا)

فان القائل اذا قال هذه النصوص اريد بها خلاف ما يفهم منها ، أو
خلاف ما دلت عليه ، أو انه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه ، وانما اريد
بها علو المكانة ونحو ذلك كما قد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضوع ،
فيقل له فكان يجب أن يبين للناس الحق الذي يجب التصديق (به) اطنا وظاهرا
بل ويبين لهم ما يدلهم على أن هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه ،
فان غاية ما يقدر انه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة ، والباطن المخالف للظاهر ،
ومعلوم باتفاق العقلاء ان المخاطب المبين اذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن
بخطابه ما يدل على ارادة المعنى المجازي ، فاذا كان الرسول المبلغ المبين الذي
يبين للناس ما نزل اليهم يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه ، كان
عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد لاسما
اذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده في الله ، فان عليه أن ينههم عن أن يمتقدوا
في الله ما لا يجوز اعتقاده اذا كان ذلك مخوفا عليهم ، ولو لم يخاطبهم بما يدل
على ذلك ، فكيف اذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي
تمول النفاة هو اعتقاد باطل ؟ فاذا لم يكن في الكتاب ولا السنة ولا

كلام أحد من السلف والائمة ما يوافق قول النفاة اصلا ، بل هم دائما لا يتكلمون الا بالاثبات ، امتنع حينئذ أن لا يكون مرادهم الاثبات ، وان يكون النفي هو الذي يمتقدونه ويتمدونه ، وهم لم يتكلموا به قط ولم يظهروه ، وانما اظهروا ما يخالفه وينافيه ، وهذا كلام مبين لا مخلص لاحد عنه لكن للجهمية التكامة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام

* *

مذاهب متفلسفة القرامطة في الصفات

أما المتفلسفة القرامطة فيقولون ان الرسل كانوا الخاق بخلاف ما هو الحق وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون ، وربما يقولون انهم كذبوا لاجل مصلحة العامة فان مصلحة العامة لا تقوم الا باظهار الاثبات ، وان كان في نفس الامر باطلا . وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح قول متناقض في نفسه ، فانه يقال لو كان الامر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم ، لكان خواص الرسل يطلعون على ذلك ، وكانوا يطلعون خواصهم على هذا الامر ، فكان يكون النفي مذهب خاصة الامة واكملها عقلا وعلماء ومعرفة ، والامر بالعكس ، فان من تأمل كلام السلف والائمة وجد أعلم الامة عند الامة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وابي بن كعب وأبي النرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأمثالهم هم أعظم الخلق اثباتا . وكذلك أفضل التابعين مثل سميد بن المسيب وامثاله والحسن البصري وامثاله وعلي بن الحسين وامثاله وأصحاب ابن مسعود واصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين . بل النقول

عن هؤلاء في الاثبات يجبن عن اظهاره كثير من الناس ، وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار وصاحبه شيخ الاسلام أبو اسمايل الانصاري ما يروى أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله ، فاذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الفرة بالله ، تأولوا ذلك على ما جاء من الاثبات ، لان ذلك ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسابقين والتابعين لهم باحسان ، بخلاف النفي فإنه لا يؤخذ عنهم ، ولا يمكن حمله عليه

وقد جمع علماء الحديث من النقول عن السلف في الاثبات ما لا يحصي عدده الا رب السموات ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد الا أن يكون من الاحاديث المختلفة التي ينقلها من هو أبعاد الناس عن معرفة كلامهم

ومن هؤلاء من يمسك بمجملات سمعها ، بعضها كذب وبمضا صدق ، مثل ما ينقلونه عن عمر أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما ، فهذا كذب باهتاق أهل العلم بالاثار ، وبتقدير صدقه فهو مجمل ، فاذا قال أهل الاثبات كان ما يتكلمان فيه من هذا الباب لموافقته ما نقل عنهما كان أولى من قول النفاة انهما يتكلمان بالنفي ، وكذلك حديث جراب أبي هريرة لما قال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين أما أحدهما فبئثنه فيكم وأما الآخر فلو بئثنه لقطعتم هذا البلوم — فان هذا حديث صحيح لكنه مجمل قد جاء مفسراً أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم والفتن ، ولو قدر أن فيه ما يتعلق بالصفات فليس فيه ما يدل على النفي بل الثابت المحفوظ من أحاديث

أبي هريرة كحديث آتيانه يوم القيامة وحديث النزول والضحك وامثال ذلك كلها على الاثبات ، ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد في النفي من جنس قول النفاة

مذهب الجهمية في الصفات

وأما الجهمية المتكلمة فيقولون ان القرينة الصارفة لهم عماد دل عليه الخطاب هو العقل ، فاكتفى بالدلالة العقلية الموافقة لمذهب النفاة ، فيقال لهم (أولاً) فيثبت اذا كان ما تكلم به انما يفيد مجرد الضلال وانما يستفيدون الهدى من عقولهم ، كان الرسول قد نصب لهم أسباب الضلال ، ولم ينصب لهم أسباب الهدى ، وأحاطهم في الهدى على نفوسهم ، فيلزم على قولهم ان تركهم في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم بل ضررتهم . ويقال لهم (ثانياً) فالرسول صلى الله عليه وسلم قد بين الاثبات الذي هو اظهر في العقل من قول النفاة ، مثل ذكره خلق الله وقدرته ومشيتته وعلمه ونحو ذلك من الامور التي تعلم بالعقل أعظم مما يعلم نفي الجهمية ، وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الاثبات ، فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو اخفى وأدق وكلامه لم يدل عليه بل دل على نقيضه وضده ومن نسب هذا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فالله جسيبه على ما يقول .

والمراتب ثلاث ، اما أن يتكلم بالهدى أو بالضلال أو يسكت عنهما . ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل ، وهنا يعرف بالعقل ان الاثبات لم يسكت عنه بل بينه ، وكان ما جاء به السمع موافقا للعقل ، فكان الواجب فيما ينفيه العقل ، ان يتكلم فيه بالنفي كما فعل فيما يثبته العقل ، واذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه اسلم للامة

اما اذا تكلم فيه بما يدل على الاثبات ، و اراد منهم ان لا يمتدوا الا
النفي ، لكون مجرد عقولهم تعرفهم به فاضافة هذا الى الرسول صلى الله
عليه وسلم من اعظم ابواب الزندقة والنفاق

ويقال لهم (بالثنا) من الذي سلم لكم ان العقل يوافق مذهب النفاة
بل العقل الصريح لئما يوافق ما اثبتته الرسول ، وليس بين المعقول الصريح
والمقول الصحيح تناقض أصلا ، وقد بسطنا هذا في مواضع ينافيها أن
ما يدكرون من المعقول المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
ولئما هو جهل وضلال تقلده متأخروهم عن متقدميهم ، وسموا ذلك عقليات ،
لئما هي جهليات ، ومن طلب من تحقيق مقاله أئمة الضلال بالمقول
لم يرجع الا الى مجرد تقليدهم ، فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل
تقليداً لمن توهموا انه عالم بالعقليات ، وهم مع أئمتهم الضلال كقوم فرعون
معه ، حيث قال (فاستخف قومه فأطاعوه) قال تعالى عنه (فاستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم بينا لا يرجعون . فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * و جعلناهم أئمة يدعون الى
النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا سنة ويوم القيامة هم من
المقبوحين) و فرعون هو امام النفاة ولهذا صرح محققوا النفاة بأنهم على
قوله ، كما يصرح به الاتحادية من الجهمية من النفاة ، اذ هو الذي انكر الملوك
وكذب موسى فيه وانكر تكليم التملوسي قال تعالى (وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاعساب * اسباب السموات والارض فاطم الى اله
موسى واني لاظنه كاذبا) والله تعالى قد اخبر عن فرعون انه انكر الصانع
وقال (وما زب العالمين) وطلب أن يصعد ليطلع الى اله موسى ، فلو لم يكن

موسى اخبره أن الهه فوق لم يقصد ذلك ،فانه هو لم يكن مقرأ به ،فاذا لم يخبره موسى به لم يكن اثبات العلو لامنه ولا من موسى عليه الصلاة والسلام. فلا يقصد الاطلاع ولا يحصل به ما قصد من التلبس على تومه ، بأنه صعد الى اله موسى ،ولكان صعوده اليه كنزوله الى الآبار والانهار ، وكان ذلك اهون عليه ،فلا يحتاج الى تكلف الصرح

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لما عرج به ليلة الاسراء ووجد في السماء الاولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى ثم في الثالثة يوسف ثم في الرابعة ادريس ثم في الخامسة هارون ثم وجد موسى (١) ثم عرج الى ربه وفرض عليه خمسين صلاة ثم رجع الى موسى فقال له ارجع الى ربك فاسأل التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق ذلك ،قاله فرجعت الى ربي فسألته التخفيف لامتى ، وذكر انه رجع الى موسى ثم رجع الى ربه مراراً فصدق موسى في أن ربه فوق السموات وفرعون كذب موسى في ذلك والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال . وأهل السنة والاثبات موافقون لآل ابراهيم أئمة الهدى وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا خاشعين) وموسى ومحمد من آل ابراهيم بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين

(١) الظاهر أنه سقط من هذا الموضع أنه وجد موسى في السماء السادسة

وابراهيم في السابعة

(الوجه الثاني) في تبين وجوب الافرار بالاثبات، وعلو الله على السموات أن يقال: من المعلوم أن الله تعالى أكل الدين وأتم النعمة وأن الله أزل الكتاب نبينا لكل شيء، وإن معرفة ما يستحقه الله وما تنزه عنه هو من أجل أمور الدين وأعظم أصوله وأن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفصله ولم يعلم أمتهم ما يقولون في هذا الباب؟ وكيف يكون الدين قد كمل وقد تركوا على البيضاء ولا يدرون بماذا يعرفون ربهم أبما تقوله النفاة، أو بأقوال أهل الاثبات؟

(الثالث) أن يقال كل من فيه أدنى حجة للعلم أو أدنى حجة للعبادة لا بد أن يختر بقلبه هذا الباب ويقصد فيه الحق ومعرفة الخطأ من الصواب، فلا يتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا لا يسألون عنه، ولا يشققون الى معرفته، ولا تطلب قلوبهم الحق منه، وهم ليسا ونهارا يتوجهون بقلوبهم اليه ويدعونه تضرعا وخيفة ورجا ورهبا، والقلوب مجبولة منقطوعة على طلب العلم. فهذا ومعرفة الحق فيه وهي مشتاقة اليه أكثر من شوقها الى كثير من الامور ومع الارادة الجازمة والقدرة يجب حصول المراد وهم قادرين على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وسؤال بعضهم بعضا، وقد سأله عما هو دون هذا: سأله هل ترى ربنا يوم القيامة؟ فأجابهم، وسأله ابووزين: أبيضك ربنا؟ فقال نعم: فقال: لن نمدم من رب يضحك خيرا. ثم انهم لما سأله عن الرؤية قال: «انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» فشب الرؤية بالرؤية. والنفاة لا يقولون يرى كما ترى الشمس والقمر بل قولهم الحقيقي انه لا يرى بحال

ومن قال يرى موافقة لاهل الاثبات ومناققة لهم فسر الرؤية بعز يدعلم فلا تكون اكرؤية الشمس والقمر

والمقصود هنا انهم لا بد ان يسألوا عن ربهم الذي يعبدونه — ان كان ما تقوله الجهمية حقا — واذا سألوه فلا بد ان يجيبهم . ومن المعلوم بالاضطرار ان ما تقوله الجهمية النفاة لم ينقله عنه أحد من أهل التبليغ عنه وانما نقلوا عنه ما يوافق قول أهل الاثبات

(الوجه الرابع) ان يقال إما أن يكون الله يجب منا ان نعتقد قول النفاة أو نعتقد قول اهل الاثبات اولا نعتقد واحدا منهما. فان كان مطلوبه منا اعتقاد قول النفاة وهو انه لا داخل العالم ولا خارجه وانه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ، وأن محمدا لم يرج به الى الله وانما عرج به الى السموات فقط لا الى الله، فان الملائكة لا تعرج الى الله بل الى ملكوته، وان الله لا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء، وأمثال ذلك وان كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها اجمال وايهام كقولهم ليس بمتحيز ولا جسم ولا جوهر ولا هو في جهة ولا مكان وأمثال هذه العبارات التي تفهم منها العامة تنزيه الرب تعالى عن النقائص، ومقصدهم هم انه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله يعبد، ولا عرج بالرسول الى الله . وانما المقصود انه ان كان الذي يجبه الله لنا ان نعتقد هذا النفي فالصحابية والتابعون افضل مناققد كانوا يعتقدون هذا النفي والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتقد، واذا كان الله ورسوله يرضاه لنا وهو لما واجب علينا أو مستحب لنا فلا بد أن يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو واجب علينا، ويدنيننا الى ما هو مستحب لنا،

ولا بد أن يظهر عنه وعن المؤمنين ما فيه اثبات لمحبوب الله ومرضاته وما يقرب اليه لاسيما مع قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت، عليكم نعمتي) لاسيما والجهمية تجعل هذا أصل الدين وهو عندم التوحيد الذي لا يخالفه الا شقي فكيف لا يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته التوحيد؟ وكيف لا يكون التوحيد معروفا عند الصحابة والتابعين؟ والفلاسفة والمعتزلة ومن اتبعهم يسمون مذهب النفاة التوحيد وقد سمي صاحب المرشدة أصحابه الموحدين اذ عندم مذهب النفاة هو التوحيد، واذا كان كذلك كان من المعلوم انه لا بد أن يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة. فلم أنه ليس بواجب ولا مستحب بل علم أنه ليس من التوحيد الذي شرعه الله تعالى لبيادة

وان كان يجب منا مذهب الاثبات وهو الذي أمرنا به فلا بد ايضا ان يبين ذلك لنا ومعلوم ان في الكتاب والسنة من اثبات العلو والصفات أعظم مما فيهما من لإثبات الوضوء والتميم والصيام وتحريم ذوات المحارم وخبيث المطاعم ونحو ذلك من الشرائع. فعلى قول أهل الاثبات يكون الدين كاملا، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا مينا والتوحيد عند السلف مشهورا معروفا. والكتاب والسنة يصدق بعضه بعضا والسلف خير هذه الامة، وطريقهم أفضل الطرق، والقرآن كله حق ليس فيه إضلال، ولا دل على كفر وعمال، بل هو الشفاء والهدى والنور. وهذه كلها لوازم متأزمة وتنتج مقبولة فقولهم مؤلف غير مختلف ومقبول غير مردود وان كان الذي يحبه الله ألا تثبت ولا ننفي بل نبقى في الجهل

البسيط وفي ظلمات بعضها فوق بعض لا تفرق الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال ولا الصدق من الكذب بل تقف بين المثبتة والنفاة موقف الشاكرين الحيارى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) لا مصدقين ولا مكذبين - لزم من ذلك أن يكون الله يجب من العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم العلم بما يستحقه الله سبحانه وتعالى من الصفات التامات، وعدم العلم بالحق من الباطل، ويجب منا الحيرة والشك، ومن المعلوم أن الله لا يجب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال وإنما يجب الدين والعلم واليقين. وقد ذم الحيرة بقوله تعالى (قل ائذعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا وما نؤذي الله كالدني استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى : اثنتا. قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين * وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون) وقد أمرنا الله تعالى أن نقول (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » فهو يسأل ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق، فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى في مسائل الخلاف؟ وقد قال الله له (وقل رب زدني علما) وما يذكره بعض الناس عنه أنه قال « زدني فيك تحميرا » كذب باتفاق أهل العلم بحديثه، بل هذا سؤال من هو حائر وقد سأل المزيد من الحيرة ولا

يجوز لاحد أن يسأل ويدعو بمزيد الحيرة اذا كان حائراً بل يسأل الهدى
والعلم، فكيف بمن هو هادي الخلق من الضلال. وانما ينقل هذا عن بعض
الشيوخ الذين لا يمتدئ بهم في مثل هذا إن صح النقل عنه فهذا يلزم عليه امور
(أحدها) ان من قال هذا فعليه ان ينكر على النفاة فانهم ابتدءوا الفاظا
ومعاني لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة. وأما المثبتة اذا اقتصروا
على النصوص فليس له الانكار عليهم. وهؤلاء الوافقة هم في الباطن
يوافقون النفاة او يقرونهم، وانما يمارضون المثبتة فلم انهم أقروا أهل
البدعة، وعادوا أهل السنة

(الثاني) ان يقال عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يجب
الله ورسوله فهذا القول باطل

(الثالث) ان يقال الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق
المسلمين غاية ما في الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا الاثبات يسكت
فاما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله صلى الله تعالى عليه
وسلم فليس للواقف الشاك الحائر ان ينكر على العالم الجازم المستبصر
المتبع للرسول العالم بالمنقول والمنقول

(الرابع) ان يقال السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة وقالوا
بالاثبات وافصحوا به، وكلامهم في الاثبات والانكار على النفاة اكثر من
ان يمكن اثباته في هذا المكان وكلام الاثمة المشاهير مثل مالك والثوري
والاوزاعي وابي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي
ووكيع بن الجراح والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن زاهويه وابي عبيدة
واثمة اصحاب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد موجود كثير لا يحصيه احد

وجواب مالك في ذلك صريح في الاثبات فان السائل قال له يا ابا عبد الله
(الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم،
والكيف مجهول، وفي لفظ: استواؤه معلوم او معقول، والكيف غير معقول
والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فقد اخبر رضي الله عنه بان نفس
الاستواء معلوم وان كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول اهل الاثبات
واما النفاة فما يثبتون استواء حتى تجهل كيفيته بل عند هذا
القاتل الشاك وامثاله ان الاستواء مجهول غير معلوم وان كان الاستواء
مجهولا لم يحتج ان يقال الكيف مجهول لاسيما اذا كان الاستواء منفيًا فالمنفي
المعدوم لا كيفية له حتى يقال هي مجهولة او معلومة وكلام مالك صريح
في اثبات الاستواء وانه معلوم وان له كيفية لكن تلك الكيفية مجهولة
لنا لانعلمها نحن. ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية، فان
السؤال انما يكون عن امر معلوم لنا ونحن لانعلم كيفية استوائه وليس
كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا يبين ذلك ان
المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك انه قال الله في السماء وعلمه في كل
مكان حتى ذكر ذلك مكى في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك
ونقله أبو عمر والطننكي وابو عمر بن عبد البر وابن أبي زيد في المختصر
وغير واحد ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الاثبات.
والقول الذي قاله مالك قاله قبله ربيعة بن عبد الرحمن شيخه كما رواه
عنه سفيان بن عيينة وقال عبد العزيز بن عبد الله ابن ابي سلمة الماجشوني كلاما
طويلا يقرر مذهب الاثبات ويرد على النفاة وقد ذكرناه في غير هذا الموضوع
وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم وكلام ائمة

المالكية وقدمائهم في الاثبات كثير مشهور لان علماءهم حكوا اجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه . وابن أبي زيد انما ذكر ما ذكره سائر أئمة السنة ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن ابي زيد في هذا وهو انما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين لانه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقتها كل أحد . ولم يرد على ابن ابي زيد في هذا الا من كان من اتباع الجهمية النفاة لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف للكتاب والسنة ، ولكن زعم من خالف ابن ابي زيد وامثاله انما خالفه مخالف للعقل (١) وقالوا إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن الكلام الذي يعرف فيه ما يجوز على الله وما لا يجوز . والذي أنكروا على ابن أبي زيد وامثاله من المتأخرين تلقوا هذا الانكار عن متأخري الاشعرية كابي المعالي وأتباعه وهؤلاء تلقوا هذا الانكار عن الاصول التي شركو فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية ، فالجهمية من المعتزلة وغيرهم أصل هذا الانكار

وسلف الامة وأئمتها متفقون على الاثبات ، رادون على الواقفة والنفاة ، مثل مارواه البيهقي وغيره عن الازاعي قال : كنا — والتابعون متوافرون — نقول : ان الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته وقال أبو مطيع البلخي في كتاب الفقه الاكبر سألت أبا حنيفة عن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض ، قال : كفر ، لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سمواته ، فقالت انه يقول على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أو في الارض ، فقال انه إذا أنكر أنه في السماء كفر ، لانه تعالى في أعلى عليين ، وانه يُدعى من أعلى لامن

(١) كذا في الاصل وفي هامشه الظاهر : انما خالفه لمخالفته العقل

اسفل . قال عبد الله بن نافع كان مالك بن انس يقول : الله في السماء وعلمه كل مكان . وقال معدان : سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم) قال علمه . وقال حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجه رواه ابن ابي حاتم والبخاري وعبد الله بن احمد وغيرهم : انما يدور كلام الجهمية على ان يقولوا ليس في السماء شيء . وقال علي بن الحسن بن شقيق قلت لعبد الله بن المبارك بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . قلت بحد ؟ قال : بحد لا يعلمه غيره ، وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه ، وهو نظر صحيح ثابت عن احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغير واحد من الائمة . وقال رجل لعبد الله بن المبارك يا ابا عبد الرحمن قد خفت الله من كثرة ما ادعو على الجهمية . قال لا تخف فاهم يزعمون ان إلهك الذي في السماء ليس بشيء . وقال جرير بن عبد الحميد : كلام الجهمية اوله شهد وآخره سم ، وانما يحاولون ان يقولوا ليس في السماء إله . رواه ابن ابي حاتم ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبد الرحمن بن مهدي قال : ان الجهمية ارادوا أن ينفوا ان يكون الله كلم موسى بن عمران ، وان يكون على العرش ، ارى ان يستتابوا فان تابوا والا ضربت اعناقهم . وقال يزيد بن هارون من زعم ان الله على العرش استوى على خلاف ما يقرب في قلوب الامة فهو جهمي . وقال سعيد بن عامر الضبي — وذكر عنده الجهمية فقال — هم شر قرول من اليهود والنصارى ، قد اجمع اهل الاديان مع المسلمين ان الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء . وقال عباد بن العوام الواسطي كلمت بشر المرسي واصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى ان يقولوا ليس في السماء شيء ، ارى ان لا يناكحوا ولا يوارثوا . وهذا كثير من كلامهم

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين يتقلون مقالات الناس مقالة أهل السنة وأهل الحديث ، كما ذكره ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ، ومقالات الاسلاميين ، فذكر فيه أقوال الخوارج والرافضة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم . ثم قال : ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وجملته قولهم : الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا — الى أن قال — وأن الله على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى « لما خلقت بيدي » وأقروا أن لله علما كما قال (أنزله بعله وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعله) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وقالوا : إنه لا يكون في الارض خير ولا شر الا ما شاء الله ، وأن الاشياء تكون بمشيئة الله ، كما قال (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) الى أن قال : ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل « إن الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فاغفر له » كما جاء في الحديث ويقولون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب اليه من جبل الوريد) وذكر أشياء كثيرة ، الى أن قال . فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويروونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب قال الاشعري ايضا في مسألة الاستواء : قال أهل السنة واصحاب الحديث ليس بجسم ، ولا يشبه الاشياء ، وانه على عرشه كما قال (الرحمن

على العرش استوى) ولا تتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول استوى بلا كيف ، وانه له يدين بلا كيف كما قال تعالى (لما خلقت بيدي) — وان الله ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث . قال : وقالت الممتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى . وقال الاشعري ايضا في كتاب الابانة في اصول الديانة في باب الاستواء ان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل : نقول له ان الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى وقال اليه يصعد الكام الطيب وقال بل رفعه الله اليه وقال حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحا لعلني ابلاغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) كذب فرعون موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال الله تعالى (أؤمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) فالسموات فوقها العرش وكل ما علا فهو سماء وليس اذا قال (أؤمنتم من في السماء) يعني جميع السموات وانما اراد العرش الذي هو اعلا السموات الا ترى انه ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورا ولم يردانه يملا السموات جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون ايديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش وقد قال قائلون من الممتزلة والجهمية والحرورية ان معنى استوى استولى ومملك وقهر وأن الله في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض فانه قادر عليها وعلى الحشوش والاخلية فلو كان مستويا على العرش بمعنى

الاستيلاء لجاز ان يقال هو مستوعلي الاشياء كلها وعلى الحشوش والاخلية
فبطل ان يكون معنى الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في
الاشياء كلها، وقد نقل هذا عن الأشعري غير واحد من ائمة اصحابه كابن
فورك والحافظ بن عساكر في كتابه الذي جمعه في تبیین كذب المفتری فيما ينسب
الى الشيخ ابي الحسن الأشعري، وذكر اعتقاده الذي ذكره في الابانة وقوله فيه
فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والتدرية والجهمية والحلولية والرافضة
والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا
الذي به تقول، وديانتنا التي ندين (بها) التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين، وائمة الحديث
ونحن بذلك معتمدون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه
قائلون، ولما خالف فيه مجانبون لانه الامام الفاضل، والرئيس الكامل
الذي ابان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح المنهاج وقسم به بدع
المتبعين وزين الزائنين وشك الشاكين ورحمة الله عليه من امام مقدم وكبير
مفهم وعلى جميع ائمة المسلمين

وجلة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله
وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر ما تقدم وغيره
جل كبيرة أو ردت في غير هذا الموضع، وقال أبو بكر الآجري في كتاب
الشريعة الذي يذهب اليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته
وعله محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وجميع
ما في سبع أرضين يرفع اليه أفعال العباد، فان قال قائل: أي شيء معنى قوله
(ما يكون من نجومى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) الاية

قيل له عليه، والله على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسرهم أهل العلم والآية
 يدل أولها وآخرها انه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين
 والقول الذي قاله الشيخ محمد بن أبي زيد وانه فوق عرشه المجيد
 بذاته وهو في كل مكان بعلمه قد تأوله بعض المبطلين بان رفع المجيد ومراده
 أن الله هو المجيد بذاته وهذا مع أنه جهل واضح فانه بمنزلة ان يقال الرحمن
 بذاته والرحيم بذاته والعزير بذاته

وقد صرح ابن أبي زيد في المختصر بان الله في سمائه دون ارضه هذا
 لفظه والذي قاله ابن أبي زيد ما زالت تقوله أئمة أهل السنة في جميع الطوائف
 وقد ذكر ابو عمرو الطلمنكي الامام في كتابه الذي سماه الوصول الى
 معرفة الاصول: أن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته
 على عرشه وكذلك ذكره عثمان بن ابي شيبة حافظ الكوفة في طبقة
 البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة وكذلك ذكره يحيى
 ابن عمار السجستاني الامام في رسالته المشهورة في السنة التي كتبها الى
 ملك بلاده... وكذلك ذكر ابو نصر السجزي الحافظ في كتاب الابانة
 له قال: وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد ابن
 زيد وابن المبارك وفضيل ابن عياض واحمد واسحاق متفقون على ان
 الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان وكذلك ذكر شيخ الاسلام
 الانصاري وأبو العباس الطريقي والشيخ عبد القادر ومن لا يحصي عدده
 إلا الله من أئمة الاسلام وشيوخه

وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني صاحب حلية الاولياء وغير ذلك
 من الصفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه: طريقنا طريق السلف

المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال وما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالماً بعلم بصير ابصر سمياً بسمع متكلماً بكلام أحدث الأشياء من غير شيء وأن القرآن كلام الله وسائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق وأن القرآن من جميع الجهات مقروءاً ومتلواً ومحفوظاً ومسموعاً وملفوظاً كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة وأنه بالفاظنا كلام الله غير مخلوق وإن الواقفة من اللفظية من الجهمية، وإن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهبي عندهم كافر سوذكر أشياء إلى أن قال: وإن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكبير ولا تمثيل وإن الله بائن من خلقه والخلق بائون منه لا يحمل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه وذكر سائر اعتقادات السلف وإجماعهم على ذلك وقال يحيى ابن عثمان في رسالته لا نقول كما قالت الجهمية أنه مداخل الإمكانة وممازج كل شيء ولا نعلم أين هو بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله (وهو معكم أينما كنتم) وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد شيخ الصوفية في هذا العصر أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين فذكر أشياء من الوصية إلى أن قال فيها: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تأويل والاستواء مقول والكيف مجهول وأنه مستو على عرشه بائن من خلقه والخلق بائون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة وأنه عز

وجل بصير سميع عليم خبير يتكلم ويرضي ويسخط ويضحك ويعجب
ويتجلى لعباده يرم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء
بلا كيف ولا تأويل ومن انكر النزول أو تأدل فهو مبتدع ضال وقال
الامام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب
الرسالة في السنة: وبتقدم أصحاب الحديث ويشهدون ان الله فوق سبع
سمواته على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الامة وأعيان سلف الامة
لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته قال: وأما امامنا ابو عبد الله
الشافعي احتج في كتابه المبسوط في مسألة اعتناق الرقة المؤمنة في الكفارة
وأن الرقة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم وأنه أراد
أن يعنق الجارية السوداء عن الكفارة؛ وسأل النبي صلى الله عليه وسلم
عن اعتاقه اياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها « ابن ربك »
فاشارت الى السماء ، فقال «أعتقها فانها مؤمنة » فختم بإيمانها لما أقرت أن
ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفقوية

وقال الحافظ ابو بكر البيهقي باب القول في الاستواء

قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ثم استوى على العرش ،
وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم ، اليه يصعد الكلام الطيب
والعمل الصالح يرفعه (أمنتهم من في السماء) وأراد من فوق السماء كما قال
(ولا صلبنكم في جذوع النخل) بمعنى على جذوع النخل وقال (فسيحروا في
الارض) أي على الارض ، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات
فمنى الآية أمنتهم من على العرش كما صرح به في سائر الايات قال: وفيما

كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته
 في كل مكان وقوله (وهو معكم أينما كنتم) إنما أراد بعله لا بذاته
 وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول
 قال وهذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله في
 السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حججهم
 على المعتزلة قال وهذا أشهر عند الخاصة والعامة وأعرف من أن يحتاج إلى
 أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم
 وقال أبو عمر أيضا : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم قالوا في
 تأويل قوله ما يكون من نبوي ثلاثة إلا هو رابعهم هو على العرش وعده
 في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتاج بقوله

وقال شيخ الاسلام المسؤول أيده الله : فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف
 إذ لم ينتقل عنهم غير ذلك إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات
 الفرقانية والاحاديث النبوية فنسال الله العظيم أن يختم لنا بخير
 ولسائر المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بمد إذ هدانا
 بعمته وكرمه انه أرحم الراحمين
 والحمد لله وحده

فتاوى لدين تبعية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) وقال رحمه الله ورضي عنه في رجل تزوج بنتا بكرا بالغا ودخل بها فوجدها بكرا ثم انها ولدت ولدا بعض مضي ستة أشهر بعد دخوله بها فهل يلحق به الولد أم لا وأن الزوج حلف بالطلاق منها أن الولد ولده من صلبه فهل يقع به الطلاق أم لا والولد ابنا سويا كامل الخلقة وعمر سنين اقتوتا مأجورين

اجاب رضي الله عنه الحمد لله. اذا ولدته لاكثر من ستة اشهر من حين دخل بها ولو باحظة لحقه الولد باتفاق الاثمة ومثل هذه القصة وقعت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستدل الصحابة على إمكان كون الولد يولد لسته اشهر بقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فاذا كان مدة الرضاع من الثلاثين حولين يكون الحمل ستة اشهر بجمع في الآية اقل الحمل وتام الرضاع ولو لم يستلحقه فكيف إذا استلحقه وأقر به بل لو استلحق مجهول النسب وقال انه ابني لحقه باتفاق المسلمين اذا كان ذلك ممكنا ولم يذع به أنه ابنه كان بارا في يمينه ولا حدث عليه

والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) (مسألة في الفقر والتصوف) صورتها. ما تقول الفقهاء رضي الله عنهم في رجل يقول ان الفقر لم يتعبد به ، ولم يؤمر به ، ولا جسم له ، ولا معنى وأنه غير سبيل موصل الى رضي الله تعالى ولى رضي رسوله وانما تعبدنا بمتابعة أمر الله واجتناب نهيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن أصل كل شيء العلم والتعبد والعمل به ، والتقوى والورع عن المحارم ، والفقر المسمى على لسان الطائفة والاكارهو الزهد في الدنيا ، والزهد في الدنيا يفيد العلم الشرعي فيكون الزهد في الدنيا العمل بالعلم وهذا هو الفقر ، فاذا الفقر فرع من فروع العلم ، والامر على هذا. وما ثم طريق أوصل من العلم ، والعمل بالعلم على ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان الفقر المسمى المعروف عند أكثر أهل الزي المشروع في هذه الاعصار من الزي والالفاظ والاصطلاح المعتادة غير مرضي لله ولا لرسوله ، فهل الامر كما قال ، أو غير ذلك افتونا ماجورين

نسخة جواب الشيخ تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه الحمد لله أصل هذه المسألة أن الالفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة علينا أن نتبع مادلت عليه مثل لفظ الايمان والبر والتقوى والصدق والعدل ، والاحسان والصبر ، والشكر والتوكل والخوف والرجاء والحب لله والطاعة لله وللرسول وبر الوالدين والوفاء بالمهد ونحو ذلك مما يتضمن ذكر ما أحبه الله ورسوله من القلب والبدن . فهذه الامور التي يحبها الله ورسوله هي الطريق الموصل الى الله مع ترك ما نهى الله

عنه ورسوله كالكفر والنفاق والكذب والانم والعدوان والظلم والجزع
والملع والشرك والبخل والجبن وقسوة القلب والغدر وقطيعة الرحم ومحو
ذلك فعلى كل مسلم أن ينظر فيما أمر الله به ورسوله فيفعله وما نهى الله
عنه ورسوله فيتركه . هذا هو طريق الله وسبيله ودينه الصراط المستقيم
صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وهذا الصراط المستقيم يشتمل على علم وعمل ، علم شرعي وعمل شرعي فن
علم ولم يعمل بعلمه كان فاجراً ومن عمل بغير العلم كان ضالاً وقدامر ناسبجانه أن
نقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين . قال النبي صلى الله عليه وسلم « اليهود المنغضوب عليهم
والنصارى ضالون » وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يعملوا به والنصارى
عبدوا الله بغير علم . ولما كان السلف يقولون احذر فتنة العالم الفاجر
والمابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وكانوا يقولون من فسد
من العلماء فقيه شبه باليهود . ومن فسد من العباد فقيه شبه من النصارى
فن دعا الى العلم دون العمل المأمور به كان مضلاً وأضل منهما من سلك
في العلم طريق أهل البدع فيتبع أموراً تخالف الكتاب والسنة يظنها علوماً
وهي جهالات . وكذلك من سلك في العبادة طريق أهل البدع فيعمل
اعمالاً تخالف الاعمال المشروعة يظنها عبادات وهي ضلالات ففسدنا
وهذا كثير في المنحرف المنتسب إلى فقه أو فقه ، مجتمع فيه انه يدعو الى
العلم دون العمل . والعمل دون العلم . ويكون ما يدعو اليه فيه بدع تخالف
الشريعة . وطريق الله لا يتم الا بعلم وعمل يكون كلاهما موافقاً للشريعة
فالسالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة ان لم يسلك بعلم

يوافق الشريعة ، والا كان ضالا عن الطريق ، وكان مايفسده أكثر مما يصلحه . والسالك من الفقه والعلم والنظر والكلام ان لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه والا كان فاجرا ، ضالا عن الطريق . فهذا هو الاصل الذي يجب اعتماده على كل مسلم

وأما التعصب لامر من الامور بلا هدى من الله فهو من عمل الجاهلية ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . ولا ريب أن لفظ الفقر في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين وتلاميهم لم يكونوا يريدون به نفس طريق الله ، وفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه والاخلاق المحمودة ولا نحو ذلك ، بل الفقر عندهم ضد الغنى . والفقراء هم الذين ذكروهم الله في قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وفي قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) وفي قوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) والغنى هو الذي لا يحل له أخذ الزكاة ، أو الذي يجب عليه الزكاة ، أو ما يشبه هذا . لكن لما كان الفقر مظنة الزهد طوعا أو كرها . اذ من العصمة أن لا تقدر . وصار المتأخرون كثيرا ما يقرنون بالفقر معنى الزهد ، والزهد قد يكون مع الغنى ، وقد يكون مع الفقر . ففي الانبياء والسابقين الاولين ممن هو زاهد مع غناه كثير

والزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة . وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع . وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يبرون عن ذلك بلفظ الصوفي ، لان لبس

الصوف يكثر في الزهاد . ومن قال ان الصوفي نسبة الى الصفة أو الصفاء
أو الصف الاول أو صوفة بن مر بن اد بن طابحة أو صوفة القفاف هؤلاء
أكثر من اليهود والنصارى . لكن من الناس من قد لمحو الفرق في
بعض الامور دون بعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ، ولا
يفرق بين البر والتاجر ، أو يفرق بين بعض الابرار وبين بعض الفجار ،
ولا يفرق بين آخرين اتباعا لظنه وما يهواه ، فيكون ناقص الايمان
بحسب ما سوى بين الابرار والفجار ، ويكون معه من الايمان بدين
الله تعالى الفارق بحسب ما فرق به بين أوليائه وأعدائه

ومن أقر بالامر والنهي الدينين دون القضاء والقدر وكان من
القدرية كالمتهزلة ونحوهم الذين هم مجوسو هذه الامة فهؤلاء يشبهون
المجوس وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس ومن أقر
بهما وجعل الرب متناقضا فهو من اتباع ابليس الذي اعترض على الرب
سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه فهذا التقسيم من القول والاعتقاد
وكذلك هم في الاحوال والافعال فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي
الله فيعمل المأمور ويترك المحظور ويصبر على ما يصيبه من المقدور فهو عند
الامر والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك كما قال تعالى (اياك نعبد
واياك نستعين) واذا أذنب استغفر وتاب لا يحتج بالقدر على ما يفعله من
السيئات ولا يرى الخلق حجة على رب الكائنات بل يؤمن بالقدر ولا
يحتج به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد
(اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك
ما استطعت اهوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء

بذني فاقفر لي فانه لا يخفر الذنوب الا انت ، فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ويعلم انه هو هداه ويسره ليسرى ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها كما قال بعضهم اطعتك بفضلك والمنة لك وعصيتك بملكك والحجة لك فاسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي الا ما عقرت لي وفي الحديث الصحيح الالهي « يا عبادي انما هي اعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيك اياها فن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا تحقيق مبسوط في غير هذا الموضوع . وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة حسب الاستطاعة لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة الاستماتة والتوكل والصبر . وآخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستماتة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك لكنهم لا يلتزمون امر الله ورسوله واتباع شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين فهو لا يستعينون الله ولا يعبدونه والذين من قبلهم يريدون ان يعبدوه ولا يستعينوه والمؤمن يعبدوه ويستعينه

(والقسم الرابع) شر الاقسام وهو من لا يعبدوه ولا يستعينه فلا هو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني وانقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل القدور من توكل واستماتة ونحو ذلك وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني أربعة أقسام

(أحدها) أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم أهل السعادة في الدنيا والاخرة (والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر مثل الذين

يحتلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون الحرمات لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو ماله أو في عرضه أو ابتلى بعمدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلمه

(والثالث) قزم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصيرون على ما يصيهم في مثل أهوائهم كاللصوص والقطعاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من المنصب وأخذ الحرام والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يجمل لهم من الاموال بالحياة وغيرها وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها كثير من الناس

وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل المشق وغيرهم يمدون في مثل ما يهرونه من الحرمات على أنواع من الاذى والالام وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض أو فسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق ومن طلاب الالوال بالبنى والمدوازا والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك يصبرون على أنواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحذور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى إذا قدر

وأما القسم الرابع فهو شر الاقسام لا يتقون اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا بل هم كما قال الله تعالى زأن الانسان خلق هلوما اذا مسه الشر جزوا واذا مسه الخير منوعا) فهؤلاء تجردم من اعظم الناس واجبرم اذا قدروا ومن اذل الناس واجزهم اذا قدروا ان قهرتهم ذلوا لك وناقضوك

وجبوك واسترحوك ودخلوا فيما يدعون به من أنفسهم من أنواع الكذب والنيل وتمظيم المسؤل وإن قهروك كانوا من أظلم الناس وأقسام قلبا وأقلهم رحمة وأحسنانا وعفوا كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقايق الايمان أبعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في كثير من امورهم وان كان متظاهرا بلباس جنده المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم فلا اعتبار بالحقائق فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وإنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار وأعمالهم كان شبيها لهم من هذا الوجه وكان مامعه من الاسلام او ما يظهره منه بمنزلة مامعهم من الاسلام وما يظهره منه بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظهرين للاسلام من هو اعظم ردة واولي بالاخلاق الجاهلية وابعد عن الاخلاق الاسلامية من التتار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في خطبة «خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» واذ كان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد فكل من كان الى ذلك اقرب وهو به أشبه كان الى الكمال اقرب وهو به أحق ، ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه أضعف كان على الكمال أبعد وبالباطل أحق ، والكمال هو من كان لله أطوع ، وعلى ما يصيبه أصبر فكما كان اتبع لما يأمر الله به ورسوله واعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه وصبر على ما قدره وقضاه كان أكمل وأفضل ، وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعاً في غير موضع من كتابه ، وبين أنه يتنصر المبد على عدوه من الكفار ، الحارين المعاهدين والمنافقين وعلى من

ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة ، قال الله تعالى (بلى ان تصبروا
وتنتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين) وقال الله تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وان تصبروا
وتنتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا
بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم
وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعلمون • ها أنتم أولاء
تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا
خلوا عضوا عليكم الا نامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات
الصدور • ان تمسككم حسنة تؤثم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وان
تصبروا وانتقوا لايضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال اخوة
يوسف له (انك لانت يوسف ، قال انا يوسف وهذا اخي وهذا قد من الله
علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقد قرن الصبر
بالاعمال الصالحة عموما وخصوصا فقال تعالى (واتبع ما يوحى اليك
واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) وفي اتباع ما أوحى اليه التقوى
كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لامره ، وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي
النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى
للذاكرين ، واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاصبر
ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار)
وقال تعالى (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس

وقبل غروبها ومن آتاء الليل) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة
وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة
ان الله مع الصابرين) فهذه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر وقرن بين
الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة)
وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة أيضا رباعية
اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كأهل القوة والقسوة، ومنهم من يرحم
ولا يصبر كأهل الضعف واللين، مثل كثير من النساء ومن يشبههن،
ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كأهل القسوة والملمع، والمحمود هو الذي
يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في صفة المتولي: ينبغي أن يكون قويا من غير
عنف، ليناً من غير ضعف، فبصبره يقوى وبلينه يرحم، وبالصبر ينصر
العبد فان النصر مع الصبر وبالرحمة يرحمه الله تعالى كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم «انما يرحم الله من عباده الرحماء» وقال «من لم يرحم لا يرحم»
وقال «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»، الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السماء» والله اعلم انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

في شروط عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه التي شرطها على أهل
الذمة لما قدم الشام وشارطهم بمحضر من المهاجرين والانصار، وعليها
العمل عند أئمة المسلمين لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم «عليكم بسنتي وسنة
الخطباء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم

ومعدات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « اتقوا بالذنين من بعدي أبي بكر وعمر » لان هذا صار اجما من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين لا يجتمعون على ضلالة على ما نقلوه وفهموه من كتاب الله وسنة رسوله ، وهذه الشروط سروية من وجوه مختصرة ومبسوطة

(منها) مارواه سفيان الثوري عن مسروق بن عبد الرحمن بن عتبة قال: كتب عمر حين صالح نصارى الشام كتابا وشرط عليهم فيه أن لا يحدتوا في مدنهم ولا ماحولها ديراً ولا صومعة ولا كنيسة ولا قلاية لراهب ، ولا يحدوا ما خرب ، ولا يبنوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يؤثوا جاسوساً ولا يكتموا غش المسلمين ولا يلموا أولادهم القرآن ولا يظهروا شركاً ولا ينعوا ذوي قرابتهم من الاسلام ان أرادوه ، وأن يوفروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم ان أرادوا الجلوس ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، ولا يتكفوا بكنام ولا يركبوا سرجاً ولا يتقلدوا سيفاً ولا يتخذوا شيئاً من سلاح ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ولا يبيعوا الخمر ، وان يجزوا مقدم رؤوسهم وان يلزموا زيجهم حينما كانوا ، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ، ولا يظهروا صليبا ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طرق المسلمين ولا يجاوروا المسلمين بموتام ولا يضربوا بالناقوس الا ضرباً خفياً ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ، ولا يخرجوا شمانين ، ولا يرفعوا مع موتام أصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشترى من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ، فان

خالقوا شيئاً مما اشترط عليهم فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل
من أهل المائدة والشقاق

وأما ما يرويه بعض العامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من
أذى ذمياً فقد آذاني » فهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يروه
أحد من أهل العلم وكيف ذلك وأذاهم قد يكون بحق وقد يكون بغير حق بل
قد قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) فكيف
يُحرم أذى الكفار مطلقاً وأي ذنب أعظم من الكفر ، ولكن في سنن أبي داود
عن العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله لم يأذن لكم
أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب الا باذن ، ولا ضرب أبشارهم ، ولا أكل ثمارهم إذا
أعطوكم الذي عليهم » وكان عمر بن الخطاب يقول : أذلوهم ولا تظلموهم
وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الا
من ظلم معاهداً أو اتقصه حقه أو كلفه فرق طاقته أو أخذ منه شيئاً
بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة » وفي سنن أبي داود عن قابوس بن
أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ليس على مسلم جزية ، ولا تصلح قبلتان بأرض » وهذه الشروط
قد ذكرها أئمة العلماء من أهل المذاهب المتنوعة وغيرها في كتبهم
واعتمدوها فقد ذكروا أن على الامام أن يلزم أهل الذمة بالتمييز عن
المسلمين في لباسهم ، وشعورهم ، وآتيهم ، وركوبهم بأن يلبسوا ثوباً
يخالف ثياب المسلمين كالعسلي ، والازرق ، والاصفر ، والادكن ويشدوا
الخرق في فلانسهم وعمائمهم والزناير فوق ثيابهم ، وقد أطلق طائفة من

العلماء انهم يؤخذون باللبس وشدة الزناير جميعا وهم منهم من قال هذا يجب اذا شرط عليهم، وقد تقدم اشتراط عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك عليهم جميعا حيث قال: ولا يتشبهوا بالمسكين في شيء من لباسهم في قانسوة ولا غيرها من عمامة ولا نمسين الى ان قال: ويلزمهم بذلك حينما كانوا ويشدوا الزناير على أوساطهم

وهذه الشروط يجدها عليهم من يوفقه الله تعالى من ولاية أمور المسلمين كما جدد عمر بن عبد العزيز في خلاقته وبالغ في اتباع سنة عمر ابن الخطاب حيث كان من العلم والمدل والقيام بالكتاب والسنة بمنزلة ميزه الله بها عن غيره من الائمة، وجددها هارون الرشيد وجعفر المتوكل وغيرها وأمروا بهدم الكنائس التي يبنني هدمها كالكنائس التي بالديار المصرية كلها فقي وجوب هدمها قولان ولا نزاع في جواز هدم ما كان بأرض المنوة اذا فتحت ولو أقرت بأيديهم اكونهم أهل الوطن كما أقرهم المسلمون على كنائس بالشام ومصر ثم ظهرت شعائر المسلمين فيما بعد في تلك البقعة بحيث بنيت فيها المساجد فلا يجتمع شعائر الكفر مع شعائر الاسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع قبلتان بأرض » ولهذا شرط عليهم عمر والمسلمون ان لا يظروا وشعائر دينهم

وأیضا فلا نزاع بين المسلمين ان أرض المسلمين لا يجوز أن تحبس على الديارات والصوامع ولا يصح الوقف عليها بل لو وقفها ذمي وتحاكم الينالم يحكم بصحة الوقف فكيف تحبس أموال المسلمين على معابد الكفار التي يشرك فيها بالرحمن ويسب الله ورسوله فيها أقبح سب وكان من سبب احداث هذه الكنائس وهذه الاحباس عليها شيئا من أحدهما ان بني

عبيد الله القداح الذين كان ظاهرهم الرفض وباطنهم النفاق يستوزرون تارة يهوديا وتارة نصرانيا واجتلب ذلك النصراني خلقا كثيرا وبني كنائس كثيرة والثاني استيلاء الكتاب من النصارى على أموال المسلمين فيدلسون فيها على المسلمين ما يشاؤون والله أعلم. قاله أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة فيمن يفعل من المسلمين مثل طعام النصارى في النيروز ويفعل سائر المواسم مثل الغطاس ، والميلاد ، وخميس العدس ، وسبت النور ، ومن يبيعهم شيئا يستعينون به على أعيادهم أيجوز للمسلمين أن يفعلوا شيئا من ذلك أم لا ؟

الجواب الحمد لله . لا يحمل للمسلمين ان يتشبهوا بهم في شيء مما يختص باعيادهم لا من طعام ، ولا لباس ، ولا اغتسال ، ولا ايقاد نيران ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك ولا يحمل فعل وليمة ولا الاهداء ولا البيع بما يستعان به على ذلك لاجل ذلك ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الاعياد ولا إظهار زينة ، وبالجملة ليس لهم أن يخلصوا أعيادهم بشيء من شعائهم بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الايام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصه ، وأما إذا أصابه المسلمون قصدا فقد كره ذلك طوائف من السلف والخلف وأما تخصيصه بما تقدم ذكره فلا تراع فيه بين العلماء بل قد ذهب طائفة من العلماء الى كفر من يفعل هذه الامور لما فيها من تعظيم شعائر

الكفر . وقال طائفة منهم من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكانا مذبح خنزير . وقال
عبد الله بن عمرو بن العاص من تأسى بيلاد الاعاجم وصنع نيروزهم
ومهرجاناتهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة
وفي سنن أبي داود عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ينحر إبلا (بيوانة) فأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال إني نذرت ان أنحر إبلا بيوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
«هل كان فيها من وثن يعبد من دون الله من أوثان الجاهلية؟» قال لا قال
«فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قال لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذري في معصية الله ولا فبا لا يملك ابن آدم ،
فلم يأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يوفي بنذره مع ان الاصل في الوفاء
أن يكون واجبا حتى أخبره انه لم يكن بها عيد من أعياد الكفار وقال
«لا وفاء لنذري في معصية الله» فاذا كان الذبح بمكان كان فيه عيدهم معصية
فكيف بمشاركتهم في نفس العيد، بل قد شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب والصحابة وسائر أئمة المسلمين ان لا يظهروا أعيادهم في دار المسلمين
وانما يعملونه سرا في مساكنهم فكيف اذا اظهرها المسلمون حتى قال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه : لا تعلموا رطانة الاعاجم ولا تدخلوا على
المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فان السخط ينزل عليهم ، واذا كان الداخل
لترجة او غيرها نهى عن ذلك لان السخط ينزل عليهم فكيف بمن يفعل
ما يسخط الله به عليهم مما هي من شعائر دينهم ؟ وقد قال غير واحد من
السلف في قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) قالوا أعياد الكفار
فاذا كان هذا في شهودها من غير فعل فكيف بالافعال التي هي من خصائصها

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسند والسنن انه قال « من تشبه بقوم فهو منهم » وفي لفظ « ليس منا من تشبه بغيرنا ». وهو حديث جيد فاذا كان هذا في التشبه بهم وان كان في العادات فكيف التشبه بهم فيما هو أبلغ من ذلك وقد كره جمهور الائمة اما كراهة تحريم أو كراهة تنزيه اكل ماذبجوه لاعيادهم وقرابينهم ادخاله فيما أهل به لخير الله وماذبح على النصب ، وكذلك فهو اعن معاوتهم على أعيادهم باهداء أو مبايعة وقالوا : انه لايجل للمسلمين أن يبيعوا النصرارى شيئا من مصلحة عيدهم لالحما ، ولا دما ، ولا ثوبا ، ولا يعارون دابة ولا يباونون على شيء من دينهم لان ذلك من تنظيم شركهم وعونهم على كفرهم ، ويذنبني للسلطين ان يشركوا المسلمين عن ذلك لان الله تعالى يقول (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ثم ان المسلم لايجل له أن يمينهم على شرب الخمر بعصرها أو نحو ذلك فكيف على ما هو من شمائر الكفر ، واذا كان لايجل له أن يمينهم هو فكيف اذا كان هو الفاعل لذلك . والله أعلم

قاله

أحمد بن تيمية

تمت

﴿ فهرس رسائل وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ﴾

٣٦ كثرة العبادة قد تجامع الكفر أو البدعة	﴿ الرسالة الاولى ص ٢ - ٩ ﴾
٣٧ كفر الباطنية ودعوى تفضيل أهل الصفة على أكابر الصحابة	في المهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل وفيها مباحث
٣٨ و٥٦ سماع المتصوفة	التقوى مع الصبر، الخلق والامر والجمع
٣٩ أكاذيب الصوفية في الاولياء	والفرق والشرح والقدر والحقيقتان الكونية
٤١ معنى الولي والولاية وشروطها	والشرعية. أقسام الناس في الصبر والتقوى
٤٢ الولاية لا تقتضي المعصية من الذنب	وأخلاق المؤمنين والكفار واقترانها
٤٤ الفقراء والاغنياء. أصنافهم وأحكامهم	بالصلاة وبالنصر والصبر والرحمة
٤٦ و٤٩ - ٥١ الاوتاد والابدال والنجباء والغوث ورجال الغيب	﴿ الرسالة الثانية ص ١٠ - ٢٤ ﴾
٤٨ الرافضة والباطنية والمتصوفة	في الشفاعة الشرعية والتوسل الى
٥٢ القلندرية والملامية	الله بالأعمال وبالأشخاص
٥٣ مرتكب الكفر وشرط تكفيره	١١ الشفاعة. ما يسوغ منها وما يحظر
٥٤ تحريم اتخاذ القبور مساجد وأعياداً	١٢ استسقاء عمر ومعاوية والحجة في ذلك
٥٥ عدم فائدة النذر لله وكفر الناذر لعز الله	١٣ و١٨ توسل الاعمى وتأويل حديثه
٥٧ أصحاب الاحوال وجزاء عدوانهم	١٤ دعاء الناس بعضهم لبعض
٥٨ المشاهد والقبور المشهورة	١٥ الاستغاثة لا تكون إلا بالله
٥٩ ما يشرع عند القبور وما لا يشرع	١٦ الغيبة والحضور والحياة والموت
٦٠ المساجد وتمظيمها	١٧ الخلف بالرسول ومذاهب العلماء فيه
﴿ الرسالة الرابعة ص ٦١ - ١٢٠ ﴾	١٩ سؤال الله والاقسام بحق عابديه عليه
في أبطال وحدة الوجود	٢١ حديث السؤال بجاه الرسول موضوع
٦٦-٦١ أهل الوحدة وشيء من أقوالهم وأشعار كبارهم كابن عربي والحلاج	٢٢ دعاء غير الله تعالى وسؤالهم
٦٧ الثبوت والوجود والاطلاق والتعيين	٢٤ تعظيم الموتى بسبب عبادة الاصنام
٦٨ و١١٤ تناقض أهل الوحدة وتصحيحهم للشرك	﴿ الرسالة الثالثة ص ٢٥ - ٦٠ ﴾
٦٩ معنى مباينة الله تعالى لمخلوقاته	في أهل الصفة والباطيل فيهم وفي الاولياء
٧٠ المظلة والحلوية من الجهمية والمتصوفة	٢٧ بيان الصفة وأهلها وعددهم والمهاجرين وأحكامهم
٧١ تحذير الجنيد من الحلول والوحدة	٢٩ أبو عبد الرحمن السلمى مصنف الصوفية
٧٢ و٩٢ الاحتجاج بالقدر على المعاصي	٣٠ الاكتساب وتحريم السؤال
	٣٤ توحيد الربوبية وحده لا ينفي الكفر
	٣٥ التوحيد الذي جاء به الرسل

٧٤	عصيان آدم وابلوس والفرق بينهما	١٢٢	مخاريق الطرقية وخوراقهم
٧٥	الخاصمون لله في القدر وخصوصهم	١٢٤	وضعهم أغلال الحديد في أعناقهم
٧٦	عدم تفرقتهم بين الحق والخلق	١٢٥	التعبد بالمباح وتشريعه محذور وكفر
٧٧	تناقض ابن سبئين وابن عربي	١٢٦	العبادة والقربة لها ما شرعه الله
٧٨	الحلول العام والخاص وبطلانها	١٢٧	ضلال الطرقية لعبادتهم وخرافاتهم
٨١	تجويزهم الجمع بين النقيضين	١٢٩	رفق ابن تيمية واخلاصه في امره ونبيه
٦٠٢	الفناء وأقسامه الثلاثة	١٣٠ و ١٣٣	عزمه على دخول النار
٨٤	شعر ابن الفارض في الاتحاد	١٣١	دعاوى الرفاعية وتلبساتهم
٨٥	كذبهم على المسيح وفي خلق آدم	١٣٥	لا تعبد بشرع من قبلنا
٨٦	تمثيلهم ظهور الحق في الخلق	١٣٦	دعوى كون الباطن خلاف الظاهر
٨٨	أمر التشريع هو الظاهر وليس فيه باطن	١٣٧	تعجز شيخ الاسلام اشبح الرفاعية
٨٩	« التكوين حتى للجناد »	١٣٩	شرط قبوله توبة دجاجة الرفاعية
٩١	محاجة آدم وموسى في القدر	١٤٠	كلام دجاجاتهم في أثناء الصلاة
٩٥	معنى آية (وما رميت اذ رميت)	١٤١	الاحوال الشيطانية لأهل الطريق
٩٧	« (ان الذين يبايعونك) »	١٤٢	إقرار أهل الذمة على دينهم دون
٩٨	الحلول الخاص		أهل البدع
٩٩	لا يرمي أحد ربه في الدنيا	١٤٤	دعوى الرفاعية القدرة على الايذاء
١٠٠	أقوال الناس في رؤية الله تعالى ثلاثة		﴿ الرسالة السادسة ص ١٤٧ - ١٦٠ ﴾
١٠٢	استحالة اتحاد الخلق بالخلق تعالى		﴿ في لباس الفتوة عند الصوفية ﴾
١٠٣	تفسير حديث تقرب العبد الى الرب	١٤٩	سند لباس الخرق والحديث في سببه
١٠٤	تحلي الله تعالى في الصبور وقولهم فيه	١٥٠	شروط لباس خرقه الفتوة
١٠٧	أمثال الحلولية من النصارى والصوفية	١٥١	لفظ الفقى والفتوة ومعناها
١٠٨	آيات المسيح من نوع آيات الرسل	١٥٢	« الزعيم ورأس الحزب »
١١٠	قولهم لا يعرف التوحيد الا واحد	١٥٣	ذم الشرع للتفرق وأمره بالوحدة
١١٢	صفات الله قائمة به لا عينه ولا غيره	١٥٤	خاتم النبي (ص) مما خاف منه الناس
١١٣	الفرق بين العبد والرب	١٥٥	تفضيل خواص البشر على الملائكة
١١٧	اتحاد الصوفية أشرف من كفر غيرهم	١٥٧	منع الملوفى الرسول وما اختص بالله
١١٨	الاعتذار عن الاتحادية. التأويل لهم	١٥٨	أخوة الايمان . مؤاخاة الصحابة
	﴿ الرسالة الخامسة ص ١٢١ - ١٤٦ ﴾	١٥٩	السماع والاخاء عند الصوفية وشرطه
	في مناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية	١٦٠	الشروط غير الشرعية
	لدجاجة البطا محبة الرفاعية		

فهرس رسائل وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

١٩٧	مذهب القرامطة والجهمية في الصفات	١٨٣ - ١٦١	الرسالة السابعة ص
٢٠٠	موافة العقل للنصوص في الصفات		﴿ كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية الى شيخ الصوفية الشيخ نصر المنبجي ﴾
٢٠٢	نضافر الشرع والقطرة على اثبات علو الله تعالى على خلقه لا نفيه	١٦٢	الحجة الايمانية والحجة عند الصوفية
٢٠٤	الجهل والحيرة لا يحبهما الله لنا	١٦٤	سورة الفاتحة بين الابدوربه
٢٠٥	رأي الواقفة في الصفات والرد عليهم	١٦٥	التوحيد وشوائب الشرك والقدر والاباحة فيه
٢٠٦	كلام الامام مالك في الاستواء والعلو	١٦٦	طلب مقاومة المقدر غير المشروع
٢٠٧	ائمة السلف	١٦٧	التوحيد بنوعيه ومقاماته
٢٠٨	انكار الجهمية وحدم كون الله في السماء	١٦٨	أصحاب الاحوال والسكر
٢١٠	صفة علو الله على خلقه	١٧٠	أهل الاتحاد واندسائهم في الصوفية
٢١١	صفة الاستواء والدين والنزول	١٧١	رأي الشيخ ابن تيمية في ابن عربي
٢١٢	كلام الاشعري في الاستواء	١٧٢	الاتحاد والحلول المطاق والمعين
٢١٣	الاتفاق على أن الله تعالى فوق العرش	١٧٤	متعده الصوفية م على دين فرعون
٢١٤	صفة الاستواء وصفة الكلام	١٧٦	الفرق بين ابن عربي والصدر الرومي والحنيف التلمساني وابن سبعين وابن الفارض والبلباني
٢١٧ - ٢٣٢	الرسالة التاسعة ص	١٧٩	تكفير شيوخ الصوفية لأهل الاتحاد
	﴿ فتاوى فقهية أخلاقية تصوفية ﴾	١٨١	كفر قدماء الجهمية كالانحادية
٢١٧	استلحاق من ولد ائمة أشهر		الرسالة الثامنة ص ١٨٦ - ٢١٦
٢١٨ - ٢٢٦	مسألة في الفقر والتصوف		﴿ في صفات الله تعالى وعلوه على خلقه ﴾
٢١٩	العلم والعمل لا بد منهما	١٨٧	جملة الدين التصديق بما جاء به الرسول
٢٢٠	الفقر الحمود والمذموم شرما	١٨٩	وجوب فهم القرآن وتدبره وذم من لم يفهمه ويتدبره
٢٢١	التصوف واحترام الامر والنهي	١٩١	أسباب الاختلاف في التفسير المأثور
٢٢٥	فوائد الصبر	١٩٤	الآيات والاحاديث في علو الله تعالى
٢٢٧	شروط عمر (رض) على أهل الائمة	١٩٦	النصوص في صفات الله والخروج عن دلالة ظواهرها
٢٢٩	تحريم الوقف على معابد أهل الكتاب		
٢٣٠	مشاركة أهل الكتاب في أعيادهم		
٢٣١	مشابهمهم		
٢٣٢	التعاون على البر والتقوى		